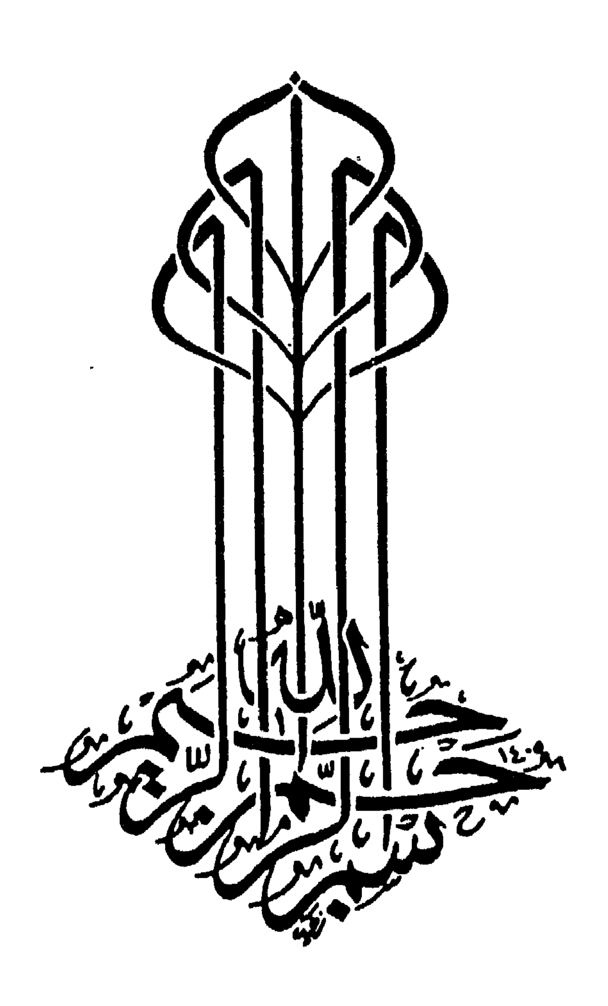

دار الكتاب الصوفي
تقدم لك
إسلام الصوفية
هو الحل
لا إسلام الخوارج
لشيخ الطريقة العزمية
السيد عز الدين ماضي أبو العزائم
المحامي بالنقض




Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)


بسم الله الرحمن الرحيم



دار الكتاب الصوفي
تقدم لك

إسلام الصوفية هو الحل لا إسلام الخوارج

لشيخ الطريقة العزمية
السيد عز الدين ماضي أبو العزائم
المحامي بالنقض



الطبعة الأولى

٨ محرم ١٤١٤ هـ
٢٨ يونيو ١٩٩٣ م

فاتحة الكتاب

الحمد لله الذى بطن خفيات الأمور ، ودلت عليه أعلام الظهور ، وامتنع على عين البصير ، فلا عين من لم يره تنكره ، ولا قلب من أثبته يبصره ، سبق فى العلو فلا شيء أعلى منه ، وقرب فى الدنو فلا شيء أقرب منه . والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله إمام من إتقى ، وبصيرة من إهتدى ، سراج لمع ضوءه ، وشهاب سطع نوره ، وزند برق لمعه ، سيرتُه القصد ، وسنتُه الرشد ، وكلامه الفصل ، وحكمه العدل ، وعلى آله الشعار والأصحاب ، والخزنة والأبواب ، لا تؤتى البيوت إلا من أبوابها ، فمن أتاها من غير أبوابها سمى سارقا ، هم كرائم القرآن ، وهم كنوز الرحمن ، إن نطقوا صدقوا ، وإن صمتوا لم يُسبقوا ، وعلى صحابته الهادين المهديين .

ورضى الله تبارك وتعالى عن الامام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم عيشُ العلم ، وموتُ الجهل ، يخبركم حِلمهُ عن عِلمه ، عقل الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية ، فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل .

ونضر الله وجه خليفته الأول الإمام الممتحن السيد أحمد ماضى أبو العزائم فرع شجرة النبوة ، مُحبه ينتظر الرحمة ومبغضه ينتظر السطوة .

وبعد فتقدم دار الكتاب الصوفى – وهى إحدى أوجه نشاط مشيخة الطريقة العزمية – الطبعة الأولى من كتاب « إسلام الصوفية هو الحل لا إسلام الخوارج » .

ذلك الكتاب الذى يرد على شعار خوارج عصرنا بأن « الإسلام هو الحل » ، الذى سبق أن رفعه خوارج الصدر الأول من الإسلام ، أمام سيدنا على عليه السلام ، مرددين شعار « إن الحكم إلا لله » وهى كلمات حق أراد بها حاملوها باطل .

لذلك كان يتعين على دعوة الإمام المجدد أبى العزائم ، أن تكشف الستار عن خوارج عصرنا الذين يرفعون شعار « الإسلام هو الحل » ، كما سبق لأسلافهم أن رفعوا شعار « إن الحكم إلا لله » ، وحذوا حذوهم فتنا وإرهابا وقتلا وسرقة للأموال ، وهذا كله تحت شعار الإسلام هو الحل .

لذلك رأيت أن أبين أن إسلام الصوفية ومناهجهم هو الحل لا إسلام الخوارج .

وبناءً عليه أصدرت هذا الكتاب « إسلام الصوفية هو الحل لا إسلام الخوارج » .

ويتضمن **الباب الأول** : أن الصوفية هم هداة ودعاة ، وهم أهل السنة والجماعة .

ويشمل الفصل الأول من هذا الباب : أن التصوف هو خلق الإسلام .

وفى الفصل الثانى : أظهرت الخصومات بين علماء الشريعة ، والخصومات حول التصوف .

وفى الفصل الثالث : ذكرت الجهاد الصوفى .

وفى الباب الثانى : بينت أن الخوارج بغاة وقضاة .

وفصلت فى الفصل الأول : حقيقة الخوارج من الكتاب والسنة .

وفى الفصل الثانى : كشفت عن خوارج عهد النبى ﷺ .

وفى الفصل الثالث : أوضحت خوارج عهد أبى بكر الصديق .

وفى الفصل الرابع : أجليت حقيقة خوارج عهد عمر بن الخطاب .

وفى الفصل الخامس : ذكرت خوارج عهد عثمان بن عفان .

وفى الفصل السادس : تناولت خوارج عهد الإمام على عليه السلام .

وفى الباب الثالث : شرحت أن الخوارج هم المفسدون فى الأرض .

وفى الباب الرابع : أعطيت صورا للخوارج على مر العصور والدهور .

ففى الفصل الأول : بينت أن الخوارج مدارس لتفصيل وحياكة الفتاوى وتصديرها .

وفى الفصل الثانى : أوضحت أن السلفية ثوب رياء لفكر الخوارج للقرن الثانى الهجرى .

وفى الفصل الثالث : كان ابن حزم الظاهرى مجدد فكر الخوارج فى القرن الثالث الهجرى .

وفى الفصل الرابع : كان ابن تيمية مجدد فكر الخوارج للقرن السابع الهجرى .

وفى الفصل الخامس : كان ابن عبد الوهاب مجدد فكر الخوارج للقرن الثانى عشر الهجرى .

وفى الفصل السادس : كان المودودى مجدد فكر الخوراج للقرن الرابع عشر الهجرى .

وفى الفصل السابع : ذكرت أن الفرقة التبليغية إرسالية سياحية لتوهيب المسلمين

وفى الباب الخامس : كانت الخاتمة أن إسلام الصوفية هو الحل لا إسلام الخوارج .

فعسى الله سبحانه وتعالى أن يرفع المظلمة التاريخية عن الصوفية ، ويكشف الرعوية الإبليسية لفكر الخوارج . ويكفى الأمة الإسلامية شر الإحن والفتن ، ويلم الشتات ، ويرتق الفتق ، ويداوى الجرح ، ويخمد نار التشرذم ، ويخزى الشيطان وحزبه فيكون الصوفية هم الفائزون ، خصوصا وأنهم من سلالة العترة الطاهرة ، الذين يعرفون الحق ، لأن الله رشحهم لذلك بعد ما علمهم ، فهم الراسخون فى العلم ، الذين يعلمون تأويل القرآن .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

دار الكتاب الصوفى
يوم الأثنين
٨ محرم ١٤١٤ هـ
٢٨ يونيو ١٩٩٣

طبع بإذن من
شيخ الطريقة العزمية
السيد عز الدين ماضى أبو العزائم
المحامى بالنقض



الباب الأول
الصوفية هداة ودعاة

جدل وحوار حول التصوف :

لقد أثير حول التصوف الإسلامى ـ قديما وحديثا ـ حوار وجدل .

فقد حاول بعض الفلاسفة الماديين ، وبعض المتزمتين الجامدين ، وساند هؤلاء وهؤلاء خصومُ الإسلام التّاريخيون ، حاولوا جميعا أن يثيروا دخانا وغبارا حول التصوف ليحجبوا سناءه وضياءه ، ولينالوا من جلاله وهداه .

حاولوا أن يصوروه سَبْحا فلسفيا خياليا ، وضعفا وزهدا انعزاليا ، وفرارا وانهزاما وهروبا من واقع الحياة ونضالها .

عجزت أقلامهم ، وتحطمت محاولاتهم ، وذهبت الريح بدعواهم .. وبقى التصوف .. منارة ومحجة للسالكين إلى الله ، وعزما وبأسا وإرادة منتصرة للمجاهدين فى الحياة ، بقى كما أراده الله ، أفقا أعلى للفكرة الإسلامية ، وقوة إيجابية تحمى الإسلام وتصون عقائده ، وتنشر دعوته ، وتناضل تحت رايته ، وتحمى جماهيره وتفكيره من الضعف والانحلال ، والغبار الوثنى والزيغ الإلحادى .

بقى يقدم لأتباعه ورواد مناهجه زاد الإيمان ولباس التقوى وروح الإسلام وأفقه الأعلى ، ويلهمهم قوة النضال وعزيمة الجهاد ، ويضفى عليهم أخلاق الأنبياء ، وآداب المرسلين ، وروح الكتاب المبين .

فالتصوف ليس ضعفا ولا خمولا ولا انعزالا بل جهادٌ فى أعلى ذراه ، وَعِلمٌ فى أصفى موارده ، وخلقٌ فى أعلى مُثله .

التصوف أعظم القوى الروحية فى العالم ، وأكبر الدعوات الانبعاثية فى التاريخ ، وأهدى المناهج الخلقية والتربوية والإيمانية ، التى ترتكز عليها الأمم فى نهضاتها ، وتستند

إليها الشعوب فى وثباتها ، لتكون دليلا ومرشدا للمسلم ، وهو يبنى حياته ويعد نفسه للغد العظيم .

الصوفى هو صانع التاريخ :

إنه اليوم يصنع التاريخ ، ويعيد بناء الحياة ، ويكتب على جبين الشمس نبأ ثورة الإسلام ووثبته .

ففى كل بقعة من بقاع الوطن الإسلامى الكبير ، توثب يقظ قوى ، ونهضةٌ فوارة بالأمل ، وبروز إلى ميادين الجهاد والنضال والحياة مشرقا متلألئاً ، جليلا ربانيا ، يرسم للناس أفق الإسلام الأعلى ، ويقدم زاد الإيمان والتقوى ، ويهدى إلى سبيل الخير والسلام .

ذلك هو التصوف الذى صنع بطولات الصدر الأول ، وصاغ رجاله وأئمته وأبطاله ، وترك على الشخصية الإسلامية طابع كماله وهداه ، لتكون أعلى وأطهر نماذج الحياة .

وذلك هو التصوف الذى كان له أكبر الأثر فى توجيهات العالم الإسلامى ، الفكرية والعلمية والتعبدية ، بل أكبر الأثر فى فتوحاته وانتصاراته العالمية ، وفى رسم أهدافه ومثله العليا ، الاجتماعية والخلقية والروحية .

الصوفية هم أهل السنة والجماعة :

لقد كان التصوف دائما وأبدا هو الأفق الأعلى للفكر الإسلامى ، والوجه الأكمل للفداء والتضحية ، وهو الروح الصانعة للعزمات والوثبات ، وهو الدرع الذى يحمى أخلاقنا ، ويصون عقائدنا ، ويحول بيننا وبين التحلل والتفكك والفناء .

لقد كان التصوف دائما أبدا هو الأفق الأعلى للفكرة الإسلامية ، والوجه الأكمل لآدابنا ومثالياتنا ، والشعلة المتوهجة فى قلوب أبنائنا ، والمعراج الذى نصعد عليه إلى سيادتنا وقوتنا .

فالتصوف فى الإسلام ، هو الكمال فى الإيمان ، والكمال فى كل شىء من شئون الحياة ، إنه الخلاصة الزكية لكل دعوة ربانية ، إنه الصدق والأمانة والوفاء والإيثار والنجدة والكرم ، ونصرة الضعيف وإغاثة الملهوف ، والتعاون على البر والتقوى ، والتواصى بالحق والصبر ، والتسابق إلى فعل الخير ، أيا كانت سبله ووجهاته .

إنه النضال لعزة الوطن ونصرة العقيدة ، وسيادة الإيمان ، إنه الصيحة الرهيبة فى وجه الطغيان والاستبداد والعدوان .

لقد استطاع التصوف الإسلامى أن ينشر الدعوة الإسلامية ، وأن يجعلها عالمية دون سلاح وغزو ، فهو الذى حمل نورها وهداها إلى أندونيسيا والفلبين والصين وقلب أفريقيا ، وهو الذى صمد فى وجه التيارات الإلحادية والانحلالية ، وهو الذى وقف حصنا شامخا يدفع عن الجماهير الإسلامية ، وثنية التتار وعصبية الصليبيين ، حتى أن الجبرتى ليحدثنا أن هزيمة الحملة الفرنسية على مصر ، إنما كانت على أيدى رجال المقاومة الشعبية من أبناء الطرق الصوفية وشيوخها ، الذين جعلوا من الأزهر والأحياء الشعبية فى القاهرة حصونا لا تقتحم ، ومشاعل للثورة لا يخمد لهيبها .

ويضيف لنا صاحب تاريخ بغداد أن المتوكل العباسى حينما ضاقت به الأرض وعصفت به الحروب ، نادى أهل الفتوة الصوفية ، فهرعوا إليه من كل مكان ، فكانوا جيشه الكبير الذى حمى الإسلام وصان حدوده .

الفصـــل الأول

التصـوف هـو خلـق الإسـلام

لقد جاء الإسلام دينا عالميا تتسع آفاقه للناس جميعا ، ومن ثَم جاءت تعاليمه لتشمل ما فى الناس من قوة وضعف ، وفطر وميول ، وإمكانيات وطاقات .

ولهذا حدثنا القرآن عن مقامات الدعوة : الإسلام والإيمان والإحسان والإيقان ، وعن مقام القانتين والعابدين والذاكرين والمحبين والراضين . إنها مقامات فى الطريق إلى الله ، وإنها درجات للعاملين من عباده المسلمين ، ولكل منها بقدر كفاحه وطاقته واجتهاده ، وما قُدِّر له يُسِّر .

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم جميعا ـ أو الكثرة الغالبة منهم ـ جامعين لهذه المقامات والدرجات كافة .

كانوا فقهاء وعلماء ، وعابدين ومحبين لله ، ومتبتلين فى طاعته ، وحافظين لأنفاسهم وخواطرهم ؛ حفظهم لفرائضهم وسننهم .

فلما اتسعت رقعة العالم الإسلامى ، وتعددت شعوبه وأممه ، وبعد ما بينهم وبين الوحى والرسول ، ودخلت الدنيا على الناس ، وابتدأت الشهوات والنزوات ، والمطامع والأهواء تلعب دورها وتنحرف بالقلوب عن عقيدتها ، قام رجال الصوفية يحافظون على روح الإسلام وآدابه .

مدارس الشريعة تحافظ على أركان الإسلام :

نشأت مدارس الحديث فى المدينة والعراق ، وتكونت مدارس الفقهاء فى الحجاز ومصر والشام وبغداد ، ثم نبتت مدارس لعلم الكلام بقواعده وأصوله ومناهجه ، ومدارس لعلوم التفسير بشرائطها وأصولها وفنونها .

وكانت هذه الحركات جميعها ـ مع جلالها ـ حركات علمية فكرية عمادها الفن ، وما يهدى إليه الفكر والبحث والجدل والحوار .

مدارس ـ مع عظيم نفعها ـ فهى أشبه بمدارس القانون أو الطب والهندسة ، تضع القواعد على المناهج المقررة ، بأسلوبها ومنطقها ، ولا يعنيها بعد ذلك الإنسان كقلب وروح وحس ووجدان ، وعقيدة وعمل وسلوك .

ولهذه الغاية العليا نهض رجال التصوف الإسلامى برسالتهم ، مستهدفين القلب والروح والوجدان والسلوك الإنسانى فى طريقه إلى الله ، وفى طريقه إلى الحياة .

قاموا للمحافظة على روح العبادة ، وجوهر الإسلام ، قاموا ليجعلوا من المثاليات العليا معراجا ربانيا ، ومنهاجا إنسانيا ، يصنع الإنسان الكامل ، ويصوغ المؤمن القوى العزيز الصالح للبقاء وللحياة ، ولخلافة الأرض التى أوجده الله عليها ، ليكون جديرا به سبحانه ، وجديرا بما أسبغ عليه من قوى هائلة سخرت لها ما فى السموات وما فى الأرض .

مدارس التصوف تحافظ على روح الإسلام وآدابه :

وكما اجتهد الفقهاء فى الفروع ، وكما ابتدع رجال الحديث القواعد للرواة والسند ، وكما كوّن علماء التفسير مناهجهم فى البحث عن الذات والصفات والممكن ، والأسباب والمسببات ، والقضاء والقدر .

اجتهد علماء التصوف وشيوخه ، وأقاموا معارفهم وعلومهم فى العبادات والأخلاق ، ومناهجهم فى السلوك ، وأمراض القلوب وعلل النفوس ، ونوازع الخير والشر ، وأنوار الذكر والطاعة ، ومقومات الشخصية الإسلامية الكاملة .

ويقول محى الدين بن عربى : لقد أجمع رجال التصوف جميعا على أنه لا تحليل ولا تحريم بعد شريعة رسول الله وخاتم النبيين صلوات الله عليه ، وإنما هو فهم يعطى فى القرآن لرجال الله ، كما ثبت من حديث على بن أبى طالب : « وفيض من العلم يهبه الله لمن أطاعه فألهمه وجعل له نوراً » .

وكما حفظ علماء الظاهر حدود الشريعة ، كذلك يحفظ علماء التصوف آدابها وروحها ، وكما أبيح لعلماء الظاهر الاجتهاد فى استنباط الأدلة ، واستخراج الحدود والفروع ، والحكم بالتحليل والتحريم على ما لم يرد فيه نص ، وترك أمره للاجتهاد والاستنباط ، كذلك للصوفية أن يستنبطوا آدابا وأذواقا ، ونهجا للمريدين والعابدين) .

تعدد طرق الاستنباط عند الفقهاء ومناهج الأخلاق عند الصوفية :

كما تعددت طرق الفقهاء فى البحث والاستنباط ، وأنواع الأدلة وفنون القياس ، تعددت مناهج التصوف فى السلوك والمعرفة ، والأخلاق والآداب ، والأذكار والأوراد ، والفتح والكشف وأسرار النفس .

فمدرسة شقت طريقها إلى الله على جناح من الخوف والرهبة ، وسلكت سبلها فى الحياة ، تمزج التربية والتصفية بالفقه والتوحيد ، وتجعل مكارم الأخلاق الأساس والجوهر لكل عبادة وطاعة .

ومدرسة قامت على المحبة الإلهية ، ثم ابتدعت فى سلوكها إلى الله المقامات والأحوال ، وما يترقرق بينهما من معرفة وأنوار ، ومواجيد وألحان ، ودعت الناس إلى المحبة والتعاطف والتراحم ، وأحالت الكون كله إلى أنشودة من الصفاء والإخاء والبر الشامل لكل ذى كبد رطبة .

ومدرسة قامت على محاسبة النفس وتزكيتها وعصمة الجوارح وتطهيرها ، ثم مشت إلى الدقائق والرقائق ، فأبدعت أعظم ما عرفت الدنيا من أسرار النفس ، وآداب الحس ، وملهمات الوجدان والشعور .

وأصبح لكل مدرسة أتباعها وأحبابها وروادها .

التصوف حمل راية الإسلام بالمعرفة والسلوك :

التصوف الإسلامى – على شموله ، وتعدد ساحاته – ينحصر فى سبيلين وتيارين : معرفة وسلوك ، ولكل أفق من هذين المنهجين رجاله وأئمته .

ولقد كان الصدر الأول من الصوفية ، رجال علم ومعرفة ، فلما أسسوا قواعد التصوف ، وأناروا سبله ، وحددوا أهدافه ، ورسموا صوره ، جاء رجال التربية ، وأساتذة السلوك والتوجيه ، ومن ثَمَّ نشأت هذه الطرق ، التى كان لها أكبر الأثر فى حياة العالم الإسلامى ، والتى كان لها المقام الأول فى تشكيل خصائصه الروحية والخلقية ، وملامحه الإيمانية والفكرية .

هذه الطرق التى ضمت داخل نطاقها أكبر المجموعات ، وأقوى الكتل ، التى صمدت عبر القرون والسنين فى وجه الغزو الخارجى ، والطغيان الداخلى ، والانحلال الروحى والمادى .

هذه الطرق التى هيمنت على الجماهير ، واحتفظت بإيمانها وأخلاقها ، وصانتها ووقَتها من التفكك والانهيار .

هذه الطرق التى أصبحت المصابيح المضيئة ، والشعل المتوهجة ، والمحجة الهادية ، والواحة الخصبة الظليلة التى تمنح الأمان والرِّىّ والحياة والاطمئنان للحيارى والضالين والمتعبين .

هذه الطرق التى احتفظت بالعلم الإسلامى ، والخلق القرآنى ، والهدى النبوى ، وأسست فى كل مكان المساجد والملاجىء ، والمعاهد والزوايا لطلاب العلم ، ولطلاب الحياة .

هذه الطرق التى نشرت الإسلام ، وحملت رايته إلى كل مكان ، وكسبت له الملايين ، وأسست دول المرابطين والموحدين ، لنجدة الأندلس ، ولحماية المغرب العربى من وثبات الأوربيين ، وفتكات القراصنة الناهبين .

وجهة النظر العالمية حيال الطرق الصوفية :

يقول المستشرق « ماركس » : « فى جبال الهند ، وغابات أندونيسيا ، وفوق الرمال الذهبية فى البلاد العربية ، وفى أحراش أفريقيا ، وذرى جبال الأطلس ، وعلى ضفاف الأنهار ، وفى أعماق القرى ، فى كل مكان هنا وهناك فى القارات الإسلامية ، يشاهد الإنسان أينما اتجه ، أبناء الطرق الصوفية بسمتهم وشعائرهم وحماسهم ، وفنائهم العجيب فى الإيمان بدينهم وإجلالهم لأوليائهم » .

ويقول المستشرق « لين » : « لقد أوجد الصوفية فى البيئات الإسلامية أربعة مبادىء هيمنت على التفكير الإسلامى ، وهذه المبادىء هى : حب الله ، وحب رسوله ، والثقة بالأولياء وتقديرهم ، والإيمان بشيوخ الطرق والخضوع لهم ، والاقتداء بهم » .

وهذه المبادىء هى التى وقفت فى وجه الاستعمار الأوربى ، وحالت بينه وبين خضوع المسلمين لمناهجه ونظمه وعاداته وتقاليده ، بل حالت بين المسلمين ، وبين ما أريد بهم من التحلل من الإسلام كدين صامد فى وجه الغزو الأوربى ، وأسلوب أوربا فى الحياة .

ويقول المستشرق العلامة « جيب » : « إن التصوف الإسلامى صورة سامية لكل ما فى التاريخ من معانى الخير والجمال ، وعلى هذا فإن الصوفى المسلم يستطيع أن يكون مغتبطا وواثقا بما يعتقد ، فهو يرى ويحس بأن روح دينه هى المثل الأعلى السخى السمح ، كأرفع ما يكون العلو والسخاء والسماحة ، وخصوصا حين يراه معروضا بإصلاحات العصر » .

ويقول المستشرق « نيكولسون » متحدثا عن صلة التصوف والصوفية وحبهم واقتدائهم برسول الله صلوات الله عليه : « ومن هنا كانت الصلة التى تربط أهل التصوف بمحمد ـ ﷺ ـ أقوى وأكبر من تلك التى تربط غيرهم به مهما كانت درجتهم فى التقوى ، ومهما عظمت محبتهم له ، لأن هؤلاء الأخيرين لا ينظرون إليه إلا نظرتهم إلى المثل الأعلى فى الدين والأخلاق ، وهم من أجل هذا يعظمونه ويوقرونه ولكن التعظيم والتوقير شىء ، والمحبة شىء آخر ، والمحبة بالمعنى الصوفى معناها فناء المحب فى المحبوب .

ومن هذه الناحية يعتبر الصوفية أنفسهم خلفاء النبى ، والممثلين الشخصيين له فى خلافته عن الله » .

تلك هى وجهة النظر العالمية حيال الطرق الصوفية ، يعرضها علينا أكبر الأساتذة المتخصصين فى دراسة الأديان والتاريخ .

وجهات الفكر الإسلامى حيال الصوفية :

وأما وجهات الفكر الإسلامى فيحدثنا عنها حجة الإسلام الإمام الغزالى فيقول : « إنى علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى ، خاصة وأن سيرتهم أحسن السير ، وطريقتهم أصوب الطرق ، وأخلاقهم أزكى الأخلاق ، بل لو جمع عقل العقلاء ، وحكمة الحكماء ، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ، ليغيروا شيئا من سيرهم وأخلاقهم ، ويبدلوه بما هو خير منه ، لم يجدوا إلى ذلك سبيلا ، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم فى ظاهرهم وباطنهم من نور مشكاة النبوة ، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به » .

ويقول الإمام الحارث المحاسبى ـ بعد حديث طويل عن جهاده للوصول إلى الحق حتى اهتدى إلى التصوف ورجاله ، وهى من أروع ما كتب فى وصف الحياة الصوفية

والخلقية والإيمانية ـ : « ... فقيض لى الرءوف بعباده قوما وجدت فيهم دلائل التقوى ، وأعلام الورع ، وإيثار الآخرة على الدنيا ، ووجدت إرشادهم ووصاياهم موافقة لأفاعيل أئمة الهدى ، مجتمعين على نصح الأمة ، لا يرجون أحدا فى معصية ، ولا يقنطون أحدا من رحمته ، يرضون أبدا بالصبر على البأساء والضراء ، والرضا بالقضاء ، والشكر على النعماء ، ويحببون العباد إلى الله تعالى بذكرهم أياديه وإحسانه ، ويحثون العباد على الإنابة إلى الله تعالى ، علما بعظمته ، وعظيم قدرته ، وعلما بكتابه وسننه ، فقهاء فى دينه ، علماء بما يحب ويكره ، ورعين فى البدع والأهواء ، تاركين التعمق والإعلاء ، مبغضين للجدل والمراء ، متورعين عن الاغتياب والظلم والأذى ، مخالفين لأهوائهم ، محاسبين لأنفسهم ، مالكين لجوارحهم ، ورعين فى مطاعمهم وملابسهم وجميع أحوالهم ، مجانبين للشبهات ، تاركين للشهوات » .

ثم يقول : « فأيقنت أنهم العاملون بطريق الآخرة ، والمتأسون بالمرسلين ، والمصابيح لمن استضاء بهم ، والهادون لمن استرشدهم ، فأصبحت راغبا فى مذهبهم ، مقتبسا من فوائدهم ، قابلا لآدابهم ، محبا لطاعتهم ، ففتح الله لى علما ، به انفتح لى برهانه ، وأنار لى فضله » .

الطرق الصوفية جامعات للتربية :

والطرق الصوفية هى فى حقيقتها جامعات كبرى للتربية والتهذيب والتعليم ، وإعداد أتباعها إعدادا إيجابيا للنضال والجهاد فى سبيل المثل العليا فى الحياة فوق رسالتها الأصلية ، وهى الدعوة إلى الله سبحانه ، وهداية المريدين إلى الصراط المستقيم ، وإرشادهم إلى السلوك الموصل إلى رضوان الله سبحانه ومحبته بالذكر والعبادة ، وتطهير القلب ، وتزكية الجوارح ، ومكارم الأخلاق ، وخدمة المجتمع ، والحب للناس كافة .

وهذه الجامعات هى بحق أعرق الجامعات التربوية العالمية ، وما أحسب أن جامعة من جامعات العلم فى القديم والحديث ، اتسعت آفاقها وبرامجها ، كما اتسعت آفاق تلك الجامعات الصوفية .

وهذه الطرق هى جامعة القرآن ، ومدرسة النبوة ، والمعهد العالى الذى ينجب للدنيا الصورة المثالية للإنسان الكامل فى دينه ودنياه .

الفصـــل الثانــى

خصومات بين طوائف العلماء وخصومات حول التصوف

الخصومات بين طوائف العلماء :

بيَّنَّا فيما سبق أن الصوفية هم أهل السنة والجماعة ، وما عداهم إما خوارج أو شيعة ، وقلنا إن التصوف هو خلق الإسلام ، وأن مدارس الشريعة حافظت على أركان الإسلام ، وأن مدارس التصوف تحافظ على روح الإسلام وآدابه ، وأنه إذا تعددت طرق الاستنباط عند الفقهاء ؛ تعددت مناهج الأخلاق عند الصوفية ، وأن التصوف حمل راية الإسلام إلى كل مكان بالمعرفة والسلوك ، وأن الصوفية هي التى نشرت الإسلام فى أفريقيا وآسيا ، وأن الصوفية هم الممثلون الشخصيون للنبى ﷺ فى خلافته عن الله ، وهنا نتكلم عن الخصومات بين طوائف العلماء والخصومات حول التصوف :

تعددت معارف العالم الإسلامى حينما اتسعت حضارته ، وشملت أمما وشعوبا وألوانا من الناس والبيئات والطبقات ، ومشت إلى جوار ما ورثت هذه الأمم من معارف وعقائد وتفكير فلسفى جامح مرتاب .

ومن ثَمَّ تسرب إلى أفق الحياة الإسلامية مواريث هذه الحضارات ، وبعض عقائدها ، وألوان تفكيرها ، وتسرب إليها أيضا الجدل والحوار ، والتعصب الفكرى ، والسبح الفلسفى الذى يجرى وراء الأهواء والنزوات .

ورأينا تبعا لذلك عجبا !! رأينا الخصومات الحارة العنيفة تقوم بين طوائف العلماء ، وتندلع بين صفوف المفكرين ، ورأينا هؤلاء العلماء والمفكرين تجمح بهم عصبيتهم لعلومهم إلى مخاصمة كل علم ، ومحاربة كل منهج غير علمهم ومنهجهم .

وشب الصراع بين الفقهاء ، ورجال الكلام ، وعلماء التفسير ، ورواة الحديث ، ثم انقسم هؤلاء وهؤلاء إلى طوائف وشعب ، وتعددت ساحات الصراع ، واستعملت فيها

كافة الأسلحة ، وكان الضحية لهذه الحرب هو العالم الإسلامى ، والعلم الدينى ، والتفكير الإيمانى .

لقد استحال الإسلام من عبادة إلى جدل ، ومن علم إلى حوار ، ومن إيمان إلى سفسطة فى لهوات هؤلاء الرجال ؛ الذين لم يعد يعنيهم إلا الفوز فى حلبة الصراع والنضال .

خصومات حول التصوف :

ومع أن الصوفية لم يشتركوا قط من جانبهم فى هذا الصراع ، ونزهوا أوقاتهم وصانوها من أن تفنى فى هذا الحوار الطائفى ، وأقبلوا على ربهم عبادة وذكرا ، وأقبلوا على دينهم بقلوبهم يأخذون بعزماته ، ويرفعون راياته ، ويدعون الناس إلى ساحاته ، وأقبلوا على حياتهم معتصمين بأخلاقهم ، مجاهدين مناضلين فى سبيل الارتفاع بالإنسانية إلى مناطق النور والخير والسلام .

ومع أنهم قد وقفوا على الجادة الوسطى ، والمحجة البيضاء فى غير تعصب ولا استعلاء ، فقد هاجمهم – فى عنف وفى مرارة ، وفى عصبية موتورة – المتعشقون للذم والمراء ، الذين لا تحلو لهم الحياة إلا فى سعار من الحقد ، وفى عاصفة من البغضاء .

ابن تيمية يهاجم التصوف :

هاجمهم ابن تيمية ومدرسته ، ومن مشى فى أعقابهم ، وتحت أذيالهم ، هاجمهم هو وأتباعه فى حبهم لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وإجلالهم له ، وصلواتهم الدائمة عليه ، وهاجمهم فى حبهم لأولياء الله وتقديرهم لهم واحتفالهم بموالدهم ، وهاجمهم فى مناهجهم فى السلوك والتربية ، والتصفية والتحلية ، والمحبة الربانية وما يتبعها من ذوق وشوق ، وإلهام ومقامات وأحوال ، وهاجمهم فى حرصهم على أورادهم وأذكارهم ، وتعدد طرقهم ، كما هاجمهم فى زهدهم وآدابهم ومناهج معارفهم ، وجعل عنوان ذلك كله تهمة ضخمة : إنهم – فى زعمه – أعداء التوحيد ، وأعداء السنة .. !! .

خصوم آخرون للتصوف مع ابن تيمية :

وتلك الحملة التى قادها ابن تيمية ومدرسته ، تُصوِّر تماما كافة التهم التى ألقيت على التصوف والصوفية ، سواء من جانب أتباع الفلسفة المادية ، أو من جانب المتزمتين من

أبناء الدراسات الفقهية الذين حبسوا أنفسهم داخل القوالب المتحجرة ، ويساند هؤلاء وهؤلاء ـ اليوم ـ الذين استهوتهم شهوات الحضارة الأوربية وبريقها ، فتنادوا بتلك المبادىء الانحلالية ، من وجودية وإلحادية .

ابن تيمية مجسِّم ومشبِّه :

وابن تيمية هذا ـ مع علمه ـ عرف بالشذوذ الفكرى ، والتعصب الغضوب ضد كل من يخالفه فى الرأى والتفكير ، لقد نادى ابن تيمية بالمعنى الحرفى للقرآن ، فخاصم بذلك كل رأى فى تفسيره ، ولم يقبل ـ حتى فى الآيات التى توهم بالتجسيم ـ تأويلا ، أو صرفا لها إلى المعنويات ، وفسَّق كل المذاهب الإسلامية فى علم الكلام ، وحرم الاجتهاد على الناس جميعا وأباحه لنفسه ، فحدد صفات الله سبحانه حسب رأيه ، وحرم زيارة قبور الأولياء ، وقراءة القرآن لهم ، وتغالى فنادى بأن من يزور قبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه تقربا أو طلبا للشفاعة ، فهو ضال مبتدع .. !! .

ولم يَسْلَم من لسانه ولا من قلمه طائفة من المسلمين ، ومن ثَمّ نال التصوف ورجاله من قلمه ومن لسانه بالقسط الأوفى من الاتهام والسباب .

رد الصوفية على ابن تيمية :

أما أن الصوفية يحبون الله ورسوله ، حبا يملك عليهم وجدانهم وقلوبهم وأرواحهم وحياتهم ، ويجعلون من حبه جل جلاله ومن طاعته وعبادته منهجا وطريقا للعلم وللفتح والإلهام ؛ فهذا هو لب الإسلام ودعوته ، والله سبحانه يقول : ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله** ﴾(١) . « **إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا** »(٢) « **وعلمناه من لدنا علما** »(٣) . « **قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك** »(٤) .

والرسول صلوات الله عليه يقول : « من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم » وهذا باب طويل فى الكتاب والسنة يرشد إلى أن العبادة والطاعة طريق ربانى للعلم والمعرفة .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٢ .
(٢) سورة الأنفال آية ٢٩ .
(٣) سورة الكهف آية ٦٥ .
(٤) سورة النمل آية ٤٠ .

وهذا العلم المفاض ، وهذا الإلهام والكشف ، أُسسه وشرائطه لدى الصوفية كافة أن يكون مقيداً بالكتاب والسنة .

فليس هناك ـ مثلا ـ فَهْمٌ باطنٌ يزيد أو ينقص من الفرائض ، ولا فهما باطنا يعطل شيئا من الشرائع ، وإنما هو فهم فى المعنويات ، وفهم فى الكمالات التعبدية ، والتحليات الأخلاقية .

يقول الإمام أبو الحسن الشاذلى : « إذا تعارض كشفك مع الكتاب والسنة ، فتمسك بالكتاب والسنة ، ودع الكشف وقل لنفسك : إن الله تعالى ضمن لى العصمة فى الكتاب والسنة ، ولم يضمنها فى جانب الكشف والإلهام » .

هذا هو العلم الباطنى فى التصوف وتلك شرائطه وحدوده ، فبأى آية من آياته يكذبون ؟! .

وأما أن الصوفية يحبون أولياء الله ويوقرونهم ويجلونهم ، فهو حب فى الله وبالله ، إنه حب الاقتداء والأسوة الصالحة ، وكل من أحب إنسانا أحب عمله ، وأحب منهجه ، إن الصوفى لا يحب الولى لذاته ، وإنما يحبه لربه ، يحبه لعقيدته ، يحبه لأنه صورة من الصور المثالية التى يحبها الله ، ويعتز بها الإسلام « وما تحاب اثنان فى الله إلا كان أحبهما لصاحبه أحبهما إلى الله » إن الصوفى لا يعبد الولى ، ولا يسأله شيئا ، لأنه يعيش دائما أبدا تحت ظل التوحيد الصافى الذى يقوم عليه منهجه ، إن الصوفى يصل فى توحيده وفى تنزيه توحيده ، حتى أنه يعتقد أن الزلفى إلى الناس من الشرك الخفى ، فكيف يتوهم بعد ذلك هذا الوهم فى ولىّ؟ ! .

وأما أن الصوفية قد سلكوا فى طريقهم إلى الله سبلا وأنشأوا طرقا ، وجعلوا لهم وَأَوداداً وأذكارا وأئمة وشيوخا ، وأحالوا الكون إلى محاريب للتقوى ، وساحات للنجوى ، وآمنوا بأن عبادة الله وطاعته وحبه تفيض على الدنيا النور والرخاء والأمن والسلام ، وتحفها بالرحمات والبركات ؛ فإن الله سبحانه يقول : ﴿ **استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا** ﴾[1] .

---

(١) سورة نوح آية ١٠ – ١٢ .

ذلك منطق القرآن وتلك آياته .. فبأى حديث بعده يؤمنون ؟ ! .

وأما تعدد الطرق فى منهج التصوف ، فليس بدليل – كما يزعمون – على ابتداعها ، فتعددها كتعدد المذاهب الفقهية ، يفتح للمؤمنين آفاقا فى السلوك وآفاقا فى العبادة ، بحسب إلهامات الشيوخ واجتهادات الأئمة .

وكما أن لكل مسلم فقيها يقتدى به ، فكذلك لكل صوفى شيخ يرشده إلى الطريق الإيمانى ، والسلوك المثالى ، وكما يعنى الفقيه بأركان الصلاة وشروطها مثلا ، يعنى الصوفى بآداب الصلاة وطهارتها الباطنية ، وخشوعها القلبى .

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفا من البحر أو رشفا من الديم

إن الزهد الصوفى – كما عبر عنه شيوخه وعلماؤه – ليس فقراً مذلا ، ولا ضعفا مميتا ، ولا قناعة خانعة ، إنه ترفع وإباء ، وعزة وكرامة ، وعزيمة ورياضة .

هو أن تكون الدنيا فى يدك لا فى قلبك ، هو أن تملك المال ولا يملكك المال ، هو أن تسخر الجاه والمنصب للخير والحق ، لا أن يسخرك الجاه والمنصب حتى تهين وتذل ، وتخاصم الخير والحق والواجب .

تلك هى المطاعن التى وُجِّهت إلى الصوفية ، وهى عند كل منصف تريه آيات ترتفع بهم إلى أسمى وأعلى صور الكمال الإنسانى ، والإيمان التوحيدى .

الفصــــل الثالـث

الجهــاد الصـوفى

التصوف جهاد ضد هوى النفس وضد الطغيان والبطش :

التربية الصوفية ــ بما فيها من تصعيد وتسامى ، وارتفاع فوق الغرائز والشهوات ، واعتصام بالمثل وإكبار لها ، وفناء واستشهاد فى سبيلها ــ إنها تربية فوق ما تعرف الدنيا من تربية وتهذيب ، لأنها تنفذ إلى الأعماق ، وتعمل فى الباطن والظاهر ، إنها تربية تشمل الضمير والوجدان والحس ، كما تشمل اليد واللسان والجوارح .

والجهاد الصوفى الشاق العنيف فى سبيل الكمال فى كل ميدان من ميادين الحياة ، إنه جهاد ضد النفس والهوى والجشع والطمع ، والحقد والحسد ، كما هو جهاد ضد الطغيان والجبروت والبطش ، بالحكمة والموعظة الحسنة لا بالإرهاب والاغتيال ، إنه جهاد للتصفية وللتسامى ، ورياضة للقوة والتفوق ، جهاد يمنح الصوفى عزيمة لا تقهر ، وإرادة لا تغلب ، وعزيمة وإباء ، وإيجابية عملية ، وشجاعة نفسية ، لا أحسب أن شجاعة فى الدنيا تسابقها أو تطاولها .

يكتب حجة الإسلام الإمام الغزالى إلى « ابن تاشفين » ملك المغرب فيقول له : « إما أن تحمل سيفك فى سبيل الله ونجدة إخوانك فى الأندلس ، وإما أن تعتزل إمارة المسلمين ، حتى ينهض بحقهم سواك » .

ويقول الإمام محى الدين بن عربى شيخ الصوفية الأكبر ، للملك الكامل حينما تهاون فى قتال الصليبيين : « إنك دنىء الهمة ، والإسلام لن يعترف بأمثالك ، فانهض للقتال ، أو نقاتلك كما نقاتلهم » ويطغى المماليك فى أرض مصر فيثور العز بن عبد السلام الصوفى الكبير ، ويأمر بالقبض على المماليك ، ويعلن أنه قد اعتزم بيعهم فى سوق الرقيق لأنهم خانوا أمانة المسلمين .

ويرى حاتم الأصم شقيقه البلخى ــ وكلاهما من أعلام الصوفية ــ يراه يضحك بين الصفوف فى موقعة الترك ، فيقول له : مايضحكك ؟ فيقول : « ألا أضحك وأنا فى

أحب المواطن إلى الله .. ؟! إن أسعد أوقاتى ، وأرجاها عندى ، أن يرانى ربى ضاربا بسيفى فى سبيله ، وأنا بعد أحرص على الموت من حرصى على الحياة » .

ويقول عبد الملك بن مروان ـ الخليفة الأموى ـ لابن البيطار ـ الصوفى ـ فى غطرسة وغرور الملك : « أنا عبد الملك فارفع حوائجك إلىَّ » فيقول له فى عزة المؤمن ، وكبرياء الصوفى : « وأنا أيضا عبد الملك ، فهلم نرفع حوائجنا إلى مَن أنا وأنت له عبدان » .

ويقول الإمام الشعرانى مؤرخ التصوف : « من لبس جديدا ، أو أكل هنيئاً ، أو ضحك فى نفسه ، أو سعد فى بيته ـ والأمة الإسلامية فى كرب أو شدة ـ فقد برىء منه الإسلام » .

هذه الشمائل الصوفية النبيلة ، وهذه الخطوط العريضة ، من الإنسانية الرفيعة ، والأخلاق الفاضلة ، والشجاعة العالية ، هى ما نحتاجه اليوم فى نضالنا الملتهب ، وصراعنا الحار ، وجهادنا القوى لبناء أمتنا وإعدادها لدورها التاريخى العظيم .

التصوف درع وحصن يقى أمتنا ويحميها :

إننا نواجه اليوم الاستعمار العالمى ، ونصارع الصهيونية الدولية ، وهذا الصراع الهائل سيكتب فيه النصر الحاسم ، لمن يملك قوى روحية وأدبية ومعنوية أعز وأقوى .

إن الأمم إذا تفككت خلقيا ، أو ضعفت معنويا ، أو فقدت قوتها الإيجابية ، وأضاعت عزيمة النضال وروح التفوق ، فهى أمة منهزمة ضائعة بين الأحداث وعصف الوقائع .

فلنتجه إلى رسالة التصوف نستمد منها القوة الخلقية ، والعزة الإيمانية ، والفضائل الروحية ، فنتخذها درعا وحصنا يقى أمتنا ويحميها ، ومعراجا تصعد عليه إلى أهدافها وأمانيها .

إن الصانع الذى نعده لنهضة مصانعنا ، والتاجر الذى نهيئه للوثوب بتجارتنا ، والمزارع المكافح فى حقولنا ، والجندى الذى ندربه ليحمى بلادنا ، كل هؤلاء يزدادون عزما وبأسا ، وإخلاصا وتفوقا ، إذا ربطنا قلوبهم بالإيمان ، وأعمالهم بالأخلاق .

يجب أن يعلم الصانع أن الله سبحانه يحب من عبده إذا عمل عملا أن يتقنه ، وأن الله يراقبه ويشاهده ، لأنه فى أعماق نفسه ، وفوق يده وبصره .

والتاجر فى متجره أو سُوقه ، يجب أن يدرك أن البركة فى الصدق ، والخير فى العفة ، وأن الرزق من عند الله الذى يعلم ما تخفى القلوب والصدور ، قبل أن يعلم الحارس والرقيب .

والزارع والحاكم والموظف والجندى ، وكل مواطن يعيش فوق أرضنا المقدسة ؛ إن الله جل جلاله فى ضمائرهم ، وفوق سمعهم وسعيهم ، نواصيهم بيده ، وأرزاقهم تهبط إليهم من عنده ، وليست فى الأرض ولا فى السماء ، قوة تملك خيراً أو شرا ، إلا قوته وحده جل جلاله ؛ الواحد القهار .

وشبابنا هو عدتنا الكبرى ، إن أفكارا من هنا وهناك تخايله ، فيها رياح وثنية ، وعواصف وجودية ، وتيارات انحلالية ، وإن صحفا ملوثة هازلة ، وكتبا جنسية ماجنة ، تغمره وتأخذ عليه بصره وسمعه ، وإن فكر الخوارج البغاة يواثبه للخروج من الجهاد الأكبر ــ ألا وهو جهاد النفس ــ إلى جهاد القتل وسفك الدماء باسم التكفير والتشريك والتبديع ، والإسلام من هذا الفكر براء ، وإن صحفا ومجلات تدعو لفكر الخوارج ، وكتبا تزرع الإرهاب وتكفِّر المجتمع ، تغمر شبابنا وتأخذ عليه بصره وسمعه .

إننا يجب أن نحمى شبابنا ، وأن نزوده بالإيمان ، ونحصنه بالأخلاق ، ونحليه ونكمله بالروح والمثاليات والفضائل .

إن الوفاء والنبل ، والصدق والشرف ، والعفة والنجدة ، والبأس والشجاعة ، والعزة والكرامة ، والإخلاص والفضيلة ــ وكل صفة عالية ربانية ــ لا تنبعث من فكر الخوارج البغاة ، ولا تأتى من أفق المتصوفة الغلاة .

إنها صفات من وحى الله ورضاه ، من إلهام الدين وينابيعه ، ومن رسالة التصوف ومناهجه .

يجب أن يشع الروح الصوفى ، الطاهر المؤمن القوى ؛ فى حياتنا ووجودنا ، وأن نجعله مادة فى معاهدنا ومدارسنا ، ونورا فى صحفنا وكتبنا وإذاعتنا ، وحياة ملهمة فى كل مرفق من مرافق نهضتنا .

حينئذ نظفر برضوان الله ، وبسيادة الحياة ، وتمتلىء أيدينا بعزة الصوفيين ، وبأس المؤمنين ، ويتحقق فينا قول ربنا سبحانه : « **ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين** »[1] .

(١) سورة آل عمران آية ١٣٩ .

الباب الثاني

الخوارج بغاة وقضاة

الفصل الأول

الخوارج فى الكتاب والسنة

الخوارج ... وما أدراك ما الخوارج :

الخوارج فى اللغة : جمع خارج ، وفى الاصطلاح : من خلع طاعة الإمام ، والمراد هنا طائفة مخصوصة كان أول خروجهم على أمير المؤمنين الخليفة الراشد الإمام على بن أبى طالب عليه السلام ، وقد كشف القرآن الكريم عن هويتهم ، وفضحت السُّنة مسالكهم .

الآيات القرآنية النازلة فى الخوارج :

جاء فى القرطبى ج ٧ ص ٩ – ١١ فى تفسير (**قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض** »[١] : فقد روى أنه لما نزلت هذه الآية ، قال النبى ﷺ لجبريل : « ياجبريل ما بقاء أمتى على ذلك ؟ فقال له جبريل : إنما أنا عبدك مثلك فادع ربك وسله لأمتك ، فقام رسو الله ﷺ فتوضأ وأسبغ الوضوء ، وصلى وأحسن الصلاة ، ثم دعا ، فنزل جبريل وقال : يا محمد ، إن الله سمع مقالتك ، وأجارهم من خصلتين ، وهما العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، فقال : ياجبريل ما بقاء أمتى إذا كان فيهم أهواء مختلفة ويذوق بعضهم بأس بعض ؟ فنزل جبريل بهذه الآية : ﴿ **الٓمٓ أحسب الناس ن يتركوا**

(١) سورة الأنعام آية ٦٥ .

أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴾[1] والفتنة من الله تعالى باقية فى ثغور المسلمين ــ نعوذ بوجه الله من فتنة النفس ــ وقد فسر ابن عباس « **أو يلبسكم شيعاً** » أنه هو الأهواء المختلفة ، كما فسر (**ويذيق بعضكم بأس بعض**) أى : تكفير البعض للبعض حتى يتقاتلوا . وهذا الذى حدث للخوارج حين خرجوا على أهل السنة والجماعة .

عن الحسن قال : خرج علينا عثمان بن عفان يوما يخطبنا فقطعوا عليه كلامه ، فتراموا بالبطحاء ، حتى جعلت ما أبصر أديم السماء قال : وسمعنا صوتا من حجر أزواج النبى ﷺ ، فقيل : هذا صوت أم المؤمنين . قال : فسمعتها وهى تقول : ألا إن نبيكم قد برأ ممن فرق دينه واحتزب ، وتلت قوله تعالى من سورة الأنعام آية ١٥٩ ﴿ **إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء** ﴾ وعن أبى أمامة أن هذه الآية نزلت فى الخوارج .

وجاء فى تفسير ابن جرير الطبرانى ج ١٦ ص ٢٧ عن قوله تعالى : ﴿ **هل نبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا** ﴾[2]أنه سأل عبد الله بن الكوا الإمام عليًّا عليه السلام عن تفسير هذه الآية ، قال : « أنتم يا أهل حاروراء » (حاروراء : قرية بقرب الكوفة ينسب إليها فرقة من الخوارج كان أول اجتماعهم بها ، وتعمقوا فى أمر الدين حتى مرقوا منه ، ومنه قول عائشة رضى الله عنها : أحرورية أنت ؟ .. معناه : أخارجة عن الدين ؟) وقد ذكر هذا المعنى الزمخشرى فى الكشاف ، والفخر الرازى أيضا فى تفسيره الكبير .

وجاء فى تفسير السيوطى فى الدر المنثور قوله تعالى فى سورة إبراهيم آية ٢٨ : ﴿ **ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً** ﴾ أن ابن الكوا سأل الإمام عليًّا عليه السلام : من الذين بدلوا نعمة الله كفراً ؟ قال : هم الفجار من قريش كفيتهم يوم بدر ، قال : فمن الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ؟ قال : منهم أهل حاروراء .

وجاء فى تفسير الزمخشرى فى الكشاف فى قوله تعالى : ﴿ **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** ﴾[3] قال : وعن أبى أمامة : هم الخوارج ، ولما رآهم على درج دمشق دمعت

(١) سورة العنكبوت آية ١ ــ ٢ .
(٢) سورة الكهف آية ١٠٣ ــ ١٠٤ .
(٣) سورة آل عمران آية ١٠٦ .

عيناه ، ثم قال : كلاب النار ، هؤلاء شر قتلى تحت أديم السماء ، وخير قتلى تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء ، فقال أبو غالب : أشىء تقوله برأيك أم شىء سمعته عن رسول الله ﷺ ؟ قال : بل سمعت من رسول الله ﷺ غير مرة .

وذكر السيوطى فى الدر المنثور فى ذلك تفسير قوله تعالى فى سورة الحجر آية ٢ : ﴿ **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** ﴾ قال : وأخرج ابن أبى حاتم والطبرانى وابن بردويه عن زكريا بن يحى قال : سألت أبا غالب عن هذه الآية : ﴿ **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** ﴾ فقال : حدثنى أبو أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال : إنها نزلت فى الخوارج حين رأوا تجاوزاً لله عن المسلمين وعن الأمة والجماعة قالوا : يا ليتنا كنا مسلمين .

حكى أن بطال فى شرح البخارى عن أبى حنيفة أنه قال : لقيت عطاء بن رباح بمكة فسألته عن شىء فقال : من أين ؟ قلت : من أهل الكوفة ، قال : أنت من أهل الكوفة الذين قال الله فيهم فى سورة الأنعام : ﴿ **إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء** ﴾[1] قلت : نعم ، قال : من أى الأصناف أنت ؟ قلت : ممن لا يسب السلف ، ويؤمن بالقدر ، ولا يكفر أحداً بذنب ، فقال عطاء : عرفت فالزم .

الأحاديث النبوية النازلة فى الخوارج :

تبنأ النبى ﷺ بالخوارج فى الحديث الذى رواه أبو سعيد الخدرى قال : « بينا رسول الله ﷺ يقسم قسما ـــ قال ابن عباس : كانت غنائم هوازن يوم حنين ـــ إذ جاء رجل من تميم مقلص الثياب ذو شيماء ، بين عينيه أثر السجود فقال : اعدل يارسول الله ، فقال : ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل » ثم قال : « يوشك أن يأتى قوم مثل هذا يحسنون القيل ويسيئون الفعل ، هم شرار الخلق والخليقة » ثم وصف ﷺ صلتهم بالقرآن فقال : « يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه فى شىء ، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يحسبونه لهم وهو عليهم » ثم كشف ﷺ النقاب عن عبادتهم المغشوشة فقال : « ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشىء ، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشىء ، ولا صيامكم إلى صيامهم بشىء » ثم أزاح النبى ﷺ الستار عن أهدافهم فقال : « يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية » ثم أعطانا النبى ﷺ

---

(١) سورة الأنعام آية ١٥٩ .

وصفا مجسما لسيماهم فقال : « محلقين رؤوسهم وشواربهم ، أزرهم إلى أنصاف سوقهم » ثم ذكر النبى ﷺ علامتهم المميزة فقال : « يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان » ثم طالبنا رسول الله ﷺ إذا لقيناهم أن نقاتلهم فقال : « فمن لقيهم فليقاتلهم ، فمن قتلهم فله أفضل الأجر ، ومن قتلوه فله أفضل الشهادة » .

قال أبو سعيد : فأشهد أنى سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ ، وأشهد أن عليا ابن أبى طالب عليه السلام قاتلهم وأنا معه .

وقد روى ذلك الحديث النسائى فى خصائصة ص ٤٣ ، ٤٤ ، ومسلم فى صحيحه فى كتاب الزكاة باب التحذير من الاغترار بزينة الدنيا ، وابن الأثير الجزرى فى أسد الغابة ج ٢ ص ١٤٢ ، ورواه كذلك ابن جرير الطبرى فى تفسيره ج ١٠ ص ١٠٩ ، وأحمد بن جنبل فى مسنده ج ١ ص ٧٨ ، ٨٨ ، ٩١ وقال فيه : يقتلهم أولى الطائفتين بالله ، والهيثمى فى مجمعه ج ٦ ص ٢٣٤ .

وجاء فى صحيح مسلم فى كتاب الزكاة فى باب التحريض على قتل الخوارج ، روى بسنده عن زيد بن وهب الجهنى ، أنه كان فى الجيش الذين كانوا مع علىّ عليه السلام الذين صاروا إلى الخوارج فقال علىّ عليه السلام : أيها الناس إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يخرج قوم من أمتى يقرأون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشىء ، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشىء ، ولا صيامكم إلى صيامهم بشىء ، يقرأون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم ، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية » .

وقد روى ذلك الحديث أبو داود أيضا فى صحيحه ج ٣٠ فى باب قتال الخوارج ، وأحمد بن حنبل فى مسنده ج ١ ص ٩١ ، والبيهقى فى سننه ج ٨ ص ١٧٠ ، وغير هؤلاء من أئمة الحديث .

وجاء فى تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ج ١ ص ١٥٩ ، روى بسنده عن نبيط بن شريط الأشجعى قال : لما فرغ علىّ بن أبى طالب عليه السلام من قتال أهل النهروان قفل أبو قتادة الأنصارى ومعه ستون ــ أو سبعون ــ من الأنصار قال : فبدأ بعائشة ، قال أبو قتادة : فلما دخلت عليها قالت : ما وراءك ؟ فأخبرتها فقالت عائشة : ما يمنعنى ما بينى وبين علىّ أن أقول الحق ، سمعت النبى ﷺ يقول : « تفترق أمتى على فرقتين تمرق بينهما فرقة يحلقون رؤوسهم محفون شواربهم ، أزرهم إلى أنصاف سوقهم ،

يقرأون القرآن لا يتجاوز تراقيهم ، يقتلهم أحبهم إلىَّ وأحبهم إلى الله تعالى » قال : فقلت : يا أم المؤمنين ؛ فأنت تعلمين هذا فلم كان الذى منك ؟ قالت : يا أبا قتاده ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، وللقدر أسباب .

وذكر الهيثمى فى مجمعه ج ٤ ص ٢٣٩ قال : وعن عائشة أنها ذكرت الخوارج وسألت : من قتلهم ؟ ـ تعنى أصحاب النهر ـ فقالوا : علىّ عليه السلام ، فقالت : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « يقتلهم خيار أمتى ، وهم شرار أمتى » قال : رواه البزار ورواه الطبرانى من الأوسط بنحوه .

الفصـــل الثانـــى

خـــوارج عهـــد النبى ﷺ

الذين خرجوا على الرسول ﷺ وشاقوه :

الحق هو ما تشهد به القلوب التى لم تفسد أصلا ، وتطمئن إليه النفوس التى لم تدنس ، وتطيب به الحياة التى لم ينحرف أهلها عن الصراط المستقيم .

وأهل الحق هم الذين عرفوا الحق وعملوا به فى خاصة أنفسهم ، ثم دعوا غيرهم إلى ما كمّلوا به أنفسهم ، وقال تعالى : ﴿ **وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون** ﴾ الأعراف ١٨١ .

والباطل هو مظهر القلوب المريضة التى كفرت ، والنفوس الأمارة بالسوء التى ضلت ، تطيب به حياة البيئة الفاسدة ، والشهوة الجامحة ، والهوى البيِّن .

وأهل الباطل هم الذين ابتلى الله عباده المؤمنين بهم فى كل زمان وفى كل مكان ، يكفرون بالحق ، ويصدون عن سبيله ، ويفتنون الناس فيه ، قال تعالى : ﴿ **ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولاهدى ولا كتاب منير ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق** ﴾ سورة الحج آية ٨ ، ٩ .

من صور أهل الباطل الذين خرجوا على الرسول ﷺ :

لقد أعطانا القرآن الكريم صوراً متعددة لأهل الباطل ؛ الذين يعملون جاهدين فى صرف الناس عن الحق ، وتأليبهم عليه ، وإلباسهم عليه الباطل ، وإلقائهم عليه الشُّبه والشكوك ليطمسوا الحق ، ويطفئوا نوره إن استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، ومن هذه الصور :

١ – ما ذكرته سورة فصلت حينما صورت لنا إعراض نفوس أهل الباطل عن دعوة الحق فى قوله تعالى : ﴿ **وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب** ﴾ آية ٥ .

٢ – وها هى نفس السورة تعطينا انطباعا عن سلوك آخر لطريقة أهل الباطل فى محاولتهم صرف الناس عن دعوة الحق ، فقال تعالى : ﴿ **وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن وألغوا فيه لعلكم تغلبون** ﴾آية ٢٦ .

٣ – وقد كشفت سورة المنافقون عن عمل آخر من أعمال أهل الباطل ، ألا وهو ضربهم الحصار على دعوة الحق بمنع الإنفاق عليها ، لمكافحتها وإضعاف قوتها والتضييق على أهلها ، بما حكت عنهم ، فقال تعالى : ﴿ **هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا** ﴾ آية ٧ .

وقد رد عليهم المولى سبحانه وتعالى بقوله تعالى : ﴿ **ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون** ﴾ آية ٧ .

من ذلك يَتَبَيَّنُ لك أخى فى الله ، وحبيبى فى رسول الله ﷺ ، أن القرآن الكريم لا تكاد تخلو سورة من سوره فى المراحل التى نبت فيها النفاق إلا وتعرضت آياته لعناصر النفاق ، ففضحت نياتهم ، وكشفت عن سوآتهم ، وحاربتهم حربا لا هوادة فيها ، وضعتهم فى أسوأ وضع ، فحكت ذلك سورة النساء آية ١٤٥ ﴿ **إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا** ﴾ وذلك كله لأن المنافقين هم نضح القلوب المريضة ، والنفوس الخائرة ، والإيمان المزعزع ، وهم جرثومة الانتكاس لكل دعوة ، والفساد فى كل صلاح ، والتعويق فى كل تقدم .

من صور أهل الفتنة الذين شاقوا الرسول ﷺ :

عظمت عناية القرآن الكريم بالكشف عن ألوان الفتن ــ التى تتصل بالصفوف فتمزقها ، وبالقلوب فتفسدها ، وبالعزائم فتضعفها ، وتلقى بظلها الكثيف أمام المؤمنين المخلصين ، فتعوقهم عن التقدم والازدهار ــ لتكون للمؤمنين عبر العصور والدهور دروساً عملية واقعية للتطهر منها أو عدم التأثر بها ، وقد قدم لنا القرآن الكريم كثيرا من صور الفتنة ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ – فى غزوة أحد أشاع أهل الفتنة أن الرسول ﷺ قتل ، على أمل أنها تفتت من عضد الجيش ، وكانت هداية الله ردا على ذلك أن الموت يدرك الناس جميعا متى جاء أجلهم ، ولا يتوقف على حرب أو سلام ، فقال تعالى : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين** ﴾ آل عمران ١٤٤ .

٢ – أظهر أهل الفتنة الطاعة والامتثال ، مع إخفاء العزم على المخالفة لرسول الله ﷺ حينما أمر بالجهاد ، ففضحتهم سورة النساء بقوله تعالى : ﴿ **ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول والله يكتب مايبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا** ﴾ آية ٨١ .

٣ – وفى غزوة بدر تهكم أهل الفتنة من المؤمنين ـ لقلة عَددهم وعُددهم ـ وقالوا : ﴿ **غر هؤلاء دينهم** ﴾ ورد عليهم المولى فى سورة الأنفال بقوله : ﴿ **ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم** ﴾ آية ٤٩ . ونصر الله المؤمنين وجعل لهم الغلبة على الكافرين ، وسجلت ذلك سورة الأنفال بقوله تعالى : ﴿ **إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون** ﴾ آية ٦٥ .

٤ – فى غزوة الأحزاب خرج الرسول ﷺ لمقابلة الكفار ، ويشتد الأمر على المؤمنين ، فيأخذ المرجفون لإثارة الفتنة ، ويسجل عليهم القرآن ذلك فى سورة الأحزاب فيقول الله تعالى على لسانهم : ﴿ **ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا** ﴾ آيه ١٢ – وهنا يتوعدهم المولى سبحانه وتعالى فى نفس السورة بقوله : ﴿ **لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا** ﴾ آية ٦٠ ، ٦١ .

٥ – وتحذر سورة محمد المؤمنين ـ عند نزول آيات القتال ـ من أهل الفتنة الذين تكشف السورة عما تضمر قلوبهم من التخذيل عن الجهاد فتقول : ﴿ **فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم** ﴾ آية ٢٠ (﴿ **أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعلم أعمالكم** ﴾ آية ٢٩ ، ٣٠ .

هذا قليل من كثير من صور أهل الباطل ، الذين خرجوا على رسول الله ﷺ وشاقوه ، ليتبين لك أخى فى الله وحبيبى فى رسول الله ﷺ أن الله هو الحق ، والحق دعوته ، والشيطان هو الباطل والباطل دعوته . وقد وقى الله عباده المؤمنين شر التأثر بأراجيف المبطلين وكيدهم ، ووعدهم بالنصر والتأييد ؛ قال تعالى : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾ آية ٦٩ العنكبوت . وأكد لأهل الباطل أن مايبذلون

لمحاربة الله ورسوله سينقلب عليهم ، وأن كافة أسلحتهم سترد إلى نحورهم ، سر قوله تعالى : ﴿ **إن الذين كفرا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون** ﴾ آية ٣٦ سورة الأنفال .

أنماط من الخوارج :

لم تكن الدعوة الإسلامية لتسلم من الأذى والحقد والضلال ، ويقود هذا الباطل فريق من الخوارج ، أغلق قلبه ، وأصم أذنه ، وأغمض عينيه ، فلم يرض سماعا ، ولم يقبل أن يرى ذلك النور الوضاء ، نور الإسلام الذى يبدد غياهب الشرك ، ويمحو برحمته مداد الظلم ، وخيوط الظلام والضلال الجاثمة على الصدور ، وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ **لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** ﴾[1] .

ثلاثة أنماط من الخوارج يحملون مرض فقدان المناعة العقائدية :

وهذا الفريق من الخوارج عادى الرسول ﷺ وجابهه ، وناهض دعوته ، وصد عن سبيله ، وقادوا معارك لمحاربة الإسلام وأهله ، ابتغاء الفتنة ﴿ **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون** ﴾[2] ولكنهم خسروا معاركهم ، وذهب ريحهم ، وارتدوا خاسرين مدحورين .

وهذا الفريق من الخوارج يضم أنماطا من أهل مكة ، وأنماطا من أهل يثرب ، وأنماطا من أهل نجد .

أما أنماط أهل مكة فهم الوليد بن المغيرة ، والنضر بن الحارث ، وعتبة بن ربيعة وعقبة بن معيط ، وأمية بن خلف ، وأبو لهب ، وأبو جهل ، وكعب الأحبار .

أما أنماط أهل يثرب فهما عبد الله بن أبى بن سلول ، وأبو عامر الراهب ، أما رأس الفتنة من أهل نجد فمسيلمة الكذاب .

---

(١) سورة الأعراف آية ١٧٩ .

(٢) سورة التوبة آية ٣٢ .

النمط الأول: العم الحاقد.. عبد العزى بن عبد المطلب (أبو لهب)

نقدم النمط الأول من مكة : وهو عبد العزى بن عبد المطلب الملقب « بأبى لهب » وهو العم الحاقد على ابن أخيه ، كان من شجرة مباركة ، ولكنه كان فرعا شاذا منحرفا دون بقية إخوته ، أبى طالب ، وحمزة ، والعباس ، الذين كانوا الفروع الطيبة فى أخلاقهم .

كان النبى ﷺ بين أسوأ جارين : أبى لهب من جانب ، وعقبة بن معيط من جانب . وكانت زوجة أبى لهب ـ « أم جميل » بنت حرب أخت أبى سفيان وعمة معاوية ـ فى غاية العداوة للرسول ﷺ ، تمشى بالنميمة عليه بين الناس لإضعاف دعوته ، وكانت تحمل الشوك لتؤذى به النبى ﷺ إذا ماخرج ، وتهاجم السيدة خديجة .

أما أبو لهب فكان يتبع الرسول ﷺ كظله ، ويقول لقومه : لا تطيعوه فإنه صابىء كذاب .

ولما جمع النبى ﷺ قومه ووقف يدعوهم لله قاطعه أبو لهب وقال : تبا لك يا محمد ، ألهذا جمعتنا ؟ وأنزل الله سورة المسد ، ترسم صورة مزرية له ولزوجته ، وهدده بنار حامية .

استخدمت قريش ضد الرسول ﷺ وأتباعه الحصار الاقتصادى ، فكان إذا ما جاء التجار ببضائعهم ، تصدى لهم أبو لهب حتى لا يبيعوا للمسلمين ، ويقول : يا معشر التجار ، غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا معكم شيئاً ، فقد علمتم مالى ووفاء ذمتى ، فأنا ضامن من ألا خسار عليكم ، فَيَزِيدُوا فى الأسعار ، فلا يستطيع المسلمون شراء شىء .

وقبل البعثة النبوية أراد أبو لهب أن يصاهر النبى ﷺ فى ابنتيه ، أم كلثوم ورقية ، وأمام ضغط أعمام النبى ﷺ زوج الرسول ﷺ ابنته السيدة أم كلثوم لعتيبة ، والسيدة رقية لعتبة ـ ابنى أبى لهب ـ فلما نزلت سورة المسد (قال أبو لهب لهما : رأسى ورأسكما حرام إن لم تطلقا ابنتى محمد ، فطلقاهما) ، إلا أن عتيبة قبل خروجه للشام مع أبيه جاء إلى النبى ﷺ فقال : يا محمد إنى كافر بالنجم إذا هوى ، وبالذى دنا فتدلى ، ثم تفل تجاه النبى ﷺ ، فقال ﷺ : « اللهم سلط عليه كلبا من كلابك » .

ولما خرج عتيبة وأبوه إلى الشام نزلا منزلا فأشرف عليهم راهب من دير وقال لهما : إن هذه أرض مسبعة ، فقال أبو لهب : أغيثونى يامعشر قريش فى هذه الليلة ، فإنى أخاف على ابنى دعوة محمد ـ ﷺ ـ فجمعوا جمالهم حولهما خوفا من الأسد ، فجاء أسد يتشمم وجوههم حتى أتى عتيبة فقتله .

وكانت السيدتان أم كلثوم ورقية ، من نصيب الصحابى الجليل عثمان بن عفان .

وهلك أبو لهب كمداً بالعدسة ، بعد غزوة بدر بسبعة أيام ، فاجتنبه أهله مخافة العدوى ـ لأن هذا المرض كان كالطاعون ـ فبقى ثلاثة أيام حتى أنتن ، فأسندوه لحائط وقذفوا عليه الحجارة من خلفه حتى توارى .

ولنا أن نسأل : لقد حارب الرسول ﷺ وآذاه كثير من طغاة الشرك ـ كعقبة بن أبى معيط وأبى جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وغيرهم ـ ومع ذلك لم يصرح القرآن بأسمائهم ، فلماذا خص أبا لهب بالذكر وأنزل الله فيه هذه السورة دون غيره ؟ .

والجواب : لأن أبا لهب كان أشهر المعاندين لدعوة الرسول ﷺ ، والممثل الأكبر لهم ، وقد تأثر النبى ﷺ من جحوده ، ومن ثم خصه المولى سبحانه وتعالى بالذكر دون غيره ، وهو صورة صادقة لكل معاند عدو للحق ، أما زوجته « أم جميل » فهى صورة صادقة للمرأة التى تمشى بالنميمة والفساد بين الناس ، فهى حمالة الحطب ، فى جيدها حبل من مسد .

النمط الثانى : أبو عامر الفاسق

كان أبو عامر مهيبا فى الخزرج ، وتنصر فى الجاهلية ، واصطنع الورع ، وزعم أنه منتظر النبى المبعوث ، وصار يذكر الناس بكثير من صفات هذا النبى التى عرفها من التوراة والإنجيل ، ولكن لما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة ، وصارت فيها للإسلام كلمة عالية ، انتكس أبو عامر هذا ، وانسلخ من آيات الله ، والتهم قلبه الحقد على النبى ﷺ ، وبارزه بالعداوة والبغضاء ، واتخذ سبيله إلى المشركين بمكة لاستثارتهم إلى حربه ، حتى تم له ما أراد بغزوة أحد التى أصاب المسلمين فيها ما أصابهم .

وانقلب هائما على وجهه فى القبائل يغريهم بقتال النبى ﷺ وأصحابه ، وأقسم ألا يسكن مع الرسول ﷺ مدينة يكون فيها ، فلما فتح الرسول ﷺ مكة ، خرج

للطائف ، ولما أسلم أهلها فر إلى الشام يستنصر ملك الروم على النبى ﷺ ، فوعده ومنّاه وما وعده الشيطان إلا غرورا .

ومن الشام كتب إلى المنافقين من أنصاره أن يستعدوا ويبنوا له مسجدا ، لأنه سيأتيهم بجنود قيصر لحرب سيدنا رسول الله ﷺ وأصحابه ، وقد نفذ المنافقون مخطط أبى عامر الفاسق فبنوا مسجدا تحت شعار التجمع لعبادة الله ، والمناداة فيها بأن محمدا رسول الله ، وتحت هذا الشعار يعملون للكفر بالله ورسوله ، والإضرار بالإسلام والمسلمين وتفريق كلمتهم .

وبالفعل بنوا هذا المسجد ، وأحكموا بنيانه ، وأنفقوا عليه المبالغ ، وبعد إتمامه ذهبوا إلى الرسول ﷺ وقالوا : إن بيوتنا قاصية عن مسجدك ويصعب علينا الحضور فيه ، ونكره الصلاة فى غير جماعة ، وقد بنينا مسجدا لهذه الغاية ، وللضعفاء وأهل العلة ، فإن رأيت أن تصلى فيه لنتيمن ونتبرك بالصلاة فى موضع صلاتك ، فأمر المولى سبحانه وتعالى الرسول ﷺ بهدم مسجد الضرار ، كما أمر موسى بتحطيم عجل السامرى .

هذا هو شأن المنافقين والخائنين والمارقين ، فى كل عصر وفى كل دعوة ، يحملون شعارات البناء ، ويعملون وراءها للهدم والتخريب ، ولكن سرعان ما ينكشف عدوانهم ، ويفتضحون لدى جميع الناس ، كما افتضح أصحاب مسجد الضرار ، حيث أنزل الله فيهم على نبيه يخبره بحقيقتهم فى قوله تعالى : ﴿ **والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل** ﴾[1] .

وتقول الآية الكريمة : إن الذين بنوا مسجد الضرار يهدفوّن من ورائه أربعة أغراض :

١ – الإضرار بالمسلمين .

٢ – الكفر بالله والطعن فى نبيه .

٣ – تفريق كلمة المسلمين ، وانشقاقهم على رسول الله ﷺ .

٤ – جعل المسجد معقلا لمن حارب الله ورسوله من قبل .

ولما نزلت هذه الآية قال النبى ﷺ لبعض أصحابه : « انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه » ففعلوا ذلك ، وأمر النبى ﷺ أن يتخذ مسجد الضرار

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٧ .

هذا مكانا لإلقاء الجيف والقاذورات . وجاء فى بعض الروايات تشبيه مسجد الضرار بالعجل الذى عبده بنو إسرائيل بتحريض من السامرى ، فكما أمر سبحانه نبيه موسى بتحطيم العجل ، أمر رسوله الأعظم محمدا ﷺ بهدم مسجد الضرار .

وكل مسجد أو معهد أو هيئة أو جمعية ، تتخذ للدس والمؤامرات على المؤمنين والمخلصين ، فهو عجل بنى إسرائيل ومسجد الضرار ، ويجب هدمه واتخاذه محلا للجيف والقمامة .

وهؤلاء المنافقون حلفوا لرسول الله ﷺ أن غايتهم من بناء المسجد هى العبادة لله ، ومنفعة المسلمين ، والله يعلم أنهم ما بنوه إلا إضرارا بالمصلين ، وكفرا بالله ، وتفريقا بين المؤمنين ، ومعقلا لمن حارب الله ورسوله ، فخاطب المولى سبحانه وتعالى الرسول ﷺ بأن نهاه « **لا تقم فيه أبداً** »[1] والخطاب للنبى والنهى عام للجميع . والقيام هنا أعم يشمل الصلاة وغيرها ، وعلى أية حال فإن قوله تعالى : ﴿ **لا تقم فيه أبداً** ﴾ دليل قاطع على عدم صحة الصلاة فى كل مسجد بنى إضرارا بالمسلمين وتفريقا لكلمتهم ، وأن من صلى فيه فصلاته باطلة ، وعليه أن يعيدها فى مكان آخر ، لأن النهى عن العبادة يدل على الفساد .

وهذا حكم كل منشأة فاسقة ، ولو كانت مسجدا تقام فيه الصلوات الخمس ويذكر فيه اسم الله ، فما بالنا لو كانت المنشأة غير مسجد كجمعية أو ناد أو مقر .

امتداد حياة أبى عامر الفاسق وبقية من نسله :

وإذا كانت المنشأة الفاسقة ألبسها أهلها فى صدر الإسلام ثوب المسجدية ، وعبادة الله وطاعته ، فإنها فى عصرنا هذا يلبسها أهلها أغراضا متعددة كالدعوة إلى الله ، وحماية التوحيد ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والتكفير والهجرة ، والتبليغ والخروج ، والتوقف والتبين ، والناجون من النار ، والقرءانيون ... إلخ .

فكل هذه الألوان من الخدع والتمويه ، ما هى إلا امتداد لحياة أبى عامر الفاسق واستمرار فى خطيئته ، وليس مدبروها والقائمون عليها إلا بقية من نسله ، وليست منشآتهم إلا كمنشأته ، أسس بناؤها على شفا جرف هار فانهار به .

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٨ .

النمط الثالث : مسيلمة الكذّاب

نقدم النمط الثالث من الذين شاقوا الرسول ﷺ ، ليس من مكة كالعلم المارق أبى لهب ، وليس من المدينة المنورة كأبى عامر الفاسق ، ولكنه من نَجْد مسيلمة الزاهق .

ونَجْد تبعد عن مكة المكرمة حوالى الألف كيلو متر ، ولد هذا الكذاب بالقرية المسماة بالجميلة بوادى حنيفة قرب العيينة ـ بلدة ابن عبد الوهاب ـ ونشأ باليمامة .

وهو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفى الوائلى أبو ثمامة ، وكان اسمه مسلمة ، ولكن النبى ﷺ صغره تحقيرا له إلى مسيلمة ، ولأن الرجل عاش كذابا فقد جاء فى الأمثال (أكذب من مسيلمة) وهو كما قلنا من بنى حنيفة ، أوفر القبائل النجدية ماء وثمرا ، وآمنها حصونا وجبالا ، وأقساها قلوبا وسلوكا ، وقد حذق مسيلمة فنون السحر والشعوذة لاستهواء الرجال والنساء باستغواء كان يصانع كل أحد ويتألفه .

فتنة مسيلمة الكذاب وتنبؤ النبى ﷺ بها :

بعد أن فتحت مكة وتطهر البيت الحرام من الأوثان والاصنام ، سرت أخبار هذا الفتح أنحاء الجزيرة العربية ، فأقبل العرب من كافة البلاد ودخلوا فى دين الله أفواجا ، فتوافدت الوفود على رسول الله ﷺ تستضىء بنور الرسالة المحمدية ، وتخلع ثوب الضلال والبهتان ؛ لتلبس ثوب الطهر والإيمان .

حدثنا أبو اليمان إلى أن قال : عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قدم مسيلمةُ الكذابُ على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول إن جعل لى محمدٌ من بعده تبعته ، وقدمها فى بشر كثيرٍ من قومه فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شقاس وفى يد رسول الله ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة فى أصحابه ، « فقال لو سألتن هذه القطعة ما أعطيتكها ولن تعدوا أمر الله فيك ولئن أدبرت ليعقرنك الله وإنى لأدراك الذى أديت فيه ما رأيت وهذا ثابت يجيبك عنى ثم انصرف عنه » .

قال ابن عباس ، فسألت عن قول رسول الله ﷺ « إنك أرى الذى أريت فيه ما أريت » فأخبرنى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « بينما أنا نائم رأيت فى يدى

سوارين من ذهب فأهمنى شأنهما ، فأوحى إلى فى المنام أن انفخهما ، فنفختهما فطارا ، فأولتهما كذابين يخرجان بعدى أحدهما العنسى ، والآخر مسيلمة » .

ومن هنا يتضح لك أيها القارىء المسلم تنبؤ الرسول ﷺ بفتنة الكذاب قبل وقوعها .

فلما عاد وفد بنى حنيفة ــ ومنهم مسيلمة ــ قال هذا الكذاب : إن جعل لى محمد الأمر من بعده تبعته ، وقال لقومه : إنى أشركت فى الأمر معه .

ووضع مسيلمة عن قومه الصلاة ، وأحل لهم الخمر والزنا ، فأجمعت بنو حنيفة على الردة ، وأعلن مسيلمة أن الوحى ينزل عليه كما ينزل على محمد ، وأخذ يرسل سجعات على نحو ما تنزل الآيات فصدقه قومه وآمنوا به .

مسيلمة يستغوى الرجال والنساء :

وفد رجل يسمى (نهار الرجال بن عنفوة) مع قومه إلى النبى ﷺ فقرأ القرآن وتعلم السنن ــ وكان يأتى أبى بن كعب ، وهو من أشهر القراء للقرآن الكريم ــ فبعثه النبى ﷺ إلى اليمامة سفيرا ليعلم أهلها أحكام الإسلام ويبصرهم بفرائضه ، فما لبث مسيلمة الكذاب أن استغواه بخبثه ولؤمه حتى شهد له أنه يوحى إليه ، وأنه قد سمع رسول الله ﷺ يقول : إنه قد أشرك معه فى نبوته مسيلمة ، وشهد له بالنبوة .

ولذلك كان (نهار الرجال) يسوق الناس إلى طريق الغواية بعد أن أضله مسيلمة واستغواه .

وقد استغوى كذلك سجاح بنت الحارث التميمية ، ورهطها أخوالها من بنى تغلب ــ التى ادعت النبوة ــ عندما قدمت إليه بجيش لتغزوه ، فأغراها مسيلمة وقال لها : هل لك أن أتزوجك وآكل بقومى وقومك العرب ؟ وأقامت عنده ثلاثا وتزوجته وتبعته ، ووضع مسيلمة عن قومها صلاة الفجر والعشاء ، وسخر منها عطارد بن حاجب فقال :

أمست نبيتنا أنثى نطوف بها   وأصبحت أنبياء الله ذكرانا

وهكذا نرى أن مسيلمة قد استغوى سجاح ، فشهدت له بنبوته وتزوجته ، وتوقى شرها ، ومن ورائها قومها من بنى تغلب .

حرب الردة ونهاية مسيلمة الكذاب :

بعث أبو بكر رضى الله عنه بخالد بن الوليد ليقود الحرب ضد مسيلمة الكذاب ، الذى شاق الرسول ﷺ ، وشاق دعوته ، فاندفعت بنو حنيفة تقاتل فى ضراوة ، •ووثبت وثبة عاجلة ، ونالت من المسلمين ، وقتلت مجموعة كبيرة من حملة القرآن وحفظته .

أمام هذا الموقف العسير رأى خالد أن ينظم جيشه جماعات جماعات ، كل جماعة تعرف أفرادها ، وميز بذلك المهاجرين ، وميز الأنصار ، وميز الأعراب ، وكان من نتيجة ذلك أن قتل زيد بن الخطاب نهار الرجال بن عنفوة ، وصاح ثابت بن قيس فى جماعاته ، وعباد بن بشر فى جماعاته ، وأبو حذيفة فى جماعاته ، وأمام هذه الصيحات أقبل المسلمون على الموت والاستشهاد ، فوهبت لهم الحياة ، ووهبت لهم الغلبة والانتصار .

فهرول مسيلمة ينجو بنفسه هو وقومه إلى حديقة مسورة ، وأغلقوا عليهم بابها ، وقفز البراء بن مالك وعالج الباب ، ودخل المسلمون واتجه عبد الرحمن بن أبى بكر إلى الساعد الأيمن لمسيلمة وهو محكم بن طفيل فرماه بسهم فقتله ، فاضطرب بنو حنيفة فسألوا مسيلمة : أين ماكنت تعدنا ؟ فأجابهم : قاتلوا عن أحسابكم .

وتساقط آلاف القتلى من أصحاب مسيلمة الكذاب ، وقام وحشى بن حرب وضرب مسيلمة بحربته فمات الكذاب ، وألقاه خالد فى البئر التى كان يشرب منها .

وهكذا ، مهما امتد سلطان الباطل وطال به الأمد ، فهو إلى نهاية مروعة وإلى مصير مرعب ، ومهما علت راية الشرك على وادى الموتورين المخدوعين ، فلابد أن تسقط فى ساحة الحق .

الفصـــل الثالــث

خوارج عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه

بدء الردة واختلاف الشعارات :

لما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، نجم النفاق ، وارتد بعض المارقين ، وبدأت دسائس اليهود والنصارى ، وصار المسلمون فى فزع كبير لفقد نبيهم ﷺ .

وافترقت العرب فى ردتها إلى فرق كثيرة ، فقالت فرقة منها : لو كان نبيا ما مات ، وقالت فرقة ثانية : انقضت النبوة بموته فلا نطيع أحدا بعده ، وفى ذلك قال قائلهم :

أطعنا رسول الله ما عاش بيننا فيا لعباد الله ما لأبى بكر
أيورثنا بكرا إذ مات بعده فتلك وبيت الله قاصمة الظهر

وقال فريق ثالث : نؤمن بالله ونشهد أن محمدا رسول الله ، ونصلى ، ولكن لا نعطى أموالنا ، وفريق رابع واقف ينتظر ماذا تكون النتيجة بين أعداء الإسلام ورجاله ، يقدم هذا الفريق رِجْلا ويؤخر أخرى .

فنزل بأبى بكر رضى الله عنه أمام هذه الفتن ، ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها ، ولكن الله وهب الصديق رضى الله عنه ثباتاً نافذا أمام هذا الخطر لأنه خلق غواثا للإسلام ، ولا أدل على ذلك ما أصاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ عند انتقال رسول الله ﷺ ـ من الفزع والجزع رغم ما هو معروف عن عمر بن الخطاب من الصلابة والبأس ، حتى أقر ابن الخطاب أن أبا بكر كان ممتازا فريدا لامثيل له ، قد أعد للأحداث كفاءها ، فوقف رضى الله عنه صامدا أمام قبائل الأسد وغطفان وبنى تميم ، وطوائف من بنى سليم وأهل اليمامة وأهل البحرين وبكر بن وائل ، وأهل دبا من عمان وفذارة وكنده وحضرموت واليمن .

أنماط من الذين خرجوا على أبى بكر الصديق رضى الله عنه

النمط الأول : الأسود بن عنترة العنسى

كان الأسود بن عنترة العنسى كاهنا يقيم بجنوب اليمن ، ومشعبذا يصطنع فنونا من الحيل ، ويستهوى الجماهير بعباراته ، ولقد تنبأ ولقب نفسه رحمان اليمن ، كما لقب مسيلمة الكذاب نفسه رحمان اليمامة ، ودانت للأسود العنسى سواحل اليمن إلى عدن ، كما دانت له الجبال والبوادى من صنعاء إلى الطائف .

واستعمل الأسود على جنده قيس بن عبد يغوث ، وجعل وزيريه فيروز وداذريه الفارسيين بعد أن تزوج « آراد » امرأة شهر بن نبران ، وكانت ابنة عم فيروز . ولما استغلظ أمره وأثخن فى الأرض استخف بقيس بن عبد يغوث وبفيروز وداذريه ، فرأى هؤلاء أخذه غيلة ، ودلتهم زوجته على حجرة نومه فقتلوه ، وقد شجعت فتنة الأسود العنسى باليمن فتنة طليحة ومسيلمة ، وذلك عندما اجترأ الأسود على رفع لواء العصيان امتدت عدوى الجرأة منهم إلى طليحة وإلى مسيلمة .

النمط الثانى : خارجة بن حذيفة

لما كان من العرب ما كان من التوائهم عن الدين ، ومنع من منع الزكاة ، جَدَّ سيدنا أبو بكر رضى الله عنه فى قتالهم ، وأراه الله رشده فيهم ، فعزم على الخروج بنفسه إليهم ، وأمر الناس بالجهاد ، وخرج فى مائة من المهاجرين والأنصار ، وتلاحق الناس من خلفه يريدون خارجة بن حصن وأصحابه ، فولى هاربا منهزما هو وأصحابه .

النمط الثالث : طليحة بن خويلد الأسدى

ادعى طليحة أنه يشهد أن لا إله إلا الله ، وأنه نبى مرسل يأتيه ذو النون ، كما كان جبريل يأتى سيدنا محمد ﷺ ، فجهز أبو بكر رضى الله عنه جيشا بقيادة خالد لقتاله ومن ارتد معه ، فلما ازداد وطيس الحرب وانصرف قوم طليحة يولون الأدبار ، فر طليحة هاربا وهو يقول : من استطاع أن يفعل منكم مثل ما فعلت وينجو بأهله فليفعل ، ثم هرب حتى قدم الشام ، وكانت هذه خاتمة نبوته ، وعاد إلى الإسلام حين بلغه أن القبائل التى تبعته قد عادت إلى الدين القيم .

النمط الرابع : مالك بن نويرة

بعث النبى ﷺ مالك بن نويرة إلى قومه بنى حنظلة ـ وكان سيدهم ـ فجمع صدقاتهم ، ولكنه لما بلغه انتقال النبى ﷺ إلى الرفيق الأعلى رد هذه الصدقات من حيث جاءت ، فتسارع عليه جمهور قومه وفرحوا بذلك ، ولما بلغ ذلك أبا بكر رضى الله عنه جهز له جيشا بقيادة خالد بن الوليد ، فأتى به أسيرا فى نفر من قومه ، فأمر خالد بن الوليد بقتله ، ولقد أثار قتل مالك بن نويره ثائرة ظلت زمنا طويلا .

ولم تكن حروب الردة غزوات اشتبك فيها بعض مِئَاتٍ من جيش أبى بكر ، بل كانت بعضها طاحنة اشترك فيها عشرات الألوف ، ولو أن أبا بكر رضى الله عنه نزل على رأى من لم يريدوا هذه الحروب لساد الاضطراب بلاد العرب ، ولما فتحت بلاد الروم وبلاد الفرس ، ولما قامت الإمبراطورية الإسلامية على أنقاضهما .

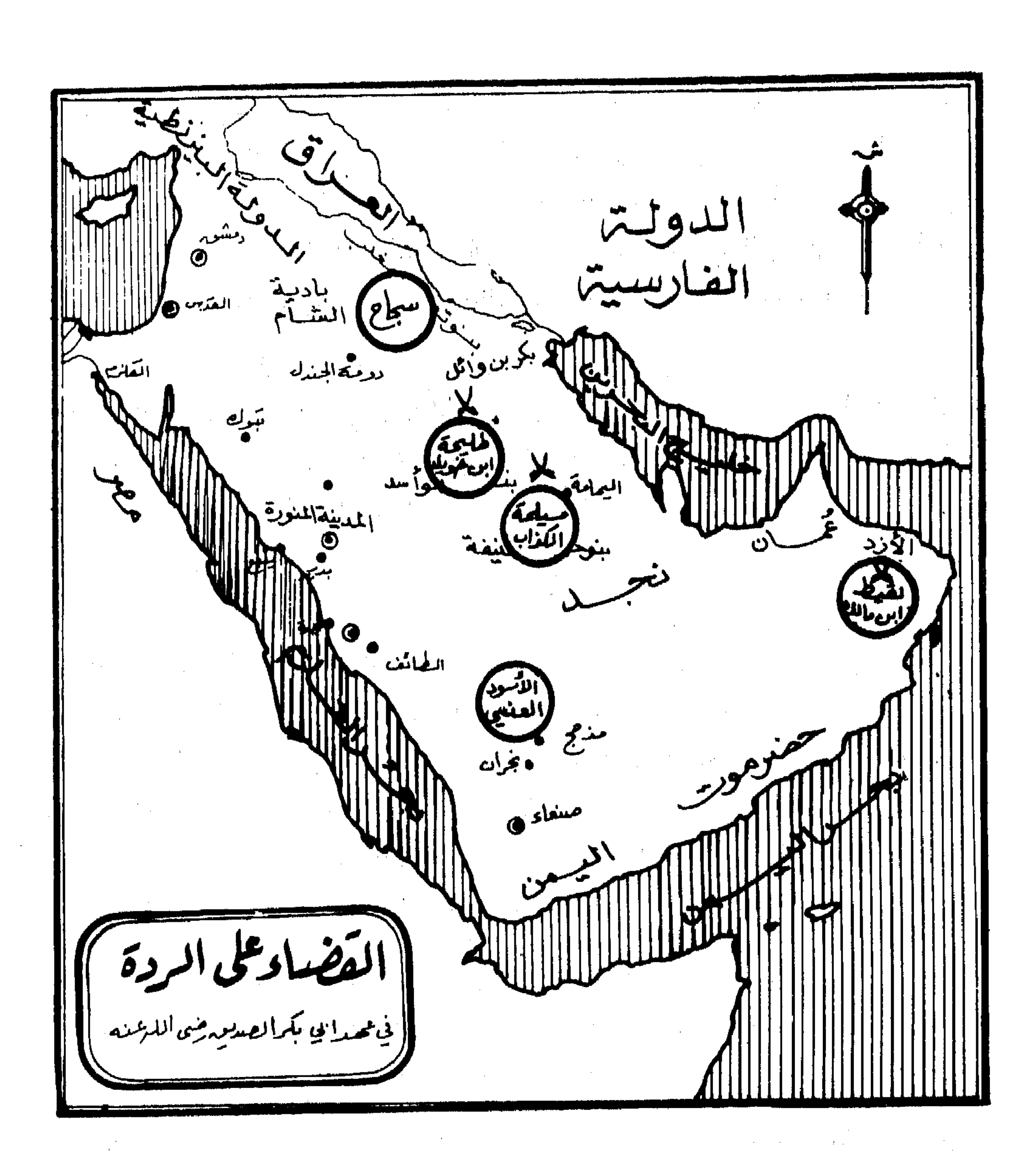
وجهة نظر فى الزعم بردة مالك بن نويرة :

لما انتقل رسول الله ﷺ الى الرفيق الأعلى ، وقد إستتب الأمر لأبى بكر الصديق بعث بخالد بن الوليد لقبيلة بنى سليم التى إمتنعت عن دفع الزكاة بحجة التريث حتى يتبينوا أمر الخلافة خاصة بعد مخالفة سيد الأنصار سعد بن عبادة وخروجه على بيعة أبى بكر ، فقتل خالد بن الوليد أبناء قبيلة بنى سليم وإنتهك حرماتهم وسبى نساء وذريتهم وقتل مالك بن نويرة الصحابى الذى ولاه ﷺ على صدقات قومه . ولم يكتف خالد بن الوليد بذلك بل دخل بزوجته فى ليلة قتل زوجها .

أما الزعم أن قبيلة بنى سليم ارتدت عن الإسلام فوجب قتلهم فهذا غير صحيح لأن أبا بكر رضى الله عنه دفع دية مالك بن نويرة من بيت مال المسلمين واعتذر عن قتله والمرتد لا يعتذر عن قتله ولا تدفع ديته من بيت المال .

والبخارى نفسه لا يعتقد بردة مالك بن نويرة وقومه ولكن جعل لهذا الأمر باباً بعنوان « من أبى قبول الفرائض » وما نسبه إلى الردة .

وكان يتعين أخذ الزكاة بالقوة من مانعها لأنها حق المال بدون قتله وسفك دمه . كما فعل رسول الله ﷺ بثعلبة الذى إمتنع عن دفع الزكاة له ﷺ ولم يقتله .



شكل رقم (٤) القضاء على الردة

الفصـــل الرابـــع

خوارج عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه

فكر الخوارج روّع التاريخ الإسلامى بالجرائم والاغتيالات :

عرف التاريخ الإسلامى حركات هدامة ، وجماعات إرهابية ، كانت ترفع شعارات الدين لتخفى خلفها أغراضها الخبيثة ، وأهدافها المدمرة ، وتصنع رموزا غامضة مثيرة ، وطقوسا وشعائر يلفها الضباب ، كانت هذه الجماعات تعمل فى الخفاء ، وأحيانا تظهر على سطح الأحداث ، ولم يروع التاريخ كما روع التاريخ الإسلامى بالجرائم والاغتيالات التى قامت بها هذه الجماعات الآثمة .

مؤمرات قومية وصهيونية وصليبية ضد الإسلام :

طوع الإسلام لجنوده غزو هرقل بالشام وطرده إلى بيزنطية ، والاستيلاء على بـ المقدس مهد النصرانية ، ومستقر هيكل سليمان مهد الصهيونية ، وقضى الإسـ وجنوده على قوات الفرس ، بعد نكبتهم فى نهاوند التى أصابت صميم ملك كسرى فلم يكن لهم ولا لبنى وطنهم إلا الإذعان والنزول على حكم المسلمين .

وقد بلغ من تبرم هؤلاء بفتح المسلمين بلادهم ، أن ثارت نفوس طائفة منهم بعمر بن الخطاب ، الذى حطم نعرة التعصب للقوميات الإقليمية أو الدينية ، وأذابها فى دولة الإسلام ، لذلك بلغ الاستياء والسخط بالموتورين من المتمسكين بالقومية الفارسية ، أمثال الهرمزان وهو سيد من سادات الفرس فقد سلطانه ومكانته ، وأصبح يعيش بين عامة الناس بعد فقد الأمل من استرجاع نفوذه .

كما كان يقف وراء التعصب للنصرانية جفينة ـ الذى كان نصرانيا من أهل الحيرة يعلم الكتابة لأهل المدينة ـ وكان ثالث الأثافى كعب الأحبار ـ أحد أحبار اليهود المتعصب للصهيونية ، الذى أنذر سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إعلم أنك

ميت فى ثلاثة أيام وكان يتردد عليهم مظهرا الميل للإسلام ، ولم يعر رضى الله عنه هذا الإنذار عناية خاصة ـ .

لقد أذل الإسلامُ الفرس واليهود والنصارى ، وشتت شملهم ، وغنم أموالهم ، فلماذا لا يدفع الحقد هؤلاء جميعا أن ينتقموا من الإسلام ؟ وأن يختاروا لثأرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه باعتباره أعظم رجل فيهم ، ومظهر سيادتهم ، ومحركهم الأول نحو القضاء على هاتين الإمبراطوريتين .. أليس عمر هو فاتح الفرس ، وفاتح الشام ، وفاتح العراق ، وفاتح مصر ، ومعز الإسلام ، ومذل هؤلاء جميعا ؟ .

المخطط الثلاثى الذى جمع بين موتور القومية الفارسية الهرمزان ، وحاقد الصليبية جفينة ، ومتآمر الصهيونية كعب الأحبار ؛ حرض هذا الثلاثى غلاما فارسيا من سبى نهاوند ـ فيروز الشهير بأبى لؤلؤة ـ على قتل الخليفة الثانى عمر بن الخطاب .

وكان هذا الغلام يعمل فى المدينة عدة صناعات ، فهو نقاش ونجار وحداد وصانع للأرحية ، وكانت هذه الصناعات تدر عليه أموالا كثيرة ، ومع ذلك كان يشكو من كثرة الضريبة التى كان يدفعها لمولاه المغيرة بن شعبة ، ولذلك استجاب للمؤامرة التى دبرها موتور القومية الفارسية ، وحاقد الصليبية ، ومتآمر الصهيونية ، وظل يتمرن فى الخفاء ويتربص بعمر بن الخطاب رضى الله عنه .

مخطط فكر الخوارج لاغتيال عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه من منزله قبل مطلع الشمس من يوم الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين يؤم الناس لصلاة الفجر ، فلما بدأ ينوى الصلاة ويكبر إذا بفيروز غلام المغيرة يطعنه بخنجره ست طعنات ، فالتفت رضى الله عنه إلى المصلين باسطا يديه يقول : « أدركوا الكلب فقد قتلنى » ، واندفع أبو لؤلؤة يريد الفرار نجاة بنفسه ، فأقبل كثير من المصلين على هذا الكلب يريدون القبض عليه والتنكيل به ، ولم يدعهم هذا الكلب يأخذون بتلابيبه ، بل جعل يطعن الصحابة يمنة ويسرة حتى طعن اثنى عشر ، مات منهم تسعة ، ثم إن رجلا أتاه من ورائه فألقى عليه رداءه وطرحه أرضا ، وأيقن فيروز أنه مقتول لا محالة مكانه ، فانتحر بالخنجر الذى ضرب به الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وهكذا كان اغتيال عمر بن الخطاب رضى الله عنه تدبير مؤامرة دبرها أعداء الإسلام ، استغرق إعدادها زمنا طويلا قبل الحادث من اليهودية والصليبية والقومية الفارسية .

عمر بن الخطاب أول شهيد لمؤامرة فكر الخوارج :

ظل اسم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وسيظل أبد الدهر ، علما فى التاريخ على العدل والنزاهة ، والحزم وحسن الرأى ، وصدق الإرادة والتجرد لله ولدين الله ، تجردا أعز الله به الإسلام ، ومد لواءه فى الخافقين ، ولقد حزن الصحابة على استشهاده حتى كأنهم لم تصبهم مصيبة إلا يومئذ ، وكيف لا يحزنون وقد كانوا فقراء فأغناهم الله ، وكانوا يخشون الفرس والروم فأصبحوا سادة الفرس والروم ، وكانوا فى زاوية من الأرض لايكاد يذكرها العالم ، فأصبحوا بفضل الله ملء السمع والبصر فى دنيا الناس ، كل ذلك وعمر هو هو لم يتغير مظهره ، ولم تتغير حياته ، وبذلك أعز الله به الإسلام .

وجهة نظر فى الزعم بردة مالك بن نويرة :

لما انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، وقد إستتب الأمر لأبى بكر الصديق بعث بخالد بن الوليد لقبيلة بنى سليم التى إمتنعت عن دفع الزكاة بحجة التريث حتى يتبينوا أمر الخلافة خاصة بعد مخالفة سيد الأنصار سعد بن عبادة وخروجه على بيعة أبى بكر ، فقتل خالد بن الوليد أبناء قبيلة بنى سليم وإنتهك حرماتهم وسبى نساءهم وذريتهم وقتل مالك بن نويرة الصحابى الذى ولاه ﷺ على صدقات قومه . ولم يكتف خالد بن الوليد بذلك بل دخل بزوجته فى ليلة قتل زوجها .

أما الزعم أن قبيلة بنى سليم ارتدت عن الإسلام فوجب قتلهم فهذا غير صحيح لأن أبا بكر رضى الله عنه دفع دية مالك بن نويرة من بيت مال المسلمين واعتذر عن قتله والمرتد لا يعتذر عن قتله ولا تدفع ديته من بيت المال .

والبخارى نفسه لا يعتقد بردة مالك بن نويرة وقومه ولكن جعل لهذا الأمر باباً بعنوان « من أبى قبول الفرائض » وما نسبه إلى الردة .

وكان يتعين أخذ الزكاة بالقوة من مانعها لأنها حق المال بدون قتله وسفك دمه . كما فعل رسول الله ﷺ بثعلبة الذى إمتنع عن دفع الزكاة له ﷺ ولم يقتله .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصـــل الخـــامـس

خوارج عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه

عثمان بن عفان وصفاته :

هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية ، ولد بعد ميلاد سيدنا رسول الله ﷺ بخمس سنين ، ودخل الإسلام على يد أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

وكان رضى الله عنه تقيا ورعا ، يصوم الدهر ، ويحج بيت الله كل عام ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة الذين انتقل النبى ﷺ وهو عنهم راض .

كان رضى الله عنه طيب النفس نقى السريرة ، حليما متواضعا جواداً كريما ، جهز جيش العسرة من ماله الخاص ، واشترى بئر رومة ، وزاد فى مسجد رسول الله ﷺ وعوّض الناس عن أرضهم التى أدخلها فى المسجد من ماله الخاص ، وكانت الخصلة التى ميزه بها النبى ﷺ : الحياء .

عثمان يقضى على التمرد والثورات التى قامت فى أول عهده :

بعد موت سيدنا عمر رضى الله عنه تمردت بعض الولايات على الحكم الإسلامى ، وقامت بهذا التمرد عناصر توالى عهد ما قبل الفتح ، أو قامت بها قوى الاحتلال التى كان لها السلطان قبل الزحف الإسلامى .

وبرزت أهم الانتفاضات فى خراسان والإسكندرية ، وقد استطاع رضى الله عنه أن يقضى على الثورتين .

الفتوحات فى عهده رضى الله عنه :

شمل التوسع الإسلامى كل الميادين التى كانت الجيوش الإسلامية قد وصلت إليها فى عهد عمر رضى الله عنه ، وزاد التوسع من الناحية البحرية ، إذ أصبح للمسلمين بحرية فى عهده ، وعلى ذلك فقد انضم إلى الدولة الإسلامية برقة وطرابلس فى غرب مصر ، وانضم لها جزء من بلاد النوبة فى الجنوب ، وانضمت لها بلاد أرمينية وأجزاء من

طبرستان ـ وهى المنطقة الجبلية جنوبى قزوين ـ وتخطت جيوش المسلمين نهر سيجون ودخلت بلاد ما وراء النهر فى الدولة الإسلامية ، فاستولى المسلمون على بلخ وهوراة وكابول وغزنة من بلاد الأتراك .

وعن طريق البحرية الإسلامية دخلت قبرص إطار الدولة الإسلامية .

بنو أمية يعملون لتولى الخلافة :

كان بنو أمية فى مطلع الإسلام أعداء هذا الدين ، وهم الذين قادوا الجيوش عدة مرات للقضاء عليه ، ثم استسلم بنو أمية ودخلوا الإسلام عند فتح مكة ، ولما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى لم يطمع بنو أمية فى الخلافة لقرب عهدهم بالإسلام ، ولموقفهم العدائى منه مدة طويلة .

ولكن الأحداث التى مر بها الإسلام خلال خلافة أبى بكر وعمر أتاحت الفرصة لبنى أمية ليعوضوا ما فاتهم ، فاشتركوا فى حروب الردة ، والمتنبئين ، وفى الحروب ضد الفرس والروم ، وبها استعادوا مكانتهم ، وبالتالى طمعوا فى الخلافة .

وعندما استشهد عمر رضى الله عنه كانت هناك أسرتان كبيرتان تطمعان فى الخلافة ؛ هما أسرة بنى هاشم وأسرة بنى أمية . وكان بنو هاشم أحق بالخلافة من بنى أمية ، فقد كان الإمام علىّ رضى الله عنه يراها عقب انتقال الرسول ﷺ ، ولكن المسلمون لم يستجيبوا له حين ذاك ، إذ رأت أغلبيتهم أن الخلافة لو أسندت إلى هاشمى لأصبح من المتعذر إخراجها من بنى هاشم .

وانتهت المشورة بعد استشهاد عمر رضى الله عنه إلى واحد من اثنين : عثمان بن عفان والإمام على بن أبى طالب ، أو بعبارة أخرى : إلى بنى أمية أو بنى هاشم ، وهناك أوشكت أن ترجح كفة بنى هاشم ، ولكن عاملين كبيرين ظهرا فرجحا كفة بنى أمية وهما :

أولا : أن الأمل فى إمكان إخراج الخلافة من بنى أمية كان أقوى من الأمل فى إخراجها من بنى هاشم .

ثانياً : شدة عمر وصرامته ، جعلت الناس يرغبون عن الإمام علىّ حتى لا تمتد الشدة والصرامة ، ومالوا إلى عثمان حيث الدعة واليسر والتسامح .

أسباب الفتنة فى عهد عثمان :

كان الناس فى عهد عثمان رضى الله عنه فريقين ، أحدهما لا يرضى عن عثمان ولا يزكيه ، والآخر يؤيده ــ لا تقديرا له ، بل طمعا فيه ــ ومن هنا يبدو الوضع الحرج الذى وضع فيه سيدنا عثمان من أول الأمر ، وتخلص أسباب الفتنة إلى العوامل الآتية :

١ ــ جاء عثمان بعد عمر رضى الله عنهما ، أو قل : جاء اليسر بعد العسر والحلم بعد الحزم ، فانفلت المكبوت ، وانطلق السجين ، وأقدم الخائف .

٢ – كان اجتهاد عمر رضى الله عنه أنه منع كبار الصحابة من مغادرة المدينة المنورة إلا بإذن وبأجل محدود ، ولكن عثمان رضى الله عنه لم ير ما رآه عمر فقد ضعف عن تنفيذه ، فخرج الصحابة وكان خروجهم مطلع تشتت قد أدركه عمر ببصيرته النافذة ، فإن كل واحد من كبار الصحابة سافر إلى جهة واتخذ مستقرا فيها ، وراح يتحدث عن مواقفه مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وجهاده من أجل الإسلام ، فالتف حوله معجبون كما التف حوله أيضا الطامعون ، وتفرقت الأمة ، وأصبح كل واحد من هؤلاء يمثل ملكاً له مظاهر العظمة ؛ وكثير من الأتباع .

٣ ــ أدت حاجة عثمان رضى الله عنه ــ بعد كبر سنه ــ إلى من يركن إليهم ، فرأى من يعتمد عليه من الولاة من أقاربه منهم موضع ثقته ، وهم أحرص الناس على إعانته ، والإخلاص له ، ولذلك ولاهم واستكثر منهم ، فالكوفة كانت للمغيرة بن شعبة فنقل ولايتها إلى سعيد بن العاص ، وكانت حمص إلى عمر بن سعد فضمها إلى معاوية ، ومصر كانت لعمرو بن العاص فنقلت إلى عبد الله بن أبى السرح ــ أخو عثمان من الرضاعة ــ .

٤ – لم يحمل عثمان رضى الله عنه ولاته على التقشف ، والبعد عن مواطن النعمة والريبة كما فعل عمر رضى الله عنه ، إذ يأخذ على الوالى عهداً أن لا يلبس رقيقا ولا يأكل رغيداً ، ولا يتخذ دون حاجات الناس حجابا . واتخذ عثمان رضى الله عنه غير سياسة عمر فى الاستفسار عن الولاة من الوفود ، وسؤال الرعية عن أمرائها ، غير أن ذلك أدى إلى عكس ما كان يرجو ، إذ كثر الدس على هؤلاء الولاة ، كما كان بعض الولاة يدس إلى الخليفة من يمدحونه عنده .

٥ – بدأت ثورات الخوارج همساً ، ثم ارتفع الهمس ، وأحس الخليفة أن فتنة الخوارج بدأت تظهر ، ولكنه رضى الله عنه أصر على أن لا يقسو على الخوارج ، واتسع

لهم حلمه وحياؤه . وفى ظل ذلك نمت فتنة الخوارج غير خائفة من بطش الخليفة أو من انتقامه ، وكان رضى الله عنه يثور أحياناً ويقول لهم : « لم أكن لأخلع سربالاً سربلنيه الله » ولكنها ثورة الشفوق لا تلبث أن تموت .

٦ - كان سيدنا الإمام علىّ رضى الله عنه ، كلما اشتكى الناس إليه أمر عثمان رضى الله عنه ، أرسل ابنه سيدنا الحسن إليه ، فلما أكثر الإمام علىّ عليه قال عثمان لسيدنا الحسن بن على : « إن أباك يرى أن أحداً لا يعلم ما يعلم ، ونحن أعلم بما نفعل فكف عنا » فلم يبعث الإمام علىّ ابنه الحسن فى شىء بعد ذلك .

الخوارج هم الذين قادوا الثورة على الخليفة وقتلوه :

واشتعلت ثورة الخوارج ضد الخليفة عثمان رضى الله عنه ، وبدأ منظموها من خوارج الكوفة والبصرة ومصر ، يعلنون ما كانوا يضمرون ، وزحفوا إلى المدينة المنورة ، والتقت جموعهم فى شهر رجب سنة خمسة وثلاثين هجرية ، وأظهروا أنهم يريدون أن يسألوا الخليفة عن أشياء ، فأرسل رضى الله عنه رجلين ليقفا على سبب مجيئهم إلى المدينة ، فلما التقى الرجلان بهم ، قالوا لهما : نريد أن نذكر لعثمان أشياء قد ذرعناها فى قلوب الناس ، ثم نرجع إليهم فنؤكد لهم ما سبق أن ذرعناه ، فلم يخرج منها ولم يثب ، ثم نخرج كأنا حجاج حتى نقدم فنحيط به فنحلفه فإن أبى قتلناه .

ثم عاد الرجلان إلى عثمان ، وأخبراه بما سمعاه من هؤلاء القوم ، وضحك رضى الله عنه وقال : « اللهم سلم هؤلاء ، فإنك إن لم تسلم شقوا » . ودعا الخليفة إلى صلاة جامعة فأقبلوا جميعا إلى مسجد رسول الله ﷺ فوقف رضى الله عنه خطيبا وأخبر الناس خبر الخوارج ، واستمع المسلمون الذين شهدوا هذا الاجتماع إلى دفاع عثمان عن سياسته ، ورأى المسلمون أن يقتل عثمان كل من رفع لواء العصيان والخروج عليه استنادا إلى قول الرسول ﷺ : « من دعا إلى نفسه أو إلى أحد وعلى الناس إمام فعليه لعنة الله ، فاقتلوه » فرد عثمان رضى الله عنه على ذلك وقال : بل نعفو ونقبل ونبصرهم بجهدنا ، ولا نحاد أحدا حتى يركب حدا أو يبدى كفرا .

عاد خوارج مصر إلى بلدهم ، ولكنهم ما لبثوا أن أقبلوا إلى المدينة فى شوال من هذه السنة ، وخرج فى نفس الوقت جموع من خوارج الكوفة والبصرة ، وأظهروا أنهم يريدون الحج حتى لا يتعرض أحد لهم ، فلما جاءوا إلى المدينة رأوا عليا وطلحة والزبير .

فعرض خوارج مصر على الإمام رضى الله عنه أن يبايعوه ، فأبى ، وأمرهم بالانصراف عنه ، وقدم خوارج البصرة على طلحة فصدهم عنه ، فعادوا يجرون أذيال الخيبة ، وقدم خوارج الكوفة على الزبير فخيب ظنهم ، تظاهر الخوارج بالعودة إلى بلادهم حتى يفترق أهل المدينة من حولهم ، لكنهم ما لبثوا أن كروا راجعين وفوجىء أهل المدينة بهؤلاء الخوارج مكبرين فى أرجاء بلدهم ، وضربوا حصاراً حول دار عثمان ، وأعلنوا أن من كف يده عن نصرة الخليفة فهو آمن ، فلزم الناس بيوتهم ، ولكن الإمام عليا رضى الله عنه توجه إليهم ، وشرح لهم أن أى اعتداء على الخليفة هو إضعاف للإسلام وتفرقة للمسلمين .

وعلى الرغم من نصيحة سيدنا على فقد حالوا بين الخليفة وبين الخروج إلى المسجد للصلاة ، وعهدوا بالصلاة إلى زعيمهم الغافقى بن حرب العكى الذى أعلن خوارج مصر والكوفة والبصرة طاعتهم له ، فدعا عليهم سيدنا عثمان وقال : « اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحداً » طال حصار الخوارج لدار الخليفة عثمان رضى الله عنه ، وحالوا دون وصول الماء إليه ، فأقبل الإمام على رضى الله عنه وقال لهم : إن الذى تصنعون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين ، لا تقطعوا عن خليفة رسول الله الماء ، فإن الروم وفارس لتأسر فتطعم وتسقى فيما تستحلون محاصرته وقتله ، فقال الخوارج : لا نتركه يأكل ويشرب .

فتحركت شهامة الكثير دفاعا عن الخليفة ، وكانت هناك جنود قد بدأت تزحف للمدينة لإرغام المحاصرين على فك الحصار ، ووقف الحسن والحسين وعبد الله بن الزبير يحرسونه ويذودون عن الدار .

فأدرك الخوارج أن الفرصة أوشكت أن تفلت من أيديهم ، فتسور بضعة منهم الدار إلى الخليفة وهو يقرأ القرآن ، وضربه الغافقى بن حرب العكى بمدية كانت فى يده ، وضربه آخر بالسيف ، ولما حاولت زوجته أن تدافع عنه قطعت أصابعها وهى تتلقى عنه الضربات ، فخر رضى الله عنه شهيداً فى يوم الجمعة الثامن عشر من ذى الحجة سنة خمسة وثلاثين هجرية ثم هجم الخوارج على الدار فنهبوها كما نهبوا بيت المال .

ولنا أن نسأل : لِمَ لَم يسارع معاوية لنجدة الخليفة ومعه أهل الشام ؟ نترك الإجابة عن ذلك لمعاوية حينما سأله الصحابى عامر بن واله ذلك السؤال فأجاب معاوية : أليس طلبى بدمه نصرة له ؟ فضحك عامر وقال : أنت وعثمان كما قال الشاعر :

لا ألفينــك بعـــد المـوت تندبنـــى　　　وفــى حياتــى مازودتنــى زاداً

ومثل ذلك ما قاله الصحابى أبو داود الأنصارى لمعاوية : إن الذى تربص لعثمان وثبط أهل الشام عن نصرته لأنت .

لم يسمح الخوارج بدفن جثمان عثمان فظل ثلاثة أيام دون دفن ، وتوسط سيدنا على رضى الله عنه لدى الخوارج ليسمحوا بمواراة جثمانه التراب ، فأذنوا بدفنه ، ولم يشهد جنازته سوى مروان بن الحكم وأربعة معه وزوجتى عثمان ، وحاول الخوارج قذف جنازة عثمان بالحجارة فنهرهم الإمام علىّ رضى الله عنه ، وهرع القوم بالجثمان ليواروه متخذين من الظلام ستاراً يحجبهم عن عيون الخوارج .

وهكذا كانت نهاية الشهيد الثانى من خلفاء رسول الله ﷺ بيد الخوارج ، الذين لم يقتلوا ملوك الفرس والروم ، ولكنهم قتلوا أئمة المسلمين .

الفصـــل الســـادس

خوارج عهد الإمام على رضى الله عنه

ولد الإمام فى قبلة الإسلام :

فى السادس عشر من شهر رجب الأصم ، سنة ثلاثين من عام الفيل ولد الإمام علىّ رضى الله عنه ، فى أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ، ولد فى بيت الله لكرامته على الله ، واستشهد فى بيت الله لشدة عدله وقوة وطأته وجهاده فى ذات الله ، ظل الإمام من حين ولد فى ظل الرسول ﷺ ، يخصه بالتربية فى حجره ، ويصنعه على عينه ، ويرعاه برعايته .

كنفه الرسول ﷺ فى فراشه لكى ينام وحده على فراشه فى رجولته وبطولته ، ذودًا عنه ، وصيانة للرسول الأعظم ، حيث تآمر المشركون على قتله .

استقت عروقه من نبع النبوة المحمدية ، وارتضع من ثدى الرسالة الختمية ، وتهدلت أغصانه من منبع الولاية الإلهية . نشأ فى حجر الوحى ، وربى فى بيت التنزيل . ما سجل التاريخ أبًا أيسر بابن منه ﷺ لعلى ، ولا أطوع لأب من علىّ له ﷺ .

مرحلة استخلاف الإمام رضى الله عنه :

يقول ابن عباس : دخلت على أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنه وهو يخصف نعله ، فقال لى : ما قيمة هذا النعل ؟ قلت : لا قيمة له ، فقال رضى الله عنه : ﴿ والله لهى أحب إلى من إمرتكم هذه ، إلا أن أقيم بها حقا أو أبطل باطلا ﴾ .

أجل .. إن نعله المخصوف هذا أحب إليه من إمرة المسلمين والتسيطر على شتى بلادهم ، فالخلافة فى نظره رضى الله عنه مسئولية عظيمة يجب أن تطوع لخدمة كل هدف مقدس من إحقاق الحق وإزهاق الباطل .

فحين قتل خوارج مصر والبصرة والكوفة الخليفة الراشد سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ، اجتمع المهاجرون والأنصار ـ ومنهم طلحة والزبير ـ فأتوا سيدنا عليا رضى الله عنه وقالوا له : يا أبا الحسن هل نبايعك ؟ فقال رضى الله عنه : لا حاجة لى فى أمركم ، فمن اخترتم فقد رضيت به ، فقالوا : لا نختار غيرك ، فاختلفوا إليه بعد استشهاد عثمان رضى الله عنه مرارا ، فقبل رضى الله عنه الخلافة بعد تزاحم المسلمين عليه وإلحاحهم الشديد على مبايعته ، فكشف الإمام علىّ رضى الله عنه حقيقة سياسته وهى اتباعه كتاب الله فيما أمر ونهى ، وسنة رسول الله ﷺ فاقتدى بها .

قميص عثمان شعار الناكثين :

طلحة بن عبد الله قريب سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، والزبير بن العوام ابن عمة النبى وزوج أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنه ، وكان طلحة والزبير ممن بايعا عليا رضى الله عنه مع الناس ، ثم سألاه أن يشركهما فى الحكم ، وأن يولى أحدهما البصرة والآخر الكوفة ، فأبى ، وحين قسم العطاء ساوى بينهما وبين الموالى ، فكان نصيب كل منهما ثلاثة دنانير ، فقال طلحة : « ما لنا من هذا الأمر إلا كلحسة الكلب أنفه » .

فقال رضى الله عنه لهما : والله ما منعتكما ولاية الكوفة والبصرة إلا حتى لا يستشرى الفساد ، ولا آمنكما وأنتما عندى بالمدينة فكيف آمنكما وقد وليتكما العراقين ؟ .

فاستأذناه فى الخروج إلى مكة للعمرة ، وخرج طلحة والزبير وأعوانهما من النفعيين والوصليين ، يريدون البصرة مدعين بأنهم يطالبون بدم عثمان ، وهم ليسوا أولياءه ليطالبوا بذلك ، فإن وليه ابنه عمرو ، وإن سيدنا عثمان لم يقتل بالبصرة ليطلب بدمه فيها ! .

وخرج والى البصرة عثمان بن حنيف إلى طلحة والزبير ، فناشدهما الله والإسلام وذكرهما ببيعتهما لسيدنا علىّ رضى الله عنه ، ولكن طلحة والزبير أخذا بمراسلة القبائل لمساندتهما فى الثورة ، وضربوا عثمان بن حنيف ، وقتلوا حراس بيت المال ، وارتكبوا الأفعال البشعة من القتل والنهب والاعتداء على أهل البصرة ، فتوجه سيدنا على رضى الله عنه إلى البصرة ووقعت معركة شديدة انتهى الأمر فيها بانتصار سيدنا على رضى الله عنه ، وقد ذكّر الإمام رضى الله عنه الزبير بقول النبى ﷺ له : « إنك والله ستقاتل

عليًّا ، وأنت له ظالم » فترك الزبير القتال ، ولكن تبعه ابن جرموز فقتله غيلة ، أما طلحة فقال له الإمام : جئت بعرس رسول الله ﷺ تقاتل بها ، وخبأت عرسك فى البيت ؟ أنشدك الله ، أسمعت رسول الله ﷺ بقوله : « من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه » .

قال طلحة : نعم ، ولكن جئت أطلب دم عثمان . وحين أتيحت الفرصة لمروان بن الحكم رمى طلحة بسهم فقتله ، وقال : والله إن دم عثمان عند هذا .

فحركة الناكثين ما هى إلا جانب واحد من جوانب الصراع المسلح بين على وخصومه ، وهى صورة من صور الصراع بين الحق والباطل ، انتهى بمقتل طلحة والزبير وثلاثة عشر ألفا من أصحابهما ، وباستشهاد خمسة آلاف من أصحاب الإمام علىّ وكانت واقعة واحدة فى يوم واحد .

قميص عثمان شعار المارقين :

انضوى تحت لوّاء معاوية كل من كان حاقدا على الإمام على رضى الله عنه ، بعدالته وسلامة معتقداته فى السياسة والدين والأخلاق ، متظاهرين بالطلب بدم عثمان رضى الله عنه ، ولو أنصف هؤلاء المارقون لبايعوا سيدنا علياً رضى الله عنه كما بايع الناس ، ثم أتوا إليه مع أولياء عثمان يطالبون بالإقادة من قتلته .

ولكن المارقين لم يكونوا يريدون أن يثأروا لعثمان بقدر ما كانوا يريدون أن يصرفوا الأمر عن خلافة الإمام على ، فالطلب بدم عثمان لم يكن إلا أقصوصة اشترك فى صوغها كل منافس لعلىّ حاقد عليه .

سبق معاوية إلى صفين — موضع على شاطىء الفرات — وكان مع الإمام علىّ رضى الله عنه تسعون ألفا ، منهم المهاجرون الذين حاربوا مع رسول الله ﷺ ، ومنهم الأنصار ، ومنهم من بايع تحت الشجرة بيعة الرضوان ، وكان فى جيش معاوية الأمويون والمارقون .

فأرسل الإمام علىّ رضى الله عنه رسولين لمعاوية لمفاوضته وإقناعه بالانصياع لأوامر الله وسنة الرسول ﷺ ، فأغلظ معاوية لهما القول وطردهما ، فحدث القتال المرير بين الجانبين ، وانهزمت قوى الشر أمام جيوش الإمام ، وقتل بصفين خمسة وأربعون ألفا من أهل الشام وخمسة وعشرون من أهل العراق .

فلجأ معاوية إلى عمرو بن العاص ، الذى أشار بفكرة رفع المصاحف على أسنة الرماح ، إعلانا للجوء إلى تحكيم كتاب الله .

وكان للتحكيم أثره الكبير فى جيش الإمام علىّ رضى الله عنه وانقسامه إلى فريقين : فريق رضى بالتحكيم ، وفريق آخر رفضه ، فأُكره الإمام علىّ رضى الله عنه على قبول التحكيم ، مع علمه أن التحكيم خدعة لما بدت بوادر النصر لجيشه .

« إن الحكم إلا لله » شعار طيار بكل عارٍ وبوارٍ ودمارٍ :

فى أول يوم من صفر سنة ٣٦ هـ ، اصطف جيش الإمام على رضى الله عنه وجيش معاوية ، فاقتتلوا قتالا شديداً جل النهار ، وأسفرت المعركة عن قتلى من الفريقين ، وكذلك فى اليوم الثانى اقتتلوا ، وانصرفوا عن كثير من القتلى دون أن يتغلب فريق على آخر ، وفى اليوم الثالث والرابع والخامس كانت الغلبة لجيش الإمام على ، وفى اليوم السادس والسابع والثامن اقتتل الفريقان وانصرفوا لا غالب ولا مغلوب ، وفى اليوم التاسع كان القتال على أشده ، فاستشهد عمار بن ياسر بعد أن بلغ من العمر ثلاثا وتسعين سنة ، ولما صرع عمار حزن الإمام علىّ عليه ، واشتد القتال ، واستشهد هاشم المرقال ، حامل لواء أمير المؤمنين ، واستمر القتال على هذا الحال ثلاثة أيام .

ولما أشرف جيش الإمام على الفتح ، ولم يبق إلا ساعات ، قال معاوية لابن العاص : هلم مخبأتك يا ابن العاص ، هذا علىّ سيغدو علينا ، فقال ابن العاص : أيها الناس من كان معه مصحف فليرفعه على رمحه لنحكم كتاب الله بيننا وبينهم ، فلما رآها الناس قالوا : نجيب كتاب الله ، فقال سيدنا على : امضوا على حقكم وصدقكم وقتال عدوكم ، فإن معاوية وعمرو ومعسكرهم لم يرفعوا المصاحف إلا خديعة ، فقال فريق من أصحابه رضى الله عنه : لا يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله ، فقال لهم على رضى الله عنه : إنما أقاتلهم ليدينوا لحكم كتاب الله ، فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم ، فأصروا إلا وقف القتال وقبول التحكيم .

قنبلة التحكيم فجرت ظهور الخوارج :

اقترح أصحاب معاوية أن يبعث كل فريق من يمثله ، على أن يعمل الحكمان بما فى كتاب الله لا يعدوانه ، ثم يتبع الفريقان ما اتفق عليه الحكمان ، فاختار فريق معاوية عمرو ، واختار فريق الإمام علىّ أبا موسى الأشعرى ، فقال على رضي الله عنه لفريق

من أصحابه : قد عصيتموني في أول الأمر فأوقفتم القتال ، فلا تعصوني الآن إن رأيتُ أن أولي أبا موسى أو أن أولي عبد الله بن عباس ، فأبوا : إلا أبا موسى ، فقال رضي الله عنه : فاصنعوا ما أردتم . واضطر اضطراراً للخضوع ــ رضي الله عنه ــ لمشيئتهم خشية افتراقهم .

قال أبو موسى : أرى أن نخلع هذين الرجلين عليًّا ومعاوية ثم نجعلها شورى بين المسلمين ، يختارون لأنفسهم من أحبوا ، قال عمرو : رضيت بذلك ، وهذا الرأى فيه صلاح الناس . فتقدم أبو موسى ليتكلم ، فقال ابن عباس : ويحك إنى لأظنه قد خدعك ، إن كنتما قد اتفقتما على رأى فقدمه ليتكلم به قبلك ، ثم تكلم بعده ، فإذا قدمت فى الناس خالفك ، فقال أبو موسى : أيها الناس إنا قد نظرنا فى أمر هذه الأمة ، فلم نر أصلح لأمرها ولا ألم لشعثها إلا أن نخلع عليا ومعاوية ، ويولى الناس أمرهم من أحبوا ، وإنى قد خلعت عليا ومعاوية .

ثم تنحى وأقبل عمرو ، فقام وقال : إن هذا قد قال ما سمعتموه وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ، وأثبت صاحبى معاوية ، قال أبو موسى لعمرو : لا وفقك الله ، غدرت وفجرت .

حزب الخوارج نشأ قبل أهل السنة والشيعة :

فور إعلان مكيدة التحكيم بين أبى موسى الأشعرى وعمرو بن العاص ، نشأ حزب الخوارج ــ وهو أول حزب سياسى يتكون فى تاريخ الإسلام ــ وتعالت الهتافات من الخوارج بتكفير الحكمين تحت شعار « لِمَ حكمت الرجال ؟ لا حُكم إلا لله » وأصبح الخوارج خطراً على الإمام على رضى الله عنه أكثر من أعدائه ، فاضطر رضى الله عنه للحرب فى جبهتين : جبهة معاوية وجبهة الخوارج .

فالخوارج كانوا أسبق فى الظهور قبل أهل السنة والشيعة ، وقد خرجوا بسيوفهم يجمعون الناس حولهم منادين بشعارهم الخادع « لا حكم إلا لله » ثم يضربون بسيوفهم فيقتلون من يلحقون بالإمام على رضى الله عنه ، ولا يزالون يقتلون حتى يقتلوا ، لأنهم يرون إهراق دماء المسلمين وغنم أموالهم وسبى أولادهم مباحاً لهم ، ونادوا بتكفير عثمان وعلىّ وطلحة والزبير والسيدة عائشة ومعاوية والحكمين ، ولهذا خشيتهم الناس .

معركة النهروان بين الخوارج وأنصار الإمام على :

أراد أصحاب سيدنا على رضى الله عنه قتال الخوارج ، ولكنه أبى عليهم ذلك وأنكره ، وقال : « إن سكتوا تركناهم ، وإن تكلموا حاججناهم ، وإن أفسدوا قاتلناهم » فبدأ الخوارج نشر الفساد فى المناطق التى كانوا يسكنون فيها ، فنهبوا واغتالوا وتعاطوا كثيرا من الموبقات .

فقتلوا عبد الله بن الخباب بن الأرت ، وخباب هذا من خيرة الصحابة ، وقتلوا نسوة كن معه ، وجعلوا يتعرضون للناس وينشرون الذعر ، فأرسل إليهم سيدنا على رجلا من أصحابه يسألهم عن هذا الفساد ، فلم يكد هذا الرسول يدنو منهم حتى قتلوه .

فلم يجد الإمام على رضى الله عنه بدا من مقاتلتهم فى النهروان ، وقبل أن يحمل عليهم نصب راية مع أبى أيوب الأنصارى ، ونادى : من جاء هذه الراية فهو آمن ، ومن انصرف إلى الكوفة أو المدائن فهو آمن .

وكان الخوارج وقتئذ أربعة آلاف ، فانصرف منهم ألف ومِائَتان وبقى ألفان وثمانمائة ، وكان الإمام على رضى الله عنه قد أخبر أصحابه بأنه لا يفلت منهم عشرة ، ولا يقتل منكم عشرة ، ثم قال رضى الله عنه : احملوا على القوم . فحملوا عليهم حملة رجل واحد ، وما هى إلا ساعات حتى انتهت المعركة ، وكان الأمر كما قال الإمام على رضى الله عنه ، هرب من الخوارج تسعة ، وقتل من أصحابه رضى الله عنه تسعة ، فقال بعض أصحاب الإمام على رضى الله عنه : قطع الله دابرهم إلى آخر الدهر ، فقال الإمام : كلا والذى نفسى بيده ، إنهم لفى أصلاب الرجال وأرحام النساء .

الخوارج أتباع إبليس :

جاء فى الأثر أن موسى بن عمران قال لإبليس : مارأيك أن أسأل لك الله الرضا عنك على أن تستغفر وتتوب ؟ .

قال إبليس : أنا أتوسط بك إليه ، كى يرضى ؟ !! بل عليه هو أن يتوسط بك إلىّ ، كى أرضى ، قال موسى : ولم ذاك ؟ ، قال إبليس : أمرنى أن أسجد لآدم ، فقلت له : أنا أسجد لك ولا أسجد لأحد سواك ، فأى شىء من قولى هذا أعاقب عليه ؟ ! .

وهذا هو منطق أتباع إبليس من الخوارج ـ إن الحكم إلا لله ـ شعار دوار بكل عا
وبوار ودمار ، هتف به الخوارج فى دعايتهم ، وتعلة فى بغيتهم وغيتهم .

لله أنت يا شعار الضر والشر ، أصبحت تثير الويلات والاغتيالات على المسلمي
الآمنين ، لا على الصليبيين والشيوعيين والإسرائيليين .

حرق الله فكر الخوارج ومزقه ، كما حرق الإسلام بشعارات الزور ، وقضى عل
المسلمين بكل غرور .

لعن الله فكر الخوارج الذى يتخذ من الدين جنة ؛ ويصور من النار جنة .

لعن الله فكر الخوارج الذى ينشر القرآن بأفواهه ؛ ثم يقضى عليه بأعماله .

الخوارج يقتلون أهل الإسلام ويَدَعون أهل الأوثان :

رأى الإمام على رضى الله عنه أن يمضى بجنده إلى معاوية وجنده ، حتى إذا فرغ منه
وألزمهم الجماعة ، نظر فى أمر هؤلاء القراء المتطرفين الذين خرجوا عليه ، ولكن ن
عظيما روع الإمام عليًّا رضى الله عنه ، ذلك أن عبد الله بن خباب الأرت كان يسوق
حمارا تركبه امرأته الوشيكة الوضع ، فمر بهؤلاء الخوارج الذين عسكروا بالنهروان
فوثبوا إليه ففزع وفزعت امرأته .

فقالوا له : من أنت ؟ .
قال : أنا عبد الله بن خباب .
قالوا : ابن خباب الأرت صاحب رسول الله ﷺ أفزعناك وامرأتك ؟ .
قال : نعم .
قالوا : لا روع عليكما ، فليأمن سربكما ، أنتما آمنان .
قالوا : حدثنا عن أبيك الصحابى الجليل رحمه الله ورضى الله عنه حديثا سمعه عن
رسول الله ﷺ تنفعنا به .

قال : حدثنى أبى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل
كما يموت فيها بدنه ، يمسى فيها مؤمنا ويصبح كافرا ، ويصبح فيها مؤمنا ويمسى كافرا »
قالوا : لهذا الحديث سألناك ، فما تقول فى أبى بكر وعمر ؟ . فأثنى عليهما .

ثم عرض لرجل منهم خنزير ، فلما قتله أقبل أصحابه من الخوارج فلاموه ، وقالوا : هذا فساد فى الأرض .

فقال عبد الله بن خباب مبتسما لنفسه : ما علىّ منهم من بأس بعد أن غضبوا لقتل خنزير ، وأنا رجل مسلم ، إنهم لحملة القرآن .

فقالوا لعبد الله : أنت آمن السرب معنا ، ولكن قل لنا : ما تقول فى عثمان فى أول خلافته وآخرها ؟ .

قال : إنه كان محقا فى أولها وآخرها .

قالوا : فما تقول فى علىّ قبل التحكيم وبعده ؟ .

قال : إنه أعلم بكتاب الله منكم ومنى ، وأنفذ بصيرة ، وأشد توقيا على دينه .

قالوا : إنك لست تتبع الهدى ، بل تتبع الهوى ، وتوالى الرجال على أسمائهم لا على أفعالهم ، والله لنقتلنك قتلة ما قتلناها أحداً .

فأخذوه فكتفوه ، ثم أنزلوا امرأته من على الحمار – وهى تصيح وتصرخ – وعرض لهم رجل من أهل الذمة فسألهم عما يفعلون ولماذا هم هنا ؟ .

فقالوا : هاجرنا بديننا من أحكام هؤلاء الكفرة والجورة : علىّ ومعاوية وأصحابهم . ثم سألوا الذمى : مع من أنت منهما ؟ فلم يجبهم ، وقال لهم : اتبعوا أنتم من شئتم منهما أو اتركوهما جميعا ، ودعونى فى حالى ، فأنا من أهل الذمة .

واقترح رجل منهم أن يقتلوا الذمى ، فصاح فيهم زعيمهم : أتريدون منا أن نكفر ؟ إن أهل الذمة فى ذمة الله ورسوله ولهم حرمة ، فاستبشر عبد الله بن خباب خيرا ، وقال : أنا وامرأتى مسلمان ، وأنتم حملة القرآن ، فما علينا منكم من بأس .

ولكنهم لم يفكوا وثاق عبد الله ، بل أوثقوا امرأته الحامل فى شهرها التاسع بنخلة على شاطىء النهر ، فسقطت رطبة فأكلها رجل منهم فصاح فيه آخر : أخذتها بغير حلها وبغير ثمن ؟ ! هذا فساد فى الأرض .

ثم جاء صاحب الخنزير الذى قتلوه وهو رجل من أهل الذمة فعاتبهم فى قتلهم الخنزير ، فدفعوا له ثمن الخنزير مضاعفا وأرضوه .

فقال لهم عبد الله بن خباب : إن كنتم صادقين فيما أرى فما علىّ منكم بأس ، إنى مسلم ما أحدثت فى الإسلام حدثا ، ولقد أمنتمونى فقلتم : لا روع عليك .

ولكنهم ذبحوه ، وجاءوا بامرأته فصرخت فيهم : أنا امراة فى بطنى نفس حية ، ألا تتقون الله وأنتم حملة القرآن ؟ ! .

فبقروا بطنها ، وقتلوا الجنين ، ثم ذبحوها ، وجاء ثلاث نسوة يغثنها فقتلوهن جميعا !!! .

روع الإمام بهذه الأنباء عن فسادهم فى الأرض ، فبعث إليهم الحارث بن مرة العبدى ، وأوصاه بأن يتحسس عن أمرهم ويتحقق عما بلغه عنهم ، فإن صح عنده ما بلغه رضى الله عنه ، فليطلب منهم تسليمه قتلة عبد الله بن خباب وامرأته والنسوة الثلاث ، ولكن الحارث لم يكد يسألهم حتى قتلوه .

ويقول الشيخ أبو زهرة فى كتابه تاريخ الجدل ص ١٤٧ : إن الخوارج استولت عليهم ألفاظ الإيمان ، ولا حكم إلا لله ، والتبرؤ من الظالمين ، وباسمها أباحوا دماء المسلمين ، وخضبوا البلاد الإسلامية بالدماء ، وشنوا الغارة فى كل مكان .

ولقد كان الخوارج أكثر الفرق الإسلامية حماسا لشذوذهم الفكرى ، عرفوا بالتهور والاندفاع الشديد ، والاستمساك بظواهر الألفاظ ، والاستهداف للمخاطر ـ بداع أو بدون داع ـ نتيجة لتعصبهم الأعمى لمبادئهم وأفكارهم .

والخوارج لم يخرجوا من جيش الإمام على رضى الله عنه ، إنما خرجوا من دنيا الزهد إلى دنيا اللذة والمتاع .

خرجوا من عقال التقوى إلى فسيح الفوضى .
خرجوا على إمام الحق ، هارعين لإمام الباطل .

هؤلاء هم الخوارج الذين ضمروا الشر للإسلام : نفاق وجهل موبق ، وشر مستطير وبلاء عاصف .

وإننا هنا لا نجد وصفا لهم أليق من وصف الإمام على رضى الله عنه إذ قال فيهم : « صم ذو أسماع ، وبكم ذو كلام ، وعمى ذو أبصار ، أقوالهم بغير علم ، وغفلتهم بغير ورع ، وطمعهم فى غير حق » .

المسيح عليه السلام وعلىّ رضى الله عنه :

تشابه كل من المسيح عليه السلام وعلىّ كرم الله وجهه ولادةً ، الأول من أم عذراء

ومن سلالة صالحة طاهرة ، والثانى من سلالة صالحة طاهرة . الأول تحت الشجرة المباركة ، والثانى عند الكعبة المكرمة . والمسيح من ذرية آل عمران إذ هو ابن مريم ابنة عمران ، من سلالة إبراهيم عليه السلام ، وعلىّ من سلالة منها رسول الله ﷺ الذى ينتسب إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام ، كما أن المسيح عيسىٰ بن مريم تربى فى بيت زكريا وفى كنفه ، فتعلم منه الحكمة والعلم ، وعلىّ تربى فى بيت رسول الله ﷺ وارتوى من نبعه علما وخلقا .

اختلاف الناس فى المسيح عليه السلام وعلىّ كرم الله وجهه :

اختلف الناس فى المسيح عيسى عليه السلام لما أوتى من المعجزات التى لم يؤتها غيره مما هو عمل الخالق جل شأنه ، وقد ذكر الله تعالى المعجزات التى أيد بها سيدنا عيسى فى قوله تعالى : « **ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين** »[1] وقال تعالى : ﴿ **ورسولاً إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين** ﴾[2] .

لذلك لما كثرت معجزاته والتفت الجموع به ، بدأ اليهود ينشرون الأكاذيب حوله حتى تمكنوا من التأثير على أتباعه ، مما جعل هؤلاء الأتباع يقولون له : « أنت ابن الله » ، وقد أوضح الله تعالى الخلاف فى المسيح فقال جلت قدرته : « **ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم** »[3]

****

« يُغالى فى حبى أقوام حتى يدخلوا فى حبى النار ..
ويغالى فى كرهى أقوام حتى يدخلوا فى كرهى النار » . »

الإمام على بن أبى طالب
كرم الله وجهه وقدس سره

---

(١) سورة آل عمران آية ٤٦ .
(٢) سورة آل عمران آية ٤٩ .
(٣) سورة الزخرف آية ٦٣ – ٦٤ .

واختلف الناس فى على رضى الله عنه ، ومما جاء فى الخيرات الحسان لابن حجر الهيثمى : يستدل على قدر الرجل من الماضين بكثرة اختلاف الناس فيه ، ألا ترى أن عليا كرم الله وجهه هلكت فيه فئتان ، محب مفرط ، ومبغض مفرط ، فقد أحب بعض الناس عليا حبا مفرطا ، وكره آخرون عليا كراهة لم توجه إلى أحَد من أصحاب رسول الله ﷺ .

ولا أدل على ذلك من موقف الخوارج بالنسبة له رضى الله عنه ، ومن امتدادهم التاريخى فى القرن السابع ممثلا فى شيخ الخوارج ابن تيمية ، حيث ذكر فى كتابه (منهاج السنة) وأشير إليه فى كتاب : (على بن أبى طالب إمام العارفين) لأحمد ابن محمد الصديق الغمارى الحسنى .ص ٥٣ ، حيث يقول : « إنه لم يصح فى فضل علىّ حديث أصلاً ، وأن ما ورد فيها فى الصحيحين لا يثبت له فضلا ولا مزية على غيره . بل تعرض للسيدة فاطمة سيدة نساء العالمين ، قاصدا من ذلك احتقار أهل البيت ، فقد قال عنها : فيها شبه من المنافقين الذين وصفهم الله تعالى بقوله : ﴿ **فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون** ﴾[1] فكذلك فعلت هى إذ لم يعطها أبوبكر رضى الله عنه من ميراث والدها ﷺ .

أما على رضى الله عنه ، فقال : (إنه أسلم صبيا وإسلام الصبى غير مقبول ــ على قوله ــ) فراراً من إثبات أسبقيته للإسلام ، وجحودا لهذه المزية « وأنه خالف كتاب الله فى سبع عشرة مسألة ، وأنه كان مخذولا حيثما توجه ، وأنه يحب الرئاسة ويقاتل من أجلها ، لا من أجل الدين ، وأن كونه رابع الخلفاء الراشدين غير متفق عليه عند أهل السنة ، بل كان هناك من يربِّع معاوية وهم بنو أمية ، وأن عليا حفت أظافره من التسلق على أزواج رسول الله ﷺ » .

ويتضح من قول شيخ خوارج القرن السابع ابن تيمية أنه اتهم عليا رضى الله عنه باتهامات لا يجوز أن يتهم بها مُطَلِّق المؤمنين ــ فضلا عن سادات الصحابة رضى الله عنهم ــ ولقد صدق رسول الله ﷺ فى مثل ابن تيمية ومن سار على دربه : « من دعا إلى ضلالة كان عليه إثم من تبعه إلى يوم القيامة » .

نهاية المسيح عليه السلام ونهاية على كرم الله وجهه :

كانت نهاية المسيح عيسى عليه السلام والصحابى الجليل على كرم الله وجهه ، نتيجة

---

(١) سورة التوبة آية ٥٨ .

تدبير من أعماهم التعصب عن نور الحق من خوارج الحواريين وخوارج الحروريين ، وإن اختلفت نهاية كل منهما .

فقد اتفق حكم الخوارج على قتل كل منهما ، ولكن الله تعالى اصطفى عيسى عليه السلام ورفعه إليه بعد أن ألقى الله شبهه على قتلته ، ونفذ قضاء الله تعالى فى علىّ رضى الله عنه ، لقد تشابهت نهاية كل منهما فى الباعث والسبب وإن اختلفت صفتهما ، فالأول رسول الله ﷺ ، والثانى صحابى وأخو رسول الله ﷺ ، فالمسيح عليه السلام تجلت فيه قدرة الله فى حادث صلبه فأخفاه الله عن أعين الخوارج ، ووقع تحت بصرهم رجل شديد الشبه به وهو يهوذا الأسخريوطى زعيم خوارج الحواريين ، الذى أرشد عنه وهو يتعبد فى البستان ، وفى هذا يقول القرآن : « **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما** »[1] .

وعلى رضى الله عنه يعيش فتنة إثر فتنة ، ومحنة تتلوها محنة تتلوها محنة ، فاجتمع ثلاثة من الخوارج وهم : عبد الرحمن بن ملجم وحجاج بن عبد الله الصريمى ولقبه « البرك » وزادويه مولى بنى الغبر . واتفقوا على قتل علىّ رضى الله عنه ومعاوية وعمرو بن العاص ، وتواعدوا ألا ينفض رجل منهم عن صاحبه الذى يتوجه إليه حتى يقتله أو يقتل دونه .

سفك الدماء يعنى قتل مادة الإسلام البشرية وتمزيقها :

فقال ابن ملجم : أنا أقتل عليا .
وقال البرك : أنا أقتل معاوية .
وقال زادويه : أنا أقتل عمرو بن العاص .

وتعاهدوا على أن يتم ذلك فى صلاة الفجر فى اليوم السابع عشر من رمضان وكان ذلك فى السنة الأربعين من الهجرة ، فأما البرك بن عبد الله فقد توجه إلى معاوية فرفع السيف ليضربه وهو يسجد فى صلاة الفجر ؛ فتكاثر عليه حرس معاوية فوقع السيف فى إلية معاوية ؛ وأمر معاوية بقتل البرك فأخذوه فقتلوه .

(١) سورة النساء آية ١٥٧ ـ ١٥٨ .

أما زادويه فإنه جلس لعمرو بن العاص فى تلك الليلة ، ولكن ابن العاص تخلف عن الصلاة لألم باغته فى بطنه ، فأمر خارجة أن يصلى بالناس فشد عليه زادويه وهو يحسبه عمرو بن العاص فقتله ، وقال عمرو بن العاص للقاتل : « أردتنى وأراد الله خارجة » وأخذوه فقتلوه .

أما عبد الرحمن بن ملجم فقد أتى أصحابه بالكوفة من الخوارج الحروريين ، وكاتمهم أمره كراهية أن يظهروا شيئا من أمره ، فإنه رأى ذات يوم أصحابا من تيم الرباب ، وكان الإمام على قتل منهم يوم النهروان عشرة فذكروا قتلاهم ، ولقى من يومه ذلك **امرأة من تيم الرباب يقال لها ، قطام ابنة الشجنة ، وقد قتل أبوها وأخوها يوم النهروان ،** وكانت فائقة الجمال فخطبها فقالت له : لا أتزوجك حتى تشفى لى ، فقال : وما يشفيك ؟ قالت : ثلاثة آلاف ، وعبد ، وقينة ، وقتل على بن أبى طالب ، فإن أجبت شفيت نفسك ونفسى ، ويهنئك العيش معى ، وإن قُتلتَ فما عند الله خير من الدنيا وزينتها وزينة أهلها ، قال : فوالله ما جاء بى إلى هذا المصر إلا قتل على ، فلك ما سألت .

واصطحب معه رجلا من تيم الرباب يدعى وردان ، ورجلا من أشجع يدعى شبيب ابن بجرة ، وجلسوا مقابل السدة التى يخرج منها الإمام على رضى الله عنه كعادته ليوقظ **الناس ويناديهم : الصلاة الصلاة ، ثم يؤمهم فى صلاة الفجر ، دخل الإمام المسجد ،** ضربه شبيب فأخطأه ، وضربه عبد الرحمن بن ملجم على رأسه وقال : الحكم لله يا على لا لك ولا لأصحابك ، فقال الإمام على : فزتُ وربِّ الكعبة ، لا يفوتكم الكلب ، فتكاثر الناس على ابن ملجم ــ لعنه الله ــ وقبضوا عليه ، أما الآخران فقد هربا فى الزحام ، فقال الإمام على رضى الله عنه ودمه ينزف من رأسه فيخضب لحيته : « احبسوه ، فإن متُّ فاقتلوه ولا تمثلوا به ، وإن لم أمت فالأمر إلىَّ فى العفو أو القصاص » ؛ **ننظر جيدا إلى هذه الحكمة العظيمة فى الحرص على دماء المسلمين لكرامتها** وقداستها ، ومكانتها عند الله ، فالإسلام قائم بأهله ، وأما سفك الدماء فهو يعنى قتل مادة الإسلام البشرية وتمزيقها . ثم انتقل إلى جوار ربه بعد يومين .

يالها من نهاية يعجز القلم عن التعقيب عليها سوى كلمات الإمام نفسه : « يادنيا غرى غيرى ، غرى غيرى ، إلى تعرضت ؟ أم إلىّ تشوقت ؟ هيهات هيهات .. لقد **باينتك ثلاثا لا رجعة فيها ، آه من قلة الزاد وبُعد السفر ووحشة الطريق » ؛ فتح على** رضى الله عنه عينيه على بيت الله ، وأغمضها فى بيت من بيوت الله .

« لا يحب عليًّا منافق ، ولا يبغضه مؤمن » حديث شريف :

غلف الزمان برداء الشهادة أعظم إمام فى عصره ـ وكل العصور ـ فجاءت الشهادة فى أفضل مكان وأطهر موقع لإمام عاش مراحل عمره يحارب الكفر والضلال ، ويحاربه الكفر والضلال .

مات الإمام وهو يعلم موضعه من الشهادة كما وعده الرسول ﷺ يوم أُحد عندما لم ينل الشهادة فعز عليه ذلك ، فقال له الرسول ﷺ : « أبشر فإن الشهادة من ورائك » .

وهكذا ، فإن الشهادة كانت وراءه فى كل خطوة يخطوها ، وعلى كل طريق يسير فيه من البيت إلى المسجد له آية الشهيد .

فكيف نزن حياة إمام ليس مثلها حياة ؟ ! كيف نزن حياة إمام بخسه الخوارج حقه ؟ ! وأعطاه شيعته فوق حقه بعد الممات بكاءً وعويلا !! ووقف الصوفية يرددون قول الإمام رضى الله عنه : « ليغالى فى حبى أقوام حتى يدخلوا فى حبى النار ، ويغالى فى كرهى أقوام حتى يدخلوا فى كرهى النار » وأيد ذلك الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « **لا يحب عليّاً منافق ، ولا يبغضه مؤمن** » .

الباب الثالث

الخوارج هم المفسدون فى الأرض

مجمل حروب الإمام على رضى الله عنه مع النبى ﷺ وبعده ، كلها لله وفى الله ، حارب مع النبى لإحياء الدين ونشره ، وحارب بعده ﷺ لتثبيته ـ رضى الله عنه ـ الدين والذبِّ عنه ورد المعتدين عليه ، وكل منهما لا يقل خطراً عن الآخر ، أو جزء متمم لصاحبه .

والسر فى ذلك أن حروب الإمام على رضى الله عنه ليست بظاهرها كحروب النبى ﷺ ضد الشرك والمشركين ، وإنما هى حرب ضد اللصوص وقطاع الطرق كحرب أهل الجمل وصفين ، أو ضد الجهلة المفسدين فى الأرض الذين يحرِّمون قتل الخنزير ويستبيحون ذبح الأتقياء الأبرار ، وبقر بطون النساء الحبالى .

وماذا لدى اللص غير الاحتيال والنفاق ورمى الأبرياء بالتُّهم ؟ أو أية حجة عند الجاهل غير التهافت والتناقض ؟! .

الخوارج فى العهد الأموى :

كانت الأمة الإسلامية ـ بعد أن ولى معاوية الخلافة ـ ثلاثة أحزاب : شيعة بنى أمية ، وشيعة الإمام على ، والخوارج هم أعداء الفريقين يرون أن غيرهم من المسلمين كفارا ، وأن دماءهم وأموالهم حلال . لذلك لم يكن بد من أن يسلك معاوية معهم سبيل الشدة والقمع ليأمن شرهم ويحول دون ما يلقونه من بذور التفرقة التى كادت تودى بالأمة الإسلامية .

فلما استتب الأمر لمعاوية سنة ٤١ هـ عول الخوارج على قتاله ، وكان على رأسهم ذرة بن نوفل الأشجعى ، فخرج هو وأصحابه إلى الكوفة حيث كان معاوية ، ولكن معاوية غلبهم .

ولكن هذه الهزيمة لم تثن الخوارج عن عزمهم ، ولم تثبط همتهم فى الدفاع عما يعتقدون أنه الحق ، فسرعان ما قام فريق آخر بزعامة حبان بن ظبيان السلمى إلى الكوفة .

ولما علم المغيرة بن شعبة ــ والى الكوفة ــ بأمر الخوارج شدد فى طلبهم ، وعول على القضاء عليهم قبل أن يشتد خطرهم ، فقبض على جماعة منهم ــ من بينهم حبان بن ظبيان ــ وأودعهم السجن .

ولما وجد معاوية الخوارج فى العراق ولى زياد بن أبيه البصرة سنة ٤٥ هـ ، واستطاع بذلك أن يضرب على أيدى هؤلاء الخوارج الذين أخذهم بالشدة وأوقع الرعب فى قلوبهم ، حذا حذوه المغيرة فى الكوفة ، وبذلك أمن معاوية جانب أهل العراق ، وفى سنة ٥٣ هـ أضاف معاوية لزياد ولاية الكوفة بعد موت واليها المغيرة بن شعبة ، فلم تقم للخوارج قائمة .

وفى عهد عبد الملك اجتمع الخوارج وأجمعوا أمرهم حتى بلغوا البصرة فكسروا باب السجن وأخرجوا من فيه من الخوارج الذين حبسهم ابن زياد ، ولما استفحل خطر الخوارج لذلك لم يجد الخليفة عبد الملك بدا من تولية الحجاج بن يوسف على العراق ، فحمل عليهم وأفناهم عن آخرهم واستراح الحجاج من خطر الخوارج .

وفى عهد عمر بن عبد العزيز وأخيه سليمان نصَّب الخوارج أنفسهم فى بلاد العراق والجزيرة حماة للضعفاء المضطهدين ، وحربا على المستبدين والطاغين ، لذلك لا تعجب إذا أمَّن هؤلاء الخوارج البربر من أهل أفريقية المتذمرين من حكم الأمويين ، بالأسلحة التى استعانوا بها على قتال ولاتهم فى تلك البلاد .

وفى عهد مروان تفاقم خطر الخوارج بظهور زعيم جديد (أبو حمزة الخارجى) وكان يفد إلى مكة كل سنة لإثارة الناس على مروان وحثهم على قتاله ، وكانت ثورة أبى حمزة آخر ثورات الخوارج الذين حاولوا قلب نظام الحكم فيها فلم يفلحوا ، وإلى مروان يرجع الفضل فى القضاء على الخوارج ، ولم يشغله تفكك عرى دولته عن الضرب على أيديهم بعد أن عاثوا فى الأرض فساداً زمناً طويلا .

فكر اليعقوبيين فى فرنسا كفكر الخوارج :

والخوارج بحق ـ كما يقول الشيخ أبو زهرة ـ : « يشبهون فى استحواذ الألفاظ البراقة على نفوسهم ، واستيلائهم على مداركهم ؛ اليعقوبيين الذين ارتكبوا أقسى الفظائع وأشد الشُّنائع فى الثورة الفرنسية ، فقد استولت على هؤلاء ألفاظ الحرية والمساواة والإخاء ، وباسمها قتلوا الناس وأهرقوا الدماء ، وأولئك استولت عليهم ألفاظ الإيمان ، ولا حكم إلا لله ، والتبرؤ من الظالمين ، وباسمها أباحوا دماء المسلمين ، وخضبوا البلاد الإسلامية بالدماء ، وشنوا الغارة فى كل مكان » .

الصَّوْل أنفذ مع الخوارج من القول :

الخوارج أهل مكابرة لا مناظرة ولا جدال ، ولذلك لم يصلح معهم خلال التاريخ الإسلامى إلا الصول لا القول ، فالمناظرة يكون الغرض منها الوصول إلى الصواب فى الموضوع الذى اختلفت أنظار المتنافسين فيه ، والجدل يكون الغرض منه إلزام الخصم ، أو التغلب عليه فى مقام الاستدلال ، أما المكابرة لا يكون الغرض منها إلزام الخصم ، ولا الوصول للحق ، **بل اجتياز المجلس والشهرة ، أو مطلق اللجاجة ، أو غير ذلك من** الأغراض التى لا تغنى فى الحق فتيلا .

نموذج من مكابرة الخوارج مع سيدنا على :

الإمام على : ما نقمتم منى ؟ .

الخوارج : أول ما نقمنا منك أنا قاتلنا بين يديك يوم الجمل ، فلما انهزم أصحاب الجمل أبحت لنا ما وجدنا فى عسكرهم من المال ، ومنعتنا سبى نسائهم وذراريهم ، **فكيف استحللت مَالَهم دون النساء والذرية ؟** .

الإمام على : إنما أبحت لكم أموالهم بدلا عما كانوا أغاروا عليه من بيت مال البصرة قبل قدومى عليهم ، والنساء والذرية لم يقاتلونا ، وكان لهم حكم الإسلام ، بحكم دار الإسلام ، ولم يكن منهم ردة عن الإسلام ، ولا يجوز استرقاق من لم يكفر ، وبعد ، لو أبحت لكم النساء أيكم يأخذ عائشة فى سهمه ويستحل منها ما يستحل من غيرها ؟ !! فلئن فعلتم لقد كفرتم وهى أمكم ، ولئن قلتم : ليست أمنا ، لقد كفرتم ، فإن الله تعالى يقول : « **النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم** »[1] . فأنتم تدورون بين ضلالتين أيهما صرتم إليها صرتم إلى ضلالة .

(١) سورة الأحزاب آية ٦ .

الخوارج : نقمنا عليك محو إمرة أمير المؤمنين عن اسمك فى الكتاب بينك وبين معاوية لما نازعك معاوية فى ذلك .

الإمام على : فعلت مثل ما فعل رسول الله ﷺ يوم الحديبية ، حين قال سهيل بن عمر : لو علمتُ أنك رسول الله ﷺ ما نازعتك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، فكتب : « هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمر » .

الخوارج : لِمَ قُلْتُ للحكمين : فإن كنتُ أهلاً للخلافة فأثبتانى ؟ فإن كنتَ فى شك من خلافتك فغيرك بالشك يكون أولى .

الإمام على : إنما أردت النصفة لمعاوية ، ولو قلت للحكمين احكما لى بالخلافة ؛ لم يرض ذلك ، وقد دعا الرسول ﷺ نصارى نجران إلى المباهلة وقال لهم : « **تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين**[1] فأنصفهم بذلك من نفسه ، ولو قال : ابتهل فأجعل لعنة الله عليكم ، لم يرض النصارى بذلك ، لذلك أنصفتُ أنا معاوية من نفسى ، ولم أدر غدر عمرو بن العاص .

الخوارج : لم حكمت الحكمين فى حق كان لك ؟ .

الإمام على : وجدت رسول الله ﷺ قد حكم سعد بن معاذ فى بنى قريظة ، ولو شاء لم يفعل ، وأقمت أنا أيضا حكماً ، لكن حَكَم رسول الله عليه الصلاة والسلام حكم بالعدل ، وحَكَمى خُدع حتى كان من الأمر ما كان ، فهل عندكم شيء سوى هذا ؟ .

الخوارج : يا ابن أبى طالب ؛ لا نريد بقتالك إلا وجه الله والدار الآخرة !!! .

الإمام على : مثلكم كما قال الله عز وجل : ﴿ **قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا** ﴾[2] .

وقتل الخوارج يؤمئذ فلم يفلت منهم غير تسعة أنفس ، صار منهم رجلان إلى سجستان ورجلان إلى اليمن ، ورجلان صارا إلى عمان ، ورجلان صارا إلى ناحية الجزيرة ، ورجل منهم صار إلى « تل سوزن » .

---

(١) سورة آل عمران آية ٦١ .

(٢) سورة الكهف آية ١٠٣ ـ ١٠٤ .

إن بعض أصحاب الإمام علىّ قال : « قطع الله دابرهم إلى آخر الدهر ؛
الإمام : « كلا والذى نفسى بيده ؛ إنهم لفى أصلاب الرجال وأرحام النساء

من كل ما تقدم يتضح أن الخوارج لا يجدى معهم إقناع الكلام ، بل
بالسهام .

الخوارج هم الامتداد التاريخى للرعوية الإبليسية :

إن أول من أنشأ الفساد ؛ وابتكر الشقاق والضلال بين العباد ؛ وأسس الز
الحقيقة ؛ وعدم الموافقة ؛ والخروج عن الجادة إلى العناد ؛ وأول عاص لله تع
خلقه أجمع ؛ إنما هو إبليس لعنه الله تعالى .
وعلامة ذلك :

١ - استبداده بالرأى فى مقابلة النص .
٢ - اتباعه الهوى فى معارضة الأمر .
٣ - استكباره بالمادة التى خلق منها - وهى النار - على المادة التى خلق منها
وهى الطين - وقد تشعب من هذه العلامات شبهات سارت فى الخليقة ، وسر
أذهان الناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلال .

وهذه ترجع فى الأصل إلى حالة واحدة وهى الحسد فى مقابلة النعمة ، فاعتراض
خالقه لجهله بمقام العالمين ، فقال « **أأسجد لمن خلقت طينا** »(١) وقال : « **أن
منه خلقتنى من نار وخلقته من طين** »(٢) ثم قال : « **أرأيتك هذا الذى كرمت
لئن أخرتنى إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا** »(٣) .

ولهذا كان الناس عنده على ثلاثة أنواع :

الأول : نوع يئس من التسلط عليه ، وانقطع أمله فى إغوائه وهم العباد المخلص
كما اعترف إبليس فقال : « **لأزيّنن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك
المخلَصين** »(٤) وقد أيد الله تعالى الاستثناء الذى قرره إبليس راغما فقال تعالى : «

---

(١) سورة الإسراء آية ٦١ .
(٢) سورة ص آية ٧٦ .
(٣) سورة الإسراء آية ٦٢ .
(٤) سورة الحجر آية ٣٩ - ٤٠ .

عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين »[1] .

الثانى : عصاة المؤمنين ، إلا أن سلطان إبليس عليهم غير قائم لانخراطهم فى حزب الله بالسبب الأقوى وهو الإيمان ، ولإقبال الله عليهم كلما استغفروه وأنابوا كما قال تعالى : ﴿ **وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم »**[2] .

الثالث : نوع آخر مكنه الله تعالى منه ، فسماه حزب الشيطان وجنده وأتباعه ، وهم الغاوون المعنيون بقوله تعالى : « **إلا من اتبعك من الغاوين** » .

وهذا النوع الثالث ينقسم إلى ثلاثة أقسام يدخل فى سلك الإبليسية والرعوية له وهم :

١ – الكافر الصريح .
٢ – المنافق الذى قال : آمنتُ ـ باللسان ـ ولم يؤمن بالقلب ، وهو أضر من الكافر الصريح .
٣ – الخوارج الذين ورد وصفهم فى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

عداء الخوارج للرسول ﷺ وأهل بيته :

الخوارج هم غير عصاة المؤمنين ، لأن عصاة المؤمنين أجوافهم عامرة بالإيمان ، لم تصبها سهام إبليس وإن لعب بجوارحهم الطاهرة أحياناً ، فمردهم إما إلى توبة نصوح ، وإما إلى عفو من الغفور الرحيم ، ولا كذلك الخوارج فقد انتزع إبليس من صدورهم الإيمان ، وحشاها مكان الإيمان غلا وحقداً واستهزاءً بالمؤمنين ، ومردهم إلى عذاب النار وسخط الجبار وبئس القرار .

ما تقول فى قوم ليس لهم عداء ولا خصومة ولا اعتراض إلا على أهل الله تعالى وخاصته من خلقه ؟ ، يسمونهم أصناماً ويسمون من يحبهم عبَّاد أصنام ، ويلقبون أنفسهم بحماة التوحيد وأنصار السنة والعاملين بالشريعة والمجاهدين ، فإلى أى فريق يعزى هؤلاء ؟ وفى أى سلك ينخرطون ؟ لا شبهة فى أنهم من الخوارج المارقين ، كما لا شبهة فى أن الخوارج هم المفسدون فى الأرض .

---

(١) سورة الحجر آية ٤٢ .
(٢) سورة التوبة آية ١٠٢ .

وأما قد استبان لك أن عناصر الشر فى الدنيا ثلاثة : الكفار ، والمنافقون ، والخوارج ، وهم جند إبليس الذين لهم خصومة مع الأنبياء المكرمين ، ومن على أقدامهم إلى وقتنا هذا ، انظر إلى نسجهم على سؤال اللعين فى إظهار شبهاته فى قولهم : « **أبشر يهدوننا** »[1] وبين قول اللعين : « **أأسجدُ لمن خلقتَ طينا** »[2] وقولهم : « **أبعثَ الله بشراً رسولاً** »[3] وبين قول اللعين : « **أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين**[4] .

استولت على الخوارج ألفاظ باسمها استباحوا دماء المسلمين :

استولت عليهم ألفاظ أخذوا بظواهرها ، وظنوها دينا مقدسا لا يحيد عنه مؤمن ، ولا يخالف سبيله إلا من مالت به نفسه إلى البهتان ، ودفعته إلى العصيان ، فاندفعوا متهورين فيما ظنوه ، فأباحوا دماء المسلمين وخضبوا البلاد الإسلامية بالدماء ، وشنوا الغارة فى كل مكان ، فالمسلم المخالف لهم لا عصمة لدمه ، بينما الذمى معصوم دمه ، استرعت ألبابهم كلمة : « لا حكم إلا لله » فاتخذوها دينا ينادون به فى وجوه مخالفيهم ويقطعون به كل حديث ، فكانوا كلما رأوا سيدنا عليا رضى الله عنه يتكلم قذفوه بهذه الكلمة ، ومنهم من يقاطعه فى صلاته ، ومن يتحدى المسلمين محتسبا الله فى ذلك ظانا أنه قربة يتقرب بها إليه ، واستولت عليهم فكرة البراءة من عثمان وعلى والحكام الظالمين ، حتى احتلت أفهامهم ، واستولت على مداركهم استيلاء تاما ، وسدت عليهم كل طريق للوصول إلى الحق ، فمن تبرأ من عثمان وعلى وطلحة والزبير والظالمين من بنى أمية ؛ سلكوه فى جمعهم وأضافوه إلى عددهم ، وتسامحوا معه فى مبادىء أخرى من مبادئهم ربما كانت أشد أثرا .

وإليك مثالين لهذا الهوس الفكرى :

١ – خرج ابن الزبيز على الأمويين فناصروه ، ووعدوه بالبقاء على نصرته والقتال فى صفه ، ولما علموا أنه لا يتبرأ من أبية وطلحة وعلى وعثمان نابذوه وفارقوه .

---

(١) سورة التغابن آية ٦ .

(٢) سورة الإسراء آية ٦١ .

(٣) سورة الإسراء آية ٩٤ .

(٤) سورة ص آية ٧٦ .

٢ – ناقش عمر بن عبد العزيز شوذبا الخارجى ، وكان محز الخلاف ومفصل المناقشة هو أن يتبرأ عمر بن عبد العزيز من أهل بيته الظالمين مع إقرار الخوارج أنه خالفهم ومنع استمرار ظلمهم ورد إلى الناس مظالمهم ، ولكن استحوذت عليهم فكرة التبرؤ ؛ فكانت الحائل بينهم وبين الدخول فى غمار الأمة الإسلامية .

تملكهم حب الفداء والرغبة فى الموت ؛ لاستهداف المخاطر من غير داع قوى يدفع إلى ذلك ، وكان منشأ ذلك هوساً واضطرابا فى أعصابهم ، لا مجرد الشجاعة والتمسك بالمذهب فقط ، ويقول فضيلة الشيخ أبو زهرة فى كتابه : (تاريخ الجدل) : ص ١٤٨ : وأنهم يشبهون فى ذلك النصارى الذين كانوا تحت حكم العرب فى الأندلس ، فقد أصاب فريقا منهم هوس جعلهم يقدمون على أسباب الموت وراء عصبية جامحة وفكرة فاسدة ، فقد أراد كل واحد من هؤلاء النصارى أن يذهب إلى مجلس القضاء ليَسُبَّ محمدا ليموت ، فتقاطروا عليه أفواجا أفواجاً ، حتى تعب الحجاب من ردهم ، وكان القاضى يصم الآذان لكى لا يحكم عليهم بالإعدام ، والمسلمون يشفقون على هؤلاء المساكين ويظنونهم مجانين .

فما أشبه هؤلاء النصارى بالخوارج من كل النواحى .

فكر الخوارج من آثار الإحن الجاهلية :

أكثر الخوارج من القبائل الربيعية – وهم عرب البادية – وهؤلاء كانوا فى فقر مدقع وشدة وبلاء قبيل الإسلام ، ولما جاء الإسلام لم تزد حالتهم المادية حسنا ، لأن كثيرا منهم استمروا فى باديتهم ببلائها وشدتها وصعوبة الحياة فيها ، وأصاب الإسلام قلوبهم مع سذاجة فى التفكير وضيق فى التصور ، وبعد عن العلوم .

فكَوَّن من مجموع ذلك نفوس متعصبة لضيق نطاق العقول ، ومتهورة مندفعة لأنها نابعة من الصحراء ، زاهدة لأنها لم تجد ، ولقد كانت هذه المعيشة التى يعيشونها فى البادية دافعة لهم على الخشونة والقسوة والعنف .

والقبائل الربيعية هذه كانت بينها وبين القبائل المضرية الإحن الجاهلية ، والعداوات القديمة التى خفف الإسلام من حدتها ، ولم يذهب بكل قوتها ، بل بقيت منها آثار مستكنة فى القلوب ، متغلغلة فى النفوس ، وقد تظهر فى الآراء والمذاهب من حيث لا يشعر المعتنق للمذهب ، وقد حفز الخوارج على المناداة بأفكارهم هذه أنهم ربيعيون ، رأوا الخلفاء قوما حضريين فنفروا من حكمهم بحكم التعصب القبلى ، واتجه تفكيرهم

إلى آراء الخلافة تحت ظل هذا النفوذ ، فتقدموا على كل القبائل المضرية ، وحسدوا قريشا على استيلائهم على الخلافة ، واستبدادهم بالأمر دون الناس فليس بَيْتٌ من بيوت العرب اختص بأن يكون الخليفة فيه ، فليست الخلافة فى قريش وليست لعربى دون أعجمى ، والجميع فيها سواء ، بل يفضلون أن يكون الخليفة غير قرشى ليسهل عزله أو قتله ، إذ لا يكون له عصبية أو عشيرة تحميه .

على هذا الأساس اختار أوائلهم عبد الله بن وهب الراسبى وأمَّرُوه عليهم ، وسموه : أمير المؤمنين ، وهو ليس بقرشى ، مخالفين فى ذلك قول الرسول ﷺ فى الحديث الشريف : « الأئمةُ من قريش » .

ومجمل هذا أن الخوارج تعصبوا لفكرهم وأصابهم الهوس له ، وتشددوا فيه ـ مع الخشونة فى الدفاع عنه والتهور فى الدعوة إليه ـ وحملوا الناس عليه بقوة السيف والعنف والقسوة بدرجة لا رفق فيها ، ولا مجال يتفق مع سماحة الإسلام ، لذلك زين لهم سوء عملهم فرأوه حسنا .

الخوارج قوم خصمون :

اتصف الخوارج بصفات كثيرة جعلتهم قوما خَصِمين يجادلون عن فكرهم ، ويلتقطون الحجج من خصومهم ، ويستمسكون بآرائهم ، لا يتركون منها ناحية فيها إضعاف لمناقشيهم من غير أن يتجهوا إليها .

وكانوا ينتجعون فى طلب الدين إلى كل مجتمع ، ويطلبونه حيثما كان ، يروى أن نافع بن الأزرق شيخ الأزارقة ـ وهى طائفة من الخوارج ـ كان يطلب علم عبد الله بن عباس مع أنه فى زعمه كافر ، مبطل فى اعتقاده ، وإن جلس منه مجلس التلميذ من أستاذه ، إلا أنه فى نظره يعتقد أن ابن عباس ممن أضلهم الله على علم .

وكانوا يرغبون رغبة شديدة للمناقشة والمجادلة ، ومساجلة الآراء والمذاهب ، حتى أن حب المناقشة والمناظرة قد استولى عليهم حتى كانوا يتوقفون مع مقاتليهم ، ليجادلوهم ويساجلوهم الأفكار والمذاهب ، وكان يسود التعصب لآرائهم وجدلهم ، فهم لا يسلِّمون لخصومهم بحجة ، ولا يقتنعون بفكرة مهما تكن قريبة من الحق أو واضحة الصواب ، بل لا تزيدهم حجة خصومهم إلا إمعانا فى اعتقادهم ، وبحثا عما يؤيده ، والسبب فى ذلك استيلاء أفكارهم على نفوسهم وتغلغل مذاهبهم فى أعماق

قلوبهم ، واستهواؤها لكل مواضع تفكيرهم وطرق إدراكهم ، وكان فيهم مع ذلك لدد وشدة خصومة تمثل نزاعتهم البدوية .

الخوارج يخترعون أحاديث وينظرون إلى ظواهر الآيات :

وقد دفعهم ذلك التعصب إلى أن يدركوا الحق من جانب واحد ، ولايدركوه من كل ناحية ، وذلك لأن عصبيتهم الشديدة ، وجدلهم وسيطرة المذاهب عليهم ، جعلتهم لا ينظرون إلا تحت ضوئه ، ولا يدركون إلا تحت سلطانه ، ولا يعرفون إلا ما يدعو إليه وينصره ، ولا تزيدهم حجج الخصوم إلا عناداً وإصراراً ، بل لقد دفعتهم رغبتهم فى نصرة مذهبهم إلى أن يخترعوا أحياناً أحاديث وينسبونها إلى رسول الله ﷺ ، حتى روى عن بعضهم أنه رجع عن مذهب الخوارج ، فدعا المسلمين لأن ينظروا فى أحاديث رسول الله ﷺ ، لأنهم كانوا إذا لم يجدوا الدليل كذبوا على النبى ﷺ بحديث واحتجوا على الناس .

وكانوا فى جدلهم بالقرآن الكريم يتمسكون بظواهره ، ولا يحيطون علما بمراميه وغايته ، وكلما ذكرت لهم آية فهموها كما يبدو من لفظها ، ويظهر بادى الرأى منها ، وربما كانت لا تنطبق بأى نوع من الانطباق الذى يحاولون فيه ، أو كان الانطباق غير واضح أو مستقيم « راجع كتاب تاريخ الجدل للشيخ محمد أبو زهرة ص ١٦٤ » .

يروى أن عبيدة بن هلال اليشكرى ــ وهو خارجى من خوارج الأزارقة ــ اتهم بامرأة رجل حداد رأوه مراراً يدخل منزله بغير إذنه ، فأتوا قطرى بن الفجاءة المازنى التيمى ــ وهو من زعماء الخوارج الأزارقة ــ فذكروا له ذلك فقال لهم : إن عبيدة من الدين بحيث علمتم ، ومن الجهاد بحيث رأيتم ، فقالوا : إنا لانقاده من الدين للفاحشة ، فقال : انصرفوا ، ثم بعث إلى عبيدة فأخبره وقال : أن لا يقاد على الفاحشة ، فقال عبيدة : بهتونى يا أمير المؤمنين فما ترى ؟ قال : إنى جامع بينك وبينهم ، فلا تخضع خضوع المذنب ، ولا تتطاول تطاول البرىء ، فجمع بينهم فتكلموا ، فقام عبيدة فقال :
بسم الله الرحمن الرحيم « **إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم** »[1] فلما سمعوها بكوا ، وقاموا إليه واعتنقوه وقالوا : استغفر لنا « راجع الكامل للمبرد جـ ٢ ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ » .

---

(١) سورة النور آية ١١ .

انظر كيف استولى عليهم بمجرد تلاوة القرآن الكريم ، فأقروه وبرءوه من غير أن ينظروا أهو إفك رمى به ، فتنطبق عليه الأوصاف المذكورة فى الآيات الكريمة ؟ أم حقيقة توجب الحد والخروج عن حظيرة الإيمان فى زعمهم ؟ ولكنهم قوم تغلب عليهم النظرة السطحية التى لا يتعدونها ، ولذا أصدروا الحكم بالبراءة بعد الحكم بالفاحشة ، وانتقلوا من النقيض إلى النقيض !! .

من كل ما تقدم يتبين أن مناظرات الخوارج وجدالهم لا يقوم إلا على المكابرة ، والتعصب على غيرهم من المسلمين ، والنظر إلى ظواهر النصوص من غير تعمق فى مراميها ، ولا يدركون الحق إلا من ناحية مذهبهم .

البـاب الرابـــع

صـور الخـوارج علـى مـر العصـور والدهـور

الفصـــل الأول

الخوارج مدارس لتفصيل وحياكة الفتاوى وتصديرها

ينقسم الخوارج إلى سبع فرق رئيسية وهى : المحكمة ، والأزارقة ، والنجدات ، والصفرية ، والعجاردة ، والأباضية ، والثعالبة .

أولاً : مدرسة المحكمة

إنما أطلق لفظ المحكمة لترادادهم كلمة « لا حكم إلا لله » وخلاصة مذهبهم :

(١) تكفير عثمان وعلى رضى الله عنهما ، وأصحاب الجمل والحكمين ومن رضى بالتحكيم أو صوب الحكمين أو أحدهما .

(٢) وجوب عزل الإمام أو قتله إذا جار ــ ولو فى نظرهم ــ .

(٣) جواز أن لا يكون هناك إمام للمسلمين أصلا .

(٤) جواز قتل الأطفال والنساء .

(٥) تكفير مرتكب الذنوب .

(٦) لا تصح مناكحة من لا يكفر علياً وعثمان رضى الله عنهما ، وَمَنْ لا يرون كفرهم .

(٧) تكفير جميع مخالفيهم من أهل القبلة .

ثانيا : مدرسة الأزارقة :

وهم أتباع نافع بن الأزرق ، وكان أول خروجه بالبصرة فى عهد عبد الله بن الزبير وخلاصة مذهب الأزارقة :

(١) الحكم على مخالفيهم من هذه الأمة بأنهم مشركون .

(٢) القعود عن الهجرة إليهم شرك ــ وإن كان القاعد على رأيهم ــ

(٣) يجب امتحان من قصدهم مهاجراً ، وطريقة امتحانهم أن يُقَرِّبُوا إليه أسيراً من مخالفيهم ليقتله ، فإن قتله كان منهم ، وإلا اعتبروه منافقا وقتلوه
(٤) استباحوا قتل نساء مخالفيهم وأطفالهم بدعوى أنهم مشركون .
(٥) قطعوا بأن أطفال مخالفيهم مخلدون فى النار .
(٦) اعتبار دار مخالفيهم دار كفر .
(٧) إسقاط الرجم عن الزانى المحصن .
(٨) إسقاط حد القذف عمن قذف رجلا محصنا .
(٩) تجويزهم أن يكون الأنبياء كفاراً قبل البعثة ، وأن الأنبياء قد يكفرون بعد البعثة .
(١٠) مرتكب الكبيرة كافر خارج من الملة .
(١١) يقولون : لا تباح دماء أهل الذمة مِنْ مخالفيهم ، بدعوى أنهم بذلك يحفظون ذمة النبى ﷺ .
(١٢) يكون قطع يد السارق من المنكب .
(١٣) ذهب أكثرهم إلى وجوب الصلاة والصوم على الحائض فى مدة حيضها ، وذهب بعضهم إلى أن الحائض تقضى الصلاة كما تقضى الصوم .
(١٤) يزعمون أن سيدنا عليا رضى الله عنه هو الذى أنزل فيه قوله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد** ﴾[١] .
(١٥) يزعمون أن عبد الرحمن بن ملجم الخارجى الذى قتل سيدنا عليًّا رضى الله عنه هو الذى نزل فيه قوله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله** ﴾[٢] .

ثالثاً : مدرسة النجدات

هم أتباع نجدة بن عامر وخلاصة مذهبهم :
(١) تكفير من كفَّر القعَدَةَ منهم عن الهجرة إليهم .
(٢) تكفير من قال بإمامة نافع بن الأزرق .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .
(٢) سورة البقرة آية ٢٠٧ .

(٣) موالاة أصحاب الحدود من موافقيهم .
(٤) أن لا يدخل جهنم أحد من موافقيهم ، وإن عذبوا فبغير نار جهنم .
(٥) أسقط نجدة بن عامر حد الخمر لأتباعه ، وغلظ على مخالفيه فى حد الخمر تغليظا شديداً .
(٦) الإصرار على الصغيرة شرك .
(٧) الناس ليسوا فى حاجة إلى إمام قط .
(٨) تباح دماء أهل الذمة الذين يساكنون مخالفيهم ، كما تباح دماء من يعيشون فى كنفهم مِنَ المخالفين لهم .

رابعا : مدرسة الصفرية

ـ إشارة إلى صفرة وجوههم من أثر ما تكلفوه من العبادة ـ ومن أعظم أئمتهم أبو بلال مرواس ، وخلاصة مذهبهم :
(١) لم يكفروا القَعَدَة عن القتال إذا كانوا من موافقيهم .
(٢) لا يحكمون بقتل أو تكفير أطفال مخالفيهم ونسائهم خلافا للأزارقة .
(٣) وقد اختلفوا فى أصحاب الذنوب على ثلاثة أقوال :
أ ـ منهم من قال : كفار مشركون .
ب ـ ومنهم من قال : إن الكفر يقع على صاحب الذنب إذا حدَّة السلطان .
ج ـ ومنهم من قال : إن ما كان عليه من الأعمال حد لا يسمى صاحبه إلا بالاسم الموضوع له ـ كزان وسارق وقاتل ـ وليس صاحبه كافرا ولا مشركا ، وكل ذنب ارتكب ليس فيه حد كترك الصلاة والصوم فصاحبه كافر .
(٤) يجيزون تولى المرأة الإمامة العظمى ، كما فعلوا بغزالة بعد مصرع شبيب .

خامساً : مدرسة العجاردة

وهم أتباع عبد الكريم بن عجرد من أهل فارس ، ولما حبس عبد الكريم افترق اتباعه على ثمانى فرق وهم : الحازمية ، والشعيبية ، والميمونية ، والخلفية ، والمعلومية ، والمجهولية ، والصلتية ، والحمزية ، وخلاصة مذهبهم :
(١) وجوب دعوة الطفل إذا بلغ ، والبراءة منه أو التوقف فيه قبل ذلك ، ومنهم من حكم بأن أطفال المشركين فى الجنة ، ومنهم من قال : هم فى النار .
(٢) يقولون : القعدة من موافقيهم فى المذهب إذا عرفوا بالتقوى .

(٣) لا يرون وجوب الهجرة إليهم بل يستحبونها .
(٤) لا يستبيحون أموال المخالف لهم إلا إذا قتلوه .
(٥) الميمونية منهم ينكرون سورة يوسف ، ويبيحون بنات أولاد الابن وبنات أولاد البنت وبنات أولاد الأخوة وبنات أولاد الأخوات .

سادسا : مدرسة الثعالبة

وهم أتباع ثعلبة بن مشتكان ، وقد كان مع عبد الكريم بن عجرد حتى اختلفا فى شأن الطفل ، فكفى كل واحد منهما صاحبه ، ولما مات ثعلبة اختلفوا وصاروا ست فرق :

فرقة أقامت على إمامة ثعلبة بعد موته ، والمعبدية ، والأخنسية ، والرشيدية ، والمكرمية ، والشيبانية ، وخلاصة مذهبهم :

(١) موالاة الأطفال صغاراً وكباراً ، حتى يعرف منهم خلاف الإسلام
(٢) أخذ زكاة عبيدهم إذا استغنوا ، وإعطاء العبيد من الزكاة إذا افتقروا .
(٣) التوقف فى حق مخالفهم من أهل القبلة ، فلا يحكم عليهم بالكفر ولا بإسلام إلا إذا علم منهم ذلك بيقين .
(٤) وجوب دعوة المخالف قبل قتاله .
(٥) جعل نصف العشر هو زكاة الخارج بماء الأنهار والجداول والعيون .
(٦) الزعم بأن تارك الصلاة كافر ، لا لأجل ترك الصلاة ، بل لجهله بالله عز وجل .
(٧) موافقتهم للجهم بن صفوان فى قوله بالجبر ، وتشبيههم الله تعالى بخلقه .

سابعاً : مدرسة الأباضية

وهم أتباع عبد الله بن أباض التيمى ، وقد افترقت الأباضية بعد عبد الله بن أباض إلى سبع فرق وهم : اليزيدية ، والحفصية ، والحارثية ، والإبراهيمية ، والميمونية ، والواقفية ، والبيهسية ، وخلاصة مذهبهم :

(١) يعتبرون دار مخالفيهم من أهل القبلة دار توحيد ، إلا معسكر السلطان فإنه دار بغى عندهم .
(٢) اختلفوا فى النفاق على ثلاثة أقوال :
أ - النفاق براءة من الشرك والإيمان .

ب – النفاق قاصر على من سماهم الله عند نزول القرآن فلا يسمى به غير من سمى الله .

جـ – المنافقون أهل توحيد ، ولكنهم أصحاب كبائر لا يدخلون فى الشرك ، وإن سموهم كفارا .

(٣) ومن مذهبهم أن من زنى أو سرق أو أقيم عليه الحد ثم استتيب فإن تاب بَرِىءَ وإلا قتل .

(٤) أباحوا قتل مخالفيهم وسبى نسائهم وذراريهم بناء على أنهم مرتدون ، وأن أبا بكر رضى الله عنه فعل هذا بالمرتدين (راجع كتاب الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة للأستاذ عبد القادر شيبة الحمد الأستاذ بالجامعة الإسلامية) .

وصدق رسول الله ﷺ حينما تنبأ بفرق الخوارج التى أوضحناها .

وخوارج اليوم التى تكمل مسيرة أسلافها خوارج الأمس ، وهذه وتلك كلها فى النار كما قال الرسول ﷺ : (ليأتين على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل ، تفرق بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين ملة ، وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة ، تزيد عليهم ملة ، كلهم فى النار إلا ملة واحدة ، قالوا : يارسول الله من الملة الواحدة التى لا تنقلب ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابى) وتلك من أعلام نبوته ﷺ .

الفصـــــل الثـــانى

السلفية ثوب رياء مقنع لفكـــر الخوارج

خير القرون القرن الأول والثانى والثالث :

قال ﷺ : (خير الناس قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجىء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته) رواه الشيخان من رواية عبد الله بن مسعود . ولكن ما المراد بالقرون الثلاثة التى شهد لها الرسول ﷺ بالخيرية على الترتيب الذى ذكره ؟ أهو مجموع المسلمين الذين عاشوا فى تلك القرون فالحكم بالخيرية فى حق مجموعهم بقطع النظر عن حال المسلمين أو كينونة الأفراد فيهم ؟ أم هو أفراد أولئك المسلمين جميعا فلا يشذ عن الدخول فى هذه الخيرية أحد منهم ؟ .

فى ذلك خلاف معروف ، أما الجمهور فيرون أن الخيرية ثابتة لأفراد هذه القرون الثلاثة جميعا ، على اختلاف درجاتهم وتفاوتهم فى الفلاح والاستقامة ، وذهب ابن عبد البر إلى أنها ثابتة لمجموع المسلمين فى تلك العصور الثلاثة ، أما الأفراد فقد لا تنطبق الخيرية على بعض منهم ، بل وقد يأتى فيمن بعدهم من هو أفضل منهم . (انظر فتح البارى على صحيح البخارى ٧/٤) ومما لا شك فيه أن سبب هذه الخيرية لأهل تلك القرون الثلاثة من المسلمين ، أنهم الحلقات القريبة الأولى من السلسلة الموصولة بينبوع النبوة وتعاليم الرسالة :

الحلقة الأولى : تمثل الرعيل الأول الذى تلقى أفراده عقائد الإسلام ومبادئه من رسول الله ﷺ مباشرة ، واستقرت أحكامه وآدابه الربانية فى عقولهم وأفئدتهم ، صافية عن شوائب الابتداع ، وأكدار الوساوس والأوهام .

الحلقة الثانية : تمثل التابعين الذين غمرهم ضياء النبوة باتباعهم لأصحاب رسول الله ﷺ ، والاهتداء بهديهم ، والنيل من إشراقاتهم التى اكتسبوها من رؤية رسول الله ﷺ ، ومجالسته ، والتأثر بوصاياه ونصائحه .

الحلقة الثالثة : هى التى تمثل تابعى التابعين ، فقد كانت إيذانا بنهاية الصفاء الفكرى وخلوص الفطرة الإسلامية من الشوائب الدخيلة ، حيث بدأ فى هذا الوقت ظهور البدع ظهوراً فاشياً ، وتتابعت الفرق الضالة تشذ عن صراط تلك العصور الثلاثة ، مخالفة بذلك قول الله عز وجل : « **وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** » الأنعام ١٥٣ .

وظلت رياح الأهواء والبدع والضلالات تتكاثر وتتسع بعد ذلك من عصر إلى عصر ، إلى يومنا هذا ، مصداقا لقول رسول الله ﷺ ـ فيما رواه الشيخان عن أنس بن مالك ـ : « ... ليأتى عليكم زمان إلا والذى بعده شر منه » .

السلف الصالح هم أهل السنة والجماعة :

اتباع السلف الصالح يعنى تكريم أولئك الذين أمر رسول الله ﷺ بتكريمهم ، من أصحاب تلك القرون الثلاثة الأولى الذين أخلصوا دينهم لله واعتصموا بحبله ، كما يعنى اتباعهم فى فهم الإسلام والاقتداء بهم فى المنهج الذى ترسموه فى فهم نصوص كل من القرآن والسنة واستنباط المبادىء والأحكام ، فالإسلام فى الحقيقة هو المنبع ، ومنهجه من الدراية والفهم هو المحور والأساس ، فالسلف الصالح هم الذين أخلصوا دينهم لله ، هم الأدلاء والهداة فى الطريق إلى هذا الموئل والأساس . وإنما ارتفعت قيمة من ارتفعت قيمته منهم ، وهبطت درجة من هبطت درجته منهم ـ فخرجوا من دائرة السلف الصالح وإن عاشوا فى عصورهم ـ بمقتضى ميزان هذا الدين ومنهجه ، فهو الذى رفع منهم أناسا ، ووضع آخرين .

فالمنهج الإسلامى السديد هو الذى كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم ، سواء الذين كانوا منهم فى عصر الصحابة والخلافة الراشدة ، أو الذين جاءوا على أعقابهم من بعد ، فإنهم كانوا يختلفون بلا ريب ، ولكنهم لم يقسموا أنفسهم شيعا وأحزابا على قدر الآراء والمذاهب التى اختلفوا فيها ، إذ كان يجمعهم الخضوع للمنهج الواحد ، فلا جرم أن خلافاتهم الاجتهادية ضمن سلطان هذا المنهج لم يكن ليفرقهم قددا ، بل سرعان ما يذوب أثره فى حزام الألفه الإسلامية الجامعة ، ولذلك فإننا لم نسمع أن صاحب أى اجتهاد منهم سفه الاجتهاد المخالف ؛ أو نسب صاحبه إلى الجنوح والابتداع ؛ ثم جعل من

مجموع آرائه التى اختص بها مظهرا لشخصية مذهبية خاصة به وممن انضم إلى رأيه ثم أخذ ينتصر لمذهبه هذا محارباً الآراء والاجتهادات الأخرى وأصحابها .

نعم ، لم نسمع أن صاحب أى اجتهاد منهم عمد إلى شيء من ذلك ، ما دام الكل يتحرك داخل خط المنهج المرسوم للمعرفة ، وتفسير النصوص (راجع كتاب السلفية مرحلة زمنية لا مذهب إسلامى للدكتور محمد سعد رمضان البوطى ص ٢٢١) .

التمذهب بالسلفية بدعة لم تكن من قبل :

نقصد بالسلفيين أولئك الذين نحلوا أنفسهم ذلك الوصف ، وأولئك ظهروا فى القرن الرابع الهجرى من الحنابلة ، وزعموا أن جملة آرائهم تنتهى إلى الإمام أحمد بن حنبل . وناقشهم فى هذه النسبة بعض فضلاء الحنابلة كالإمام الفقيه الحنبلى الخطيب بن الجوزى ، ونفى أن يكون ذلك رأى الإمام أحمد بن حنبل وقال : « رأيت من أصحابنا من تكلم فى الأصول بما لا يصلح ، فصنعوا كتبا شانوا بها المذهب ، ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام ، فحملوا الصفات على مقتضى الحس ، فسمعوا أن الله خلق آدم على صورته ، فأثبتوا له صورة ووجها زائدا على الذات ، وفما وأضراسا ويدين وأصبعين وكفا وخنصرا وإبهاما وصدراً وفخذا وساقين ورجلين ، وقد أخذوا بالظاهر فى الأسماء والصفات فسموها بالصفات تسمية مبتدعة ، ولا دليل لهم على ذلك من النقل ولا من العقل ، ولم يلتفتوا إلى النصوص الطارئة عن الظواهر إلى المعانى الواجبة لله تعالى ، وكلامهم صريح فى التشبيه ، وقد تبعهم خلق من العوام ، وقد نصحت التابع والمتبوع وقلت : يا أصحابنا أنتم أصحاب وأتباع الإمام أحمد بن حنبل الذى يقول وهو تحت السياط : كيف أقول مالم يُقل . فإياكم أن تبتدعوا من مذهبه ما ليس منه ، فلا تدخلوا فى مذهب هذا الرجل ماليس فيه » [راجع دفع التشبيه لابن الجوزى] .

ولقد استفاض ابن الجوزى فى بيان بطلان ما اعتمدوا عليه من أقوال ، ولقد قال ذلك القول الذى ينقده ابن الجوزى القاضى أبو يعلى ــ الفقيه الحنبلى المشهور المتوفى ٤٥٧ هـ ــ وكان مثار نقد شديد وجه إليه ، حتى لقد قال فيه بعض فقهاء الحنابلة : « لقد شان أبو يعلى الحنابلة شَيْئاً لا يغسله ماء البحر » وقال مثل ذلك القول من الحنابلة ابن الزاغونى ــ المتوفى سنة ٥٢٧ هـ ــ وقال فيه بعض فقهاء الحنابلة أيضا : « إن فى

قوله من غرائب التشبيه ما يحار فيه النبيه » وهكذا استنكر الحنابلة ذلك الاتجاه عندما شاع فى القرن الرابع الهجرى والقرن الخامس .

سلفية المغرب العربى :

بعد تسرب فكر الخوارج إلى الحنابلة بالمشرق العربى تحت مسمى السلفية ، تسرب كذلك فكر الخوارج إلى المذهب المالكى بالمغرب العربى تحت مسمى السلفية ، فالسلفية هى الطائفة المجسمة المعادية للأشعرية ، فى نظرهم أن أبا الحسن الأشعرى الذى اتبعه الصوفية فى العقيدة يعد مخالفا فى الحقيقة نهج السلفية ، ولكن من راجع كتب الأشعرى ـ لا سيما كتاب « الإبانة » الذى هو آخر كتاب له ـ لعلم أن الأشعرى لم يخالف السلف الصالح ؛ وأن السلفية هم المخالفون .

فقد كانت بلاد المغرب العربى تسير وفق المذهب المالكى ، حتى تسرب فكر الخوارج إليها فتشدقوا بالسلفية ، وذلك فى عهد دولة المرابطين .

واشتد طغيان السلفية بزعامة مالك بن وهيب باسم الخلفاء ، ولم يتركوا فقيها معروفا ؛ أو محدثا مشهوراً ؛ أو إماماً متبعا إلا أنزلوا به محنة فى عقيدته ، وابتلاء فى مذهبه ، ونادوا بالتجسيم ، وتمسكوا بظاهر الآيات المتشابهات .

وقاموا بإحراق كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ، زعما منهم أنه من صميم الفلسفة التى يعادونها ، وأن هذا الكتاب يعد خطراً على الدين ، وإن دل هذا على شىء فإنما يدل على قوة نفوذ سلفية المغرب العربى وتحكمهم فى المجالس السياسية ، فكرههم الناس ، وصاحب ذكرهم ذكر البلاء والمحن ، وتأريث العداوات والإحن ، وإلقاء الشر فى النفوس ، والدس للعلماء عند السلطان ، حتى نسى الناس خيرهم بجوار ذلك الشر المستطير (راجع كتاب تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن) نسى سلفية المغرب العربى دفاعهم عن الإسلام ، ولم يذكر لهم إلا إغراؤهم الخليفة بامتحان كل إمام تقى ، وكل ندب محتسب ، وكل مفت نقى ، وكل محدث مهدى .

وسقطت دولة المرابطين للأسباب السابق بيانها ، ولاتهامها بالشرك والتجسيم فى التوحيد ، لأنها ـ كما سبق البيان ـ تتمسك بظاهر الآيات المتشابهات ، وقامت الدولة الموحدية على أعقابها ، وكان جل ما تدعو إليه علم الاعتقاد على طريق الأشعرية ، وفقها لنهج السلف الصالح ، لا على بدعة السلفية .

الفرق بين السلف الصالح والسلفية :

الفرق بين أتباع السلف الصالح والتمذهب بمذهب يسمى السلفية هو أن الأول ينبع من جوهر الدين ولبه ، والثانى ابتداع لشيء لم يأذن به الله ، وتخيل لأمر لم يكن له أى وجود فى التاريخ .

فإن العصور الثلاثة المباركة الأولى فى صدر الإسلام لم تشهد ظهور مذهب فى قلب الأمة الإسلامية اسمه المذهب السلفى ، له مقوماته التى تفصله وتميزه عن سائر المسلمين .

الفصـــــل الثـالث

ابن حزم الظاهرى مجدد فكر الخوارج للقرن الثالث الهجرى بالمغرب العربى ، كما جدد فكر الخوارج ابن تيمية وابن عبد الوهاب فى المشرق العربى ، وحذا الاثنين الأخيرين بأفكارهما الخارجية حذو النعل بالنعل لفكر ابن حزم الظاهرى .

اسمه وكنيته :

اسمه على بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن سفيان بن يزيد . وكنيته أبو محمد وهى التى كان يعبر بها فى كتبه ، وشهرته ابن حزم .

مولده :

ولد فى آخر يوم من أيام رمضان سنة ٣٥٤ هـ بقرطبة بالجانب الشرقى منها ، ينتمى لأسرة فارسية ، فجده كان فارسياً مولى ليزيد بن أبى سفيان أخ معاوية ، وأنه لذلك الولاء كان يتعصب لبنى أمية ، ويعادى من عاداهم ، ويوالى من والاهم .

نشأته :

نشأ ابن حزم نشأته ربيب حجور النساء ، فيقول فى كتابه : طوق الحمامة ، صفحة ٥٠ « نشأت بين أيدى النساء ، ولم أعرف غيرهن ، وهن علمننى القرآن ، وروينني كثيرا من الأشعار ، ودربننى فى الخط ، وسوء الظن فطرت به » . وهذا يفسر لنا السبب فى النفرة التى كانت مستحكمة بينه وبين كثير من علماء عصره ، وأنه كان يسارع إلى اتهام من يخالفه .

ولإبن حزم مظهرين مختلفين :

١ ـ كتابته فى العشق والعشاق ، كتابة من ذاق طعم الحب ، وعرف ماتعتلج به نفس المحب ، وما يختلج فى ثنايا صدره من لواعج العشق . ومظهر نفسه مظهر عطوف ألوف لأنه شاب ثرى يرفل فى حلل النعيم ، ويعيش بين الجوارى الحسان فى بيته القيان اللائى يملكن ملك اليمين حتى بلغ الخامسة والثلاثين .

٢ ـ كتابته فى الفقه والحديث وعلم الكلام مظهراً للسان عفيف حتى لقد وصفه ابن القيم : « أنه خشن جاسيي اللفظ ، لا يسمع منه السامع إلا قعقعة تشبه قُعقعة السلاح » . فطبعه الحاد هو الذى جعل منه ذلك المجادل العنيف .

دراسة ابن حزم :

لقد بلغ ابن حزم سن الست والعشرين سنة ، ولم يدر أن تحية المسجد واجبة ، ولم يعرف سجدة السهو التى تجبر الصلاة (راجع كتاب معجم الأديان جـ ١٢ ص ٢٤١ ، ٢٤٢) . ومن هنا أنه لم ينصرف انصرافاً كلياً إلى الفقه فى صدر حياته العلمية .

ولقد اتجه أول ما اتجه إلى الفقه المالكى لأنه المذهب السائد فى الأندلس فوق أنه المذهب الرسمى للدولة ، ولكن نفسه المضطربة جعلته يقرأ فى فقه محمد بن إدريس الشافعى ، وهاجم المذهب المالكى ليبين للناس على حد زعمه أن مالكاً بشر من البشر ، فكان انتقاله من المذهب المالكى إلى المذهب الشافعى إرضاءاً لنزعته الفكرية حتى أنه قال : « أحب مالكاً ولكن محبتى للحق أكثر من محبتى لمالك » .

ولكنه لم يلبث إلا قليلًا فى المذهب الشافعى ثم رأى فيه ما رأى داود الأصفهانى شيخ المذهب الظاهرى لأنه يطلق حرية فكره فلا يتقيد بالمذاهب المشهورة ولذا كان ابن حزم يقول : « أنا أتبع الحق واجتهد ولا أتقيد بمذهب » .

وكان ابن حزم كثير الوقوع فى العلماء لا يكاد يسلم أحد من لسانه ، قال أبو العباس بن العريف : « كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج بن يوسف الثقفى شقيقين » لكثرة وقوع ابن حزم فى الأئمة ولأن الحجاج قد قتل بسيفه ظلما وعدوانا نحو مائة وعشرين ألف مؤمن مظلوم ، وقال بعض العلماء : رأيت لابن حزم الظاهرى أقوالًا خبيثة ترد على السنة الثابتة الصحيحة عن رسول الله ﷺ فنفرت عنه القلوب واستهدف لفقهاء وقته فتمالأوا على بغضه وردوا أقواله ، وأجمعوا على تضليله وشنعوا عليه ، وحذروا سلاطينهم من فتنته ، ونهوا عوامهم من الدنو إليه والأخذ عنه ، فاقصته الملوك وسجنته وشردته عن بلاده ومات ٤٥٦ هـ وقد أحرقت كتبه بعد ذلك .

وقال العلامة المحقق في كتابه « كف الرعاع » إن من وصل إلى أنه يقول : إن بال الشخص فى الماء تنجس ، وفى إناء ثم صبه في الماء لم يتنجس كيف يقام له وزن ويعد من

العقلاء ؟ فضلا عن العلماء ، والأولى به وبأمثاله ثالوث التكفير ـ ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب ـ إن يكونوا فى حيز الإهمال وعدم ذكرهم لأنهم من حثالة الخوارج أى من حثالة الحثالة .

مذهب الظاهرية ثوب لتغطية فكر الخوارج :

الخوارج هى الفرقة التى شقت الوحدة الإسلامية ، ولذلك كفَّر عامة الخوارج مخالفيهم ، فمن لم يكن على رأيهم فهو كافر عندهم لاشك فى ذلك . والخوارج سلكوا فى تفسيرهم للقرآن والسنة مسلكاً ظاهرياً فعندما صاحوا فى سيدنا على رضى الله عنه « لا حكم إلا الله » وأنهم بهذا الفكر قد وضعوا الأساس لبناء الفقه الظاهرى ولذلك سلك ابن حزم فى تفسيره للقرآن والسنة مسلكاً ظاهرياً فكان فكر الظاهرية مشابهاً لفكر الخوارج .

ومن أمثلة ذلك :

١ ـ أن الخوارق لا تقع على أيدى أحد من الناس ، وأن الناس جميعاً سواء لافضل فى الخلق أو التكوين لأحد ، فلا يقدس صالح ، ولا تعتقد قوة خارقة لصالح أو غير صالح ، لأنه لا تتحول طبائع الأشياء إلا على أيدى النبيين فى حياتهم ، فلا كرامة لأحد ، ولا معجزة لنبى بعد وفاته .

ولقد جاء ابن تيمية فى القرن السابع وابن عبد الوهاب فى القرن الثانى عشر ودعيا إلى مثل هذه الدعوة التى بدأها ابن حزم .

وأول من دعا إلى منع التوسل بالصالحين كان ابن حزم سيراً وراء فكر الخوارج ، وقرر أنه لا معجزة لنبى بعد وفاته ولايتوسل إلى الله بولى ، ولا يتوسل الى الله أيضا بنبى ، بل أن الوسيلة هى طاعة الله ، وهى المطلوبة فى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ﴾

٢ ـ إن ابن حزم منع زيارة قبور الصالحين بقصد التبرك بهم ولكن ابن تيمية وابن عبد الوهاب يغاليان فيقولان عبارات يفهم منها أن زيارة قبور الأنبياء لغير الاتعاظ لا تجوز ، ويضعفان رواية الحديث النبوى « من زارنى بعد مماتى فكأنما زارنى فى حياتى » كما يضعفان رواية النبى ﷺ : « اذا سألتم الله فاسألوه بجاهى فإن جاهى عند الله عظيم » .

٣ ـ ولقد شدد ابن حزم على الصوفية فلم يفرق بين الصوفية والمتمصوفة الذين يدعون أنهم بلغوا رتبة الوصول إلى الله فسقط عنهم التكليف ، مع أن التكليف لا يسقط عن النبيين . وقال هؤلاء المتمصوفة إنه من بلغ الغاية القصوى من الولاية سقطت عنه الشرائع كلها . من الصلاة والصيام والزكاة وغير ذلك ، واستباحوا لهذا نساء غيرهم .

وعلى ذلك نقول : إن ثالوث التكفير ـــ ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب ـــ قد تتلمذوا على ابن حزم فى كتبه .

نشأة الفقه الظاهرى :

ولقد سبق ابن حزم بذلك المنهاج أبو سليمان داوود بن على بن خلف البغدادى مقاماً الأصبهانى نسباً ولد سنة ٢٠٠ هـ وقد تخرج على تلاميذ الشافعى ، ولكنه لم يلبث إلا قليلًا آخذاً بالمنهاج الشافعى حتى خرج عنه ، وقال : إن المصادر الشرعية هى النصوص فقط فلا علم فى الإسلام الا من النص ، وبطل القياس ولم يأخذ به .

ومما أخذ على داوود إنكاره القياس جملة وبذلك خالف جمهور الفقهاء ، وتصريحه بأن القرآن محدث ، مع تصريحه بأنه لا حرج فى أن يمس الجنب والحائض المصحف الشريف ويتلوه مما خالف به جمهور الفقاء أيضاً ، ونادى بذلك ، فى وقت قرر علماؤه أن المبتدعة هم الذين يقولون إن القرآن مخلوق ، فهم بهذا قد عدوه من ضمن المبتدعة .

وإنه مما أخذ على داوود أنه منع التقليد منعاً مطلقاً ، وأجاز لكل فاهم للعربية أن يتكلم فى الدين بظاهر القرآن والسنة ، حتى لقد جرأ العامة على مالا قبيل لهم به من أخذ الأحكام مباشرة من الكتاب والسنة . وبذلك تجرأ على الفقه من لا يحسن الفقه ، وإعتد ناس بآرائهم التى انتحلوها وتمسكوا بظواهر النصوص ،فكانوا كالخوارج يتعلقون بظواهر الألفاظ من غير تأمل وتفكير .

كيف دخل الفكر الظاهرى المغرب العربى :

فى القرن الثالث الهجرى سافرت طائفة من علماء قرطبة إلى بلاد الشرق ينتهلون من العلماء ومن هؤلاء ثلاثة : ابن مخلد وابن وضاح وقاسم بن أصبغ . وقد أخذوا من المذهب الظاهرى عدم التقيد بمذهب وأخذ الأحكام من الكتاب والسنة ، وهؤلاء الرجال الثلاثة مهدوا الوجود للمذهب الظاهرى بالأندلس .

وقد تلقى ابن حزم هذا المذهب الظاهرى عن مسعود بن سليمان عن مفلت أبى الخيار ، وكان هذا الأخير داوودى المذهب تسلم ابن حزم المذهب الظاهرى .

ولقد استطاع القاضى ابن أبى يعلى فى الشرق بقوة شخصيته أن يحل المذهب الحنبلى فى الشرق محل المذهب الظاهرى فى الغرب .

ابن حزم أموى السياسة ظاهرى المذهب :

١ـ يقرر ابن حزم أنه إذا تفشى المنكر جاز لشخص ان يتقدم يدعو لنفسه لإمامة المسلمين ، وعلى ذلك يكون فشو المنكر سبباً فى أن يخرج الإمام عن الإمامة ، لأنه يكون قد فقد شرط الإمامة ، ويكون موضع الإمامة شاغراً ، فيتقدم من يشغله ، ومن يعاون المتقدم فإنما يعاون على البر والتقوى ، ومن يسكت عن معاونته ، فإنما يعاون المنكر ، وبذلك يعاون على الإثم والعدوان ، وهذا هو فكر الخوارج قديماً ، ومن بعد فكر ثالوث التكفير ـ ابن تيمية و ابن القيم وابن عبد الوهاب ـــ والآن فكر جماعة : الإخوان المسلمون ومن خرج من عباءتها » . .

٢ ـ لابن حزم رسالة خاصة فى المفاضلة بين الصحابة (راجع كتاب الفصل لابن حزم (ج ٤ صفحة ١١١) ولكن نريد أن نذكر منها ما يكفى لبيان رأى ابن حزم الأموى السياسة والظاهرى المذهب فى مقام سيدنا على عليه السلام بين الصحابة رضوان الله عليهم ومقام معاوية ، إذا كان يعد هذا الأخير من الصحابة ، وذلك لأن ابن حزم أموى النزعة أموى الولاء ، يرى صحة إمامة الأمويين فى المشرق والمغرب على السواء ، وبشدة يغضب ابن حزم للأمويين وناصب سيدنا علياًعليه السلام وأولاده العداوة الظاهرة . كما ناصب الخوارج من قبل سيدنا علياًعليه السلام ، وكما ناصب ثالوث التكفير من بعد .

٣ ـ يرى ابن حزم أن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين أزواجه وأن الذي يليهن أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ ثم عمر ، ثم يتصدى للمفاضلات الشخصية بين الصحابة البارزين ، وبعد أن يفيض ابن حزم فى بيان فضل نساء النبى ﷺ على الناس أجمعين رجالاً ونساءاً يبين فضلهن على بناته ، فيقول : إن كل امرآة من نسائه أفضل من فاطمة ابنته التى هى قطعة منه ﷺ فيقول : إن النبى ﷺ يقول فى حق السيدة فاطمة : « إن فاطمة سيدة نساء المؤمنين »ويقول ﷺ فى حق السيدة عائشة : « وفضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام »

ونحن نقول لابن حزم ومن سار على ضلاله : إن السيادة غير الفضل ، ولا شك أن السيدة فاطمة عليها السلام سيدة نساء العالمين بولادة النبى ﷺ لها ، فالسيادة من باب الشرف لا من باب الفضل فلا تعارض بين الحديثين البتة . خاصة وأن السيدة فاطمة عليها السلام قد تربت فى مهد النبوة ونشأت بين أحضان النبى ﷺ وبذلك فقد نشأت على أكمل الأخلاق والفضائل حتى تكون مثلًا لسائر النساء فإن سادتهن فبالشرف وبالفضل ، وإن حديث فضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على الطعام لا يدل دلالة قاطعة على أنها أفضل من كل امرأة حتى السيدة فاطمة عليها السلام التى قالت عنها أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها : إنها ليست كغيرها من النساء . ولذلك يتضح أن ابن حزم نزعته الأموية أخرجته عن الحق والعدل .

٤ ـ يفاضل ابن حزم بين أبى بكر الصديق رضى الله عنه وبين سيدنا على عليه السلام فيقول : « إن أبا بكر كان أكبر جهاداً من على :

أ ـ لأنه جاهد هو وعمر بلسانهما وعملهما فى مكة والمدينة ، وعلىٌّ لم يجاهد إلا فى المدينة بسيفه .

ب ـ ويذكر أن أبا بكر أعلم من على ، ويجتهد فى إثبات ذلك أنه أكثر فتاوى ورواية من على ، ثم يثبت أن الصديق أقرأ من على وأتقى منه وأزهد ، وأنه لم يستعمل أحداً من أقاربه ، بينما ولى على أولاد عمه العباس ولايات .

ج ـ وقال : إن أبا بكر أكثر صدقة من على ، وإن أبا بكر هو السابق الى الإسلام

د ـ ثم يقرر أن الصديق أسوس من على ، فابو بكر أخضع فارس والروم ومكن للإسلام فى أقطار الأرض وأذل الكفر وأهله ، وشبع جائع المسلمين وعز ذليلهم واستغنى فقيرهم ، وصاروا إخوة لا خلاف بينهم ، وقرءوا القرآن ، وتفقهوا فى الدين . ثم يقول فى عهد سيدنا على عليه السلام : « قد رأى الناس خلاف ذلك كله وافتراق كلمة المؤمنين ، وضرب المسلمون وجوه بعض بالسيوف ، وشق بعضهم قلوب بعض بالرماح ، وقتل بعضهم من بعض عشرات الألوف وشغلهم ذلك أن يفتحوا من بلاد الكفر قرية » (راجع كتاب ابن حزم للشيخ محمد أبو زهرة صفحة ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢) .

وللرد على أموية ابن حزم فى نزعته وولائه نقول :

أ ـ إن جهاد أبو بكر وعمر بلسانهما وعملها فى مكة والمدينة وجهاد سيدنا على عليه

السلام فى المدينة بسيفه ، فجهاد اللسان والحجة والبرهان لا يقل عن جهاد السيف فضلا عن سيدنا على عليه السلام صاحب الجهاد باللسان والحجة والبرهان والسيف .

ب ــ إن أبا بكر أكثر فتاوى ورواية من سيدنا على عليه السلام ، فإذا قيست الرواية والفتاوى بالمدة التى عاشها أبو بكر بعد النبى ﷺ وهى سنتان وستة أشهر ، فإذا قورنت هذه المدة بالمدة التى عاشها سيدنا على عليه السلام وهى ثلاثون سنة كان سيدنا على عليه السلام أكثر رواية وفتوى .

ج ــ الإمام على لا تنقصه السياسة وإنما ينقص عصره عن عصر أبى بكر ما يتحمل وزره معاوية ومن أتى بعده ، ولو أن أبا بكر عاش إلى عهد معاوية واشباهه ، وشدد فى أمر الردة ما شدد لكان من مناوئية مثل معاوية وأبيه ، ولكن كان عصر أبى بكر عصر عمر وعصر على عليه السلام وعصر أبى عبيدة وعمار بن ياسر وأبى ذر الغفارى وسلمان الفارسي وخالد وسعد بن أبى وقاص ، والأنصار الذين آووا ونصروا فلم يكن مخالف لهم من الطلقاء وأبناء الطلقاء فوزر ذلك الخلاف على من بغى وخرج على صاحب الحق ، لا على صاحب الحق ، ولا وجه للموازنة فى هذه القضية لاختلاف العصر ، ووزر ذلك الاختلاف إلى يوم القيامة يقع على معاوية ومن عاونه على باطله .

شبهات وأباطيل طائفة ابن حزم

أولا : قالت هذه الطائفة الظاهرية : انه ليس فى حق أصحاب المذاهب الأربعة دليل من الكتاب ولا من السنة وارد فى الأخذ بأقوالهم حتى يجب على الناس اتباعهم ، ولا ورد أن الأخذ بها من الأمور الحسنة ، بل لنا الأخذ من الكتاب والسنة دون الرجوع إلى المذاهب .

ثانيا : قالت هذه الطائفة : إن علم التوحيد منكر من القول وزورا ، ويسمونه علم التوحيل ، ويكفى الإنسان سورة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ وشهاده أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقد قال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ .

ثالثا : تقول هذه الطائفة : من أين للأئمة الأربعة تبيين مراد الله ورسوله وهل هم أفصح من الله ورسوله حتى يبينوا مرادهما ولو كان المراد ما ذكروه لبينه الله ورسوله .

رابعا : تقول هذه الطائفة : إنهم اطلعوا على أحاديث لم تطلع عليها الأئمة أرباب المذاهب .

خامسا : تقول هذه الطائفة : إنهم يأخذون الأحكام عن الله تعالى وأنهم يجتمعون برسول الله ﷺ يقظة ويشافهونه ويشاورونه فى أمورهم وأن من تبعهم يجمعونه به ، ويعتقدون أن سيدهم أفضل من أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

سادسا : تقول هذه الطائفة ما يلى :

١ ـ أنهم يقصرون الصلاة ويفطرون رمضان إذا سافروا مسافة نصف يوم ويوجبون على من يصوم فى السفر القضاء فى الحضر كمن أفطر فيه ويتمسكون بقول النبى ﷺ الصائم فى السفر كالمفطر فى الحضر .

٢ ـ أنهم يصلون على الجنازة من غير وضوء مع القدرة على استعمال الماء ويقولون : إن المقصود منها الدعاء للميت .

٣ ـ يسجدون للتلاوة من غير وضوء .

٤ ـ يقولون يجب على من غسَّل ميتاً أن يغتسل ويجب على من حمله أن يتوضأ .

٥ ـ أنهم يقولون بصحة إمامة المرأة للذكور .

الرد على شبهات وأباطيل طائفة ابن حزم

أولا : الرد على الشبهة الأولى :

١ ـ الرد على الظاهرية من الكتاب :

أ ـ الدليل على بطلان قولهم قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ .

ب ـ وقوله تعالى : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ .

جـ ـ وقوله تعالى : ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا لعلهم يحذرون ﴾ .

٢ ـ الرد على الظاهرية من السنة :

أ ـ قال رسول الله ﷺ : ﴿ مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لأحدٍ فى تركه ، فإن لم يكن فى كتاب الله فسنة منى ماضية ، فإن لم تكن سنة منى فما قال أصحابى ، إن أصحابى بمنزله النجوم فى السماء فأيما أخذتم به اهتديتم ، واختلاف أصحابى لكم رحمة ﴾ .

ب ـ روى الدارمى فى حديث أبى سلمة أن النبى ﷺ سئل عن الأمر يحدث ليس فى كتاب ولا سنة قال : ﴿ ينظر فيه العابدون من المؤمنين ﴾ .

جـ ـ قال رسول الله ﷺ : ﴿ خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ، وفى رواية : ثم الذين يلونهم ﴾ ﴿ خير الناس القرن الذى أنا فيه ثم الثانى ثم الثالث ﴾ وكل هؤلاء الأئمة الأربعة فى هذه القرون .

٣ ـ الرد على الظاهرية من الإجماع :

أجمع أهل السنة على وجوب التقليد على كل من ليس فيه أهلية الاجتهاد وشاع ذلك حتى صار معلوماً من الدين بالضرورة .

ثانيا : الرد على الشبهة الثانية :

إن تسميتهم لعلم التوحيد بعلم التوحيل فيه من قلة الأدب مع الله ورسوله ما يخشى عليهم منه سوء العاقبة والعياذ بالله تعالى .

وقولهم إنه يكفى الإنسان سورة قل هو الله أحد كما هو الظاهر منهم إن أرادوا حفظها قلنا : هو غير مسلم فإن مجرد حفظ القرآن لا يفيد العلم ولا يدفع الجهل لقوله ﷺ : (وهل ينفع القرآن بغير علم) (فاعلم أنه لا إله إلا الله) فهو ما يرد عليهم فإنه تعالى قال : (فاعلم) وما قال : فقل .

ثالثا : الرد على الشبهة الثالثة :

إن تبيينهم مأخوذ من قول الله تعالى : ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ﴾ فإنه ﷺ قد بين لنا ما أجمل فى القرآن ، فكما أن الشارع ﷺ بين لنا نسبة ما أجمل فى القرآن ؛ كذلك الأئمة المجتهدون بينوا لنا ما أجمل فى أحاديثه الشريفة .

رابعا : الرد على الشبهة الرابعة :

هذه دعوة باطلة لأن التابعين رضى الله عنهم جمعوا ما كان من الأحاديث متفرقاً حتى أن أحدهم كان يرحل فى طلب الحديث الواحد والمسألة الواحدة الشهر والشهرين والسنة والسنين كما هو معلوم ، وضبطوا أمر الشريعة أتم ضبط ، كما اعتنى الصحابة بجمع القرآن .

خامسا : الرد على الشبهة الخامسة :

أما قولهم أنهم يأخذون الأحكام عن الله فهو ضلال لقوله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ ولو كانوا يأخذونها عن طريق الإلهام أو الكشف أو النوم فيجب ألا تختلف مع الأحكام التى وردت فى المذاهب .

وأما قولهم إنهم يجتمعون برسول الله ﷺ فهذا لا يكون إلا لفرد لم يبق فى جسده عرق له شهوة وهؤلاء كلهم شهوات فكيف يرونه ؟!!

واعتقادهم أن سيدهم أفضل من أبى بكر الصديق رضى الله عنه فهو ـ إن صح

عنهم ــ كفر صريح لمعارضته قوله ﷺ : ﴿ ما طلعت الشمس ولا غربت على رجل بعدى ــ سوى النبين ــ أفضل من أبى بكر الصديق ﴾ .

سادسا : الرد على الشبهة السادسة :

١ ــ فى شرح الزرقانى على الموطإ ذهب مالك والشافعى وأحمد وجماعة إلى أنه لا يجوز للمسافر قصر الصلاة فى أقل من أربعة برد وهى ستة عشر فرسخاً ثمانية وأربعون ميلًا لفعل الصحابة . وذكر الشيخ أحمد الطاهر فى كتابه الكشف الربانى على المورد الرحمانى : وأما فطر رمضان فى هذه المسافة يعنى نصف يوم فلم يقل به أحد ولعلهم قاسوه على القصر فيها وأما قولهم الصائم فى السفر كالمفطر فى الحضر فليس بحديث كما لبَّسوا به على كثير من الجهلة .

٢ ــ أما صلاة الجنازة بغير وضوء فهو مذهب شاذ مردود . وروى مالك فى الموطإ عن نافع عن ابن عمر قال :لا يصلى الرجل على الجنازة إلا وهو طاهر أى متطهر من الحدثين . وقد سمى رسول الله ﷺ الصلاة على الجنازة فى قوله : (صلوا على صاحبكم) فهى صلاة شرعية يبطلها ما يبطل غيرها .

٣ ــ أما سجود التلاوة بلا وضوء فقد سئل الإمام مالك كما فى الموطإ عمن قرأ سجدة وامرأة حائضة تسمع هل لها أن تسجد ؟ فقال : لا يسجد الرجل ولا المرأة إلا وهما طاهران .

وأخرج البيهقى عن ابن عمر قال : لا يسجد الرجل إلا وهو طاهر .

٤ ــ أما قولهم بوجوب الغسل على من غسَّل ميتاً فهو مما اختلف فيه . وقال أبو داود إن حديث من غسل ميتاً فليغتسل إلى آخره منسوخ ، سمعت أحمد بن حنبل سئل عن غسل من غسَّل الميت قال : يجزئه الوضوء كما فى الصحيح . وإن وجوب الوضوء لمن حمل ميتاً لذاته لم يقل به أحد وإنما هو مستحب لتحصيل المقصد وهو الصلاة على الميت .

٥ ــ أما قولهم بصحة إمامة المرأة للذكور فهو قول شاذ مردود عليه بما رواه البخارى فى صحيحه : ﴿ لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ﴾ ولقوله ﷺ : ﴿ أخروهن من حيث أخرهن الله ﴾ فلا يجوز تقديمها .

لون من تأولات ابن حزم الباطلة والرد عليها

١ ـ يرى ابن حزم أن عبد الرحمن بن ملجم قاتل سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه كان متأولًا مجتهداً مقدراً على أنه صواب .

الرد عليه :

أين هذه الفتوى من قول النبى ﷺ لعلى بن أبى طالب عليه السلام : (قاتلك أشقى الآخرين) . وفى لفظ (أشقى الناس) . وفى الثالث : (أشقى هذه الأمة) ، كما أن عاقر الناقة أشقى ثمود . ويكاد يكون الحديث متواتراً .

وأين هذا من قول النبى ﷺ لعلى : (ألا أخبرك بأشد الناس عذاباً يوم القيامة ؟ قال : أخبرنى يارسول الله ، قال : (فإن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عاقر ناقة ثمود وخاضب لحيتك بدم رأسك) رواه ابن عبد ربه فى العقد الفريد .

٢ ـ يرى ابن حزم أن أبا الفادية قاتل عمار مجتهد أيضاً .

الرد عليه :

قال رسول الله ﷺ لعمار فى الحديث الصحيح المتواتر : (تقتلك الفئة الباغية) .

وقال ﷺ : ﴿ إذا اختلفت الناس كان ابن سمية مع الحق ﴾ .

وقال ﷺ : ﴿ اللهم أولعت قريش بعمار إن قاتل عمار وسالبه فى النار ﴾ .

٣ ـ يرى ابن حزم أن معاوية وعمر بن العاص من المجتهدين فى قتال أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام .

الرد عليه :

إن كتاب الله فيه آية التطهير الناطقة بعصمة النبى وصنوه وابنته وسبطيه وفيه آية المباهلة النازلة فيهم وعلىٌّ فيها نفس النبى . ويوجب بنص كتابه المقدس على أمة نبيه الأقدس مودة ذى قرباه (وأمير المؤمنين سيدهم) . ويخبر بلسان نبيه أمته بأن طاعة (على) طاعته ومعصيته معصيته ويكون مع ذلك كله هناك مجال للاجتهاد بأن يقاتل أو يُقتل أو ينفى من الأرض أو يسب على رؤوس الأشهاد أو يلعن على المنابر أو تعلن عليه

الدعايات . وكفاه الحديث الذى أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣ صفحة ١٢٩ عن جابر ابن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو آخذ بعلى بن أبى طالب يقول : (هذا أمير البررة ، قاتل الفجرة ، منصور من نصره ، ومخذول من خذله) ثم مد بها صوته .

الفصـــــل الـــرابع

ابن تيمية مجدد فكر الخوارج فى القرن السابع الهجرى

حياة ابن تيمية :

هو أحمد تقى الدين أبو العباس بن الشيخ شهاب الدين أبى المحاسن عبد الحليم بن الشيخ مجد الدين أبى البركات عبد السلام بن أبى محمد عبد الله بن أبى القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن على بن عبد الله .

وتعرف هذه الأسرة بأسرة ابن تيمية .

ولد فى العاشر من شهر ربيع الأول سنة ٦٦١ هـ ، وعلة تسمية الأسرة بابن تيمية أن جده محمدا كانت أمه واعظة وكان اسمها تيمية ، فنسبت الأسرة إليها وعرفت بها .

ولم ينسب ابن تيمية إلى قبيلة عربية من قبائل العرب ، ولذلك لم يكن عربيا لكنه كان كرديا ، ولذلك لم يذكر المؤرخون له نسبة إلا الحرانى ـ نسبة إلى مدينة حُران موطن أسرته الأول ـــ وحُران بلد من بلاد الجزيرة التى بين دجلة والفرات ، وهى مهد الصابئة والصابئين من أقدم عصور الإسلام « راجع كتاب ابن تيمية للشيخ محمد أبو زهرة » .

ولما بلغ ابن تيمية السابعة عشرة هاجرت أسرته من حُران إلى دمشق خوفا على أنفسهم من التتار ، فألحقه والده بمدرسة من مدارس دمشق ، وتفقه فى مذهب أحمد بن حنبل واشتهر بجودة الحفظ وقوة الذاكرة ، وتصدر لإلقاء الدروس وهو فى سن مبكرة ، وشجعه العلماء ـ كعادتهم مع أمثاله من النشء المتوثب فى طلب العلم وتعليمه ـ وأنس من نفسه قوة ذهن فلم يحفل بالرجوع إلى شيوخ الوقت وأكابره ، واكتفى بذهنه ورأيه ، حتى إذا قارب سن الأربعين ـ سن الكمال عادة ـ بدأ النقص يظهر فيه ، ونقائص البدع تنبع منه ، وبدأ يسير على طريق الكرامية والحشوية ، ويحيى بدعهم ، ويتضح ذلك من الآتى :

تنحصر أمهات أفكارة فى أربع :

أولا : تشبيه الله سبحانه وتعالى بخلقه

بدأ ابن تيمية الحرانى يسير على طريق الكرامية والحشوية ومجسمة الحنابلة ، ويحيى بدعة القول بالجهة والمكان إلى الله تعالى ، وقيام الحوادث بذات الله تعالى ، وكلام الله بصوت وحرف . وابن تيمية فى ذلك يتابع بن ملكا اليهودى ، الفيلسوف المتمسلم « راجع مقالات الكوثرى ص ٢٨) وأخذ يلقى إلى العامة أن ذلك ما عليه الأنبياء والمرسلون والصحابة والتابعون ، وأن القول بذلك هو الإسلام والإيمان والدين والتوحيد ، وأن ذلك مذهب أحمد بن حنبل ، وأن من يخالف ذلك فهو معطل ملحد ، عدو للدين ، منابذ للإسلام والمسلمين ، فأحيا بذلك بدعة « الحشو » بعدما ماتت . وتحركت بذلك أحقاد العامة على الخاصة بوعظه الملىء بشتم السابقين والمعاصرين له ، من المنزهين لرب العالمين مما ينسبه ابن تيمية الحرانى لله سبحانه وتعالى .

ومن صور ذلك الوضرِ فى كلام ابن تيمية الحرانى قوله : « استوى على العرش » أى : جلس عليه بذاته وحقيقته ، ويقول بالظاهر فى الأسماء والصفات ولا يحملها على المجاز عنده فيقول « **يخافون ربهم من فوقهم** »(١) بفوقية حقيقية ، ويقول : «**يد الله فوق أيديهم**»(٢) «**ويبقى وجه ربك**»(٣) «**ولتصنع على عينى**»(٤) «**والسموات مطويات بيمينه**»(٥)، «**وجاء ربك**»(٦)، «**وعند مفاتيح الغيب**»(٧) «**ياحسرتى على مافرطت فى جنب الله**»(٨)

فحملت هذه الأسماء والصفات على ظواهرها المتعارفة ، والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميين ، وبذلك قاس ابن تيمية والمفتتنون به الخالق على المخلوق . [راجع لابن

---

(١) سورة النحل آية ٥٠ .
(٢) سورة الفتح آية ١٠ .
(٣) سورة الرحمن آية ٢٧ .
(٤) سورة طه آية ٣٩ .
(٥) سورة الزمر آية ٦٧ .
(٦) سورة الفجر آية ٢٢ .
(٧) سورة الأنعام آية ٥٩ .
(٨) سورة الزمر آية ٥٦ .

تيمية المجلد الخامس من الفتاوى ص ١٣٦ ، وشرح العقيدة الأصفهانية ص ٨٨ ، ص ١٢٦ ، والرسالة التدميرية ص ٧٣ ، كذلك كتاب الإيمان ص ٤٢ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٩ ، وكتاب بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول على هامش كتاب منهاج السنة جزء ١ ص ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، والرسالة الحموية الكبرى ص ١٥٦ ، وكتابه التأسيس فى رد أساس التقديس » .

الرد على تشبيه الله سبحانه وتعالى بخلقه :

ولقد تصدى له علماء عصره من فقهاء المذاهب الأربعة ، وخاصة فضلاء الحنابلة ، وقالوا : إن ما ورد فى هذه الآيات من المعانى الحسية ، يفهم منها أمور أخرى تليق بذات الله تعالى ، فيحمل الاستواء فى قوله : « **الرحمن على العرش استوى** » على معنى دبر وحكم ، وتحمل الفوقية فى قوله تعالى : ﴿ **يخافون ربهم من فوقهم** ﴾ بالعلو المعنوى دون الجهة ، وتحمل اليد فى قوله تعالى : ﴿ **يد الله فوق أيديهم** » على معنى القدرة ويحمل الوجه فى قوله تعالى ﴿ **ويبقى وجه ربك** ﴾ بمعنى الذات ، وتحمل العين فى قوله تعالى : ﴿ **ولتصنع على عينى** ﴾ على معنى الملاحظة بعناية الله وجميل رعايته ، وتحمل اليمين فى قوله تعالى : ﴿ **والسموات مطويات بيمينه** ﴾ بمعنى القوة ، ويحمل المجىء فى قوله تعالى : ﴿ **وجاء ربك** ﴾ على معنى مجىء أمره ، وتحمل العندية فى قوله تعالى : ﴿ **وعنده مفاتح الغيب** ﴾ على معنى الإحاطة والتمكن ، ويحمل الجنب فى قوله تعالى : ﴿ **ياحسرتى على ما فرطت فى جنب الله** ﴾ بمعنى حق الله وما يجب له .

فالقول مثل ما قال ابن تيمية الحرانى بإثبات الجهة لله تعالى وغيرها يعد كفراً عند الأئمة الأربعة هداة الأمة ، كما نقل عنهم فى كتاب : « شرح المشكاة » لعلى القارىء ، وكتاب : « إشارات المرام » للبياضى ، وكتاب : « اعتقاد أهل السنة والجماعة » للإمام جعفر الطماوى وعلى مذهب أبى حنيفة ، ورد الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه على القائلين بالجهة فى كتاب : « العواصم من القواصم » لابن عربى ، و « السيف الصقيل » للتقى السبكى ، وبقول القرطبى المفسر فى « التذكار ص ٢٠٨ » عن أن المجسمة كفار لا فرق بينهم وبين عباد الأصنام والصور ، وكتاب : « شرح المهذب » للنووى ، والتقى الحصنى فى كتابه : « كفاية الأخبار » الذى يمثل فيه رأى الشافعية .

أما رد الإمام أحمد رضى الله عنه على المجسمة فمنقول فى : « مرهم العلل المعطلة » لليافعى ، و « دفع شبه من شبه » لابن الجوزى ، وهو كاف فى ذلك ، وكتاب :

« الفصل » لابن حزم الظاهرى ـ وهو أقسى أهل العلم على المجسمة ـ راجع كذلك « البراهين الساطعة فى رد بعض البدع الشائعة » للشيخ سلامة العزامى ، و« مقالات الكوثرى » للعلامة الشيخ محمد زاهد الكوثرى ص ٢٩٠ ، وكتاب : « إلجام العوام » لأبى حامد الغزالى ، وكتاب : « أساس التقديس » لفخر الدين الرازى ص ١٨٧ ، وكتاب : « نجم المهتدى ورجم المعتدى » للإمام المحدث المحقق فخر الدين القرشى الشافعى ، وكتاب : « دفع شبه من شبه وتمرَّد » لأبى بكر تقى الدين الحصنى .

وقد تحقق بما نقل عن علماء الإسلام المحققين أن اعتقاد بن تيمية الحرانى بالجهة لله تعالى من باب قياس الخالق بالمخلوق ، وحاشا أن يكون ذلك قول شيخ للإسلام ، ولكنه شيخ للعوام ، الذين لم تستسغ عقولهم استحالة الجهة على الله تبارك وتعالى .

وجمهور الأمة الإسلامية من أهل السنة ـ الشافعية والحنفية والمالكية وفضلاء الحنابلة ـ على أن الله تبارك وتعالى منزه عن الجهة والجسمية والحد والمكان ومشابهة مخلوقاته .

ثانيا : اختراع ابن تيمية الحرانى أن التوحيد توحيدان :

اخترع ابن تيمية الحرانى أن التوحيد توحيدان : توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ، وزعم أن جميع فرق المسلمين من المتكلمين عبدوا غير الله لجهلهم توحيد الألوهية ، ولم يعرفوا من التوحيد إلا توحيد الربوبية ، وهو الإقرار بأن الله خالق كل شيء ، ورغم أن هذا التوحيد ـ توخيد الربوبية ـ اعترف به المشركون ، فكفَّر به جميع المسلمين ، وقلده فيه المفتتنون به .

وقد جاء اختراع ابن تيمية الحرانى فى أربعة مواضع من كتبه :

(١) قال فى الجزء الأول من فتاواه ص ٢١٩ : « إن توحيد الألوهية أن يعبد الله ولا يشرك به شيئاً ، فيطيعه ويطيع رسله ويفعل ما يحبه ويرضاه .

أما توحيد الربوبية فيدخل ما قدره وقضاه ، وإن لم يكن مما أمر به وأوجبه وأرضاه » .

(٢) وقال كذلك فى الجزء الثانى من فتاواه ص ٢٧٥ : « بأن المقصود هنا بيان حال العبد المحصن لله تعالى الذى يعبده ويستعينه ويحقق قوله : « **إياك نعبد وإياك**

نستعين »[1] توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ، وإن كانت الألوهية تتضمن الربوبية ، والربوبية تستلزم الألوهية ، فإن أحدهما إذا تضمن الآخر عند الانفراد لم يمنع أن يختص بمعناه عند الاقتران كما فى قوله : « **قل أعوذ برب الناس** »[2] فجمع بين الاسمين ، فإن الإله هو المعبود الذى يستحق أن يعبد ، والرب هو الذى يربى عبده » .

(٣) وقال فى الجزء الثانى فى منهاج السنة ص ٦٢ : « **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** »[3] وذم بهذه الآية جميع فرق المسلمين ، مصرحاً بأنهم عبدوا غير الله لجهلهم توحيد الألوهية ، إنما التوحيد الذى أمر به العباد هو توحيد الألوهية ، المتضمن الربوبية بأن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا ، فيكون الدين كله لله .

(٤) وقال ابن تيمية فى : « رسالة أهل الصفة ص ٣٤ » توحيد الربوبية وحده لا ينفى الكفر ولا يكفى .

الرد على اختراعه توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية :

(١) لم يرد فى سنة النبى ﷺ أن التوحيد ينقسم إلى توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ، وأن من لم يعرف توحيد الألوهية لا يعتد بمعرفته لتوحيد الربوبية لأن هذا يعرفه المشركون ، فلو اجتمع معه الثقلان على إثبات هذا الهذيان عن النبى ﷺ بإسناد — ولو واهيا — لا يستطيعون ، ولم يقل أى صحابى من أصحاب النبى ﷺ بذلك ، ولم يقل أى واحد من التابعين بذلك ، كما لم يقل أى واحد من أتباع التابعين بذلك ، كما لم يقل الإمام أحمد بن حنبل — الذى يدعى ابن تيمية الانتساب إليه — بذلك ، وهذه عقيدة الإمام أحمد بن حنبل مدونة فى مصنفات أتباعه لابن الجوزى ليس فيها هذا الهذيان .

(٢) كتب السنة جميعها تقرر أن دعوة الإسلام هى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وخلع عبادة الأوثان ، وليس فيها هذيان ابن تيمية الحرانى بتوحيد الألوهية وتوحيد الربوبية .

(٣) لم يأمر الله فى كتابه العزيز بتوحيد الألوهية ، ولم يقل إن من لم يعرفه لا يعتد بمعرفته لتوحيد الربوبية .

---

(١) سورة الفاتحة آية ٥ .

(٢) سورة الناس آية ١ .

(٣) سورة يوسف آية ١٠٦ .

(٤) يلزم ــ على حد اختراع ابن تيمية الحرانى ــ أن العباد لا يعرفون إلا توحيد الربوبية ، وأن المولى سبحانه وتعالى لا يعذبهم على جهلهم نصف التوحيد الآخر وهو توحيد الألوهية .

(٥) الإله هو الرب والرب هو الإله ، فهما متلازمان يقع كل منهما فى موضع ــ الآخر ، قال تعالى : ﴿ **يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم** ﴾[١] وكان اللازم ــ على زعم ابن تيمية الحرانى ــ حيث كانوا يعرفون توحيد الربوبية ولا يعرفون توحيد الألوهية أن يقول المولى سبحانه وتعالى : اعبدوا إلهكم . وقال تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه** ﴾[٢] وكان اللازم ــ فى هذيان ابن تيمية ــ أن النمروذ ــ وهو يعرف توحيد الربوبية ويجهل توحيد الألوهية ــ أن يقول الله تعالى : ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى إلهه . وغيرها من الآيات فى القرآن كثير .

ثالثا : عدم توقيرة للنبى ﷺ وأهل بيته والخلفاء الأولين :

التوقير هو التعظيم ، وتعظيم النبى ﷺ من الإيمان ، فمن لم يعظمه ﷺ بما يليق بمقامه فهو كافر ، ومن رفعه فى التعظيم إلى مقام الألوهية فهو كافر ، وقد نهانا سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز عن ندائه ﷺ كنداء بعضنا بعضا ، ولم يخاطبه الله تبارك وتعالى فى كتابه العزيز إلا بصيغة الاحترام ، وقال تعالى مثنيا عليه : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾[٣] ، ﴿ **وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم** ﴾[٤]وقال واصفا له بصفات عالية شريفة : ﴿ **فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون** ﴾[٥] وقال تعالى واصفا له بصفتين من صفاته : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم** ﴾[٦] وقال تعالى آمراً المؤمنين بغض أصواتهم عند النبى ﷺ بقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط**

---

(١) سورة البقرة آية ٢١ .
(٢)سورة البقرة آية ٢٥٨ .
(٣) سورة القلم آية ٤ .
(٤) سورة الشورى آية ٥٢ .
(٥) سورة الأعراف آية ١٥٧ .
(٦) سورة التوبة آية ١٢٨ .

أعمالكم وأنتم لا تشعرون إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم ﴾ ٢ – ٥ الحجرات .

وروى – كما أخرجه البزار عن طريق طارق بن شهاب – أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه أنه لما نزلت هذه الآية أى : ﴿ **لا ترفعوا أصواتكم** ﴾ قال : ﴿ والله لا أكلمك بعدها – وفى نسخة صحيحة : بعد هذا – إلا كأخ السرّار ﴾ أى : لا أكلمك إلا سرا ، وفى البخارى أن عمر رضى الله عنه كان إذا حدّث النبى ﷺ حدثه كأخ السرّار ، أى : فى خفض صوته حتى ما كان يسمع رسول الله حتى يستفهمه لكمال إخفائه ، فأنزل الله فيهم – أى : فى أبى بكر وعمر وأمثالها رضى الله تعالى عنهم – « **إن الذين يغضون أصواتهم** » أى : يخفضونها « **عند رسول الله** » مراعاة للأدب أو محاذرة من مخالفة الرب (**أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى** » أى : جربها لها ومرنها عليها حتى صاروا أقوياء على احتمال مشاقها من أنواع الابتلاء ، وقيل : اختبرها وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصا ، إلى آخر ما جاء فى هذه الآية .

ومن مظاهر عدم توقيره ﷺ أن ابن تيمية منع زيارة روضته الشريفة وشد الرحال إليها ، وتحريمه قصر الصلاة فى سفرها ، ومنعه التوسل بجاهه ﷺ ، وزاد عليه إيذاءه ﷺ فى أبويه ، وفى الصلاة عليه ، وفى الكتب المؤلفة فيها وفى أصحابها ، وفى المصلين عليه ، ومنع تسويده فى الصلاة أو فى غيرها .

وقد اعتقد ابن تيمية الحرانى أن كل ما فيه إجلال له ﷺ – من قول أو فعل – فهو شرك وعبادة له من قائله أو فاعله ، فسجل على نفسه والمفتتنين بعلمه أنهم موتورون منه ﷺ ، يسوؤهم ما فيه توقيره ، ويسرهم ما فيه انتهاك حرمته ﷺ ، والحكم على أبويه بأنهما ماتا ... ليس من العقائد التى تجب على المسلم ، فلو مات ابن تيمية الحرانى جاهلا مصيرهما لم يسأل الله تعالى عنهما ، ولو مات معتقدا نجاتهما لا يؤاخذه الله تعالى على خطأ فى هذا الاعتقاد ، فهو غير خاسر على كلا الأمرين ، ولو مات ابن تيمية الحرانى معتقدا كفرهما وهما فى الواقع مسلمان كان خاسراً .

وقد قال أحد الخوارج من شيوخ ابن تيمية الحرانى لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : « لم لا تلعن الظلمة من قرابتك ؟ فقال له عمر بن عبد العزيز : متى عهدك بلعن

إبليس والتبرؤ منه ؟ فقال الخارجى : لا أذكر ذلك ، فقال عمر بن عبد العزيز : إذا كان إبليس شر خلق الله تعالى لم يوجب الله لعنه عليك فلم تلعنه ، ولم تتبرأ منه ، أفألعن وأتبرأ من قرابتى وهم مسلمون ؟ » .

وقد نهى الله تعالى عن سبِّ الأموات ، وفى الحديث الذى أخرجه الأئمة أحمد والبخارى والنسائى عن عائشة رضى الله عنها أنه ﷺ قال : « لاتسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا » .

وقال الإمام السيوطى فى رسالته : « مسالك الحنفاء فى وفاة والدى المصطفى » :

وسئل القاضى أبو بكر بن العربى عن رجل قال : إن آباء النبى ﷺ فى النار ، فأجاب : بأن من قال ذلك فهو ملعون ، لقوله تعالى : ﴿ **إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة** ﴾[1] وقال : لا أذى أعظم من أن يقال عن والدى الرسول ﷺ : إنهما فى النار .

يسوء ابن تيمية الحرانى اجتماع الناس للاحتفال بمولده ﷺ ، وقراءة شمائله الكريمة تعظيما لقدره ، وإظهارا للفرح والاستبشار بمولده الشريف .

كما يسوء ابن تيمية الحرانى اجتماع الناس لسماع قراءة قصة الهجرة ، والإسراء والمعراج ، وليلة النصف من شعبان ، وغزوة بدر الكبرى ، وليلة القدر ، ويرى أن ذلك منكراً عظيماً يجب إزالته ، وحجته فى ذلك كله مدحوضة وزعمه فاسد ، وقد خص علماء الإسلام يوم مولده وهجرته وإسرائه ؛ وليلة النصف من شعبان ؛ وغزوة بدر الكبرى ؛ وليلة القدر ؛ بتآليف كثيرة ، فهل هذه المناسبات الكريمة إلا جزء من سيرته ﷺ ؟ وهل سيرته إلا جزء من سنته ﷺ ؟ وهل الصلاة عليه ومدحه إلا من محبته والإيمان به ﷺ ؟ نعوذ بالله من مزالق اللسان ، وفساد الجنان .

كما لم يسلم المولى سبحانه وتعالى من ابن تيمية الحرانى فى إثبات الجهة والفوق والاستواء على العرش له جل وعلا ، ولم يسلم النبى ﷺ من أذاه كما بَّينا آنفا .

كذلك لم يسلم من أذاه سيدنا عمر بن الخطاب ، فقد ذكر بعض العلماء المعاصرين لابن تيمية الحرانى أنه سَمِعَهُ على منبر جامع الجبل بالصالحية وهو يتناول عمر بن الخطاب

---

(١) سورة الأحزاب آية ٥٧ .

رضى الله عنه فيقول فيه : « إن عمر له غلطات وبليات ، وأى بليات » « راجع الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيثمى .

ومن أمثلة ذلك أن من طلق امرأته ثلاثا مجموعة بكلمة واحدة وقع عليه الثلاث ، وهذا ما عليه إجماع الأمة الذين هم أهل السنة والجماعة من الصحابة رضى الله عنهم والتابعين .

ولكن ابن تيمية الحرانى ادعى أن هذا قول عمر بن الخطاب وقال : إن من طلق امرأته ثلاثا مجموعة بكلمة واحدة لايقع إلا واحدة . فأبطل دين الله برأيه وخرق الإجماع ، وزعم هذا المفتون أن هذه البدع المنكرة التى أتى بها يسندها إلى سنة الرسول ﷺ ، وأن عمر بن الخطاب خالف بذلك سنة رسول الله ﷺ الظاهرة المشهورة ، وقال : « إننا مأمورون بمتابعة رسول الله ﷺ ولسنا مأمورين بالاقتداء بعمر بن الخطاب » كلمات حق لا يريد بها ابن تيمية الحرانى إلا باطلا . راجع الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيثمى .

ولم يسلم من لسانه كذلك سيدنا عثمان بن عفان فقال فيه : إنه مولع بحب المال ، ولم يسلم من لسانه كذلك سيدنا على رضى الله عنه ، فقال فيه : إن إسلامه أقل من إسلام أبى بكر الصديق حيث أسلم صبيا وأبو بكر أسلم شيخا كبيراً .

وقال كذلك : إن سيدنا عليا رضى الله عنه كان مخذولاً حيثما توجه ، وأنه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها ، وإنما قتاله كان للرئاسة لا للديانة .

وذكر ابن حجر الهيثمى فى فتاواه الحديثية أن سيدنا عليا رضى الله عنه ـ وهو باب مدينة العلم ـ فى نظر ابن تيمية أخطأ فى أكثر من ثلاثمائة موضع ، ولذلك قرر علماء عصر ابن تيمية أنه موصوف بالنفاق ، استناداً إلى قول علىّ رضى الله عنه : « والذى خلق الحبة وبرأ النسمة إن عَهْدَ النبى إلىّ أنه لا يحبنى إلا مؤمن ، ولا يبغضنى إلا منافق » .

وقد ألف ابن تيمية الحرانى كتابا ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب وهو كتاب : « رفع الملام عن الأئمة الأعلام » وهو لون آخر من الطعن فى الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم والأئمة من التابعين ، وقد بين خبث طوية ابن تيمية فى هذا الكتاب العلامة عبد الله بن زيدان الشنقيطى يقول فيه : إنه وضع الملام لا رفعه ، ومن

لامهم سواه حتى يرفع الملام عنهم ؟ « راجع كذلك ما ذكره العلامة الحصنى فى دفع شبُه من شبه وتمرد ص ٣٤ » .

رابعا : ابن تيمية الحرانى وتكفير الأمة الإسلامية جمعاء :

حكم ابن تيمية الحرانى على الملايين من أمة محمد ﷺ ـ المخالفين لرأيه لأنهم فى رأيه منزهون للمولى لا مجسمون ولا مشبهون ، ولا يعرفون تقسيم التوحيد كما يزعم إلى توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ، كما أنهم يوقرون النبى ﷺ وآل بيته والصحابة رضوان الله عليهم ، ويحبون أولياء الله الصالحين ـ بالكفر ففى رأيه : الأمة الإسلامية كافرة مشركة ، فإن قول الرسول ﷺ فى الطائفة التى لا تزال ظاهرة على الحق إلى قيام الساعة ، لا يتردد ابن تيمية الحرانى أن يقول : أنا أحمد بن تيمية والمقلدون لى .

ولا يتردد عاقل وقف على كلامه هذا إلا آن يرفضه ؛ لأنه حكم فيه على أمة محمد ﷺ بالكفر ، وما فى قلوبها لا يعلمه إلا الله .

الإقذاع والغطرسة والسب والتشريك والتكفير والتحقير لعباد الله تعالى ، هى بضاعة الشيخ الحرانى والمفتتنين به ، وهذا الوضر نجده فى تآليفه ، فقد كفر الأمة الإسلامية جمعاء وأتباع الأئمة الأربعة ، وشبه شيوخ هذه الأمة باليهود والنصارى تشبيها فاسداً فى تفسيره قوله تعالى : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله** ﴾[١] .

فلو كان ابن تيمية الحرانى عالما فللعلم وقار يحجزه عن تكفير مسلم واحد ـ فضلا عن تكفير أمة بأسرها ـ ولو كان فى قلبه مثقال ذرة من خوف من الله تعالى لما أقدم على تكفير مسلم واحد ـ فضلا عن تكفير أمة بأسرها ـ ولو كان عنده حياء ـ والحياء من الإيمان ـ ما كفر مسلما واحداً فضلا عن تكفيره أمة بأسرها وفيها من العلماء والفضلاء المفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين والفلاسفة والأولياء والعباد والزهاد ، ما أدهش التاريخ ، وأنطق أعداء الإسلام بفضل الإسلام .

قدس ابن تيمية نفسه ، واتبع هواه فلابد أن يضل عن سبيل الله ، وكل من امتلأ أنانية وكبرا فلابد أن يحتقر المسلمين ، قال تعالى : ﴿ **إن فى صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير** ﴾[٢] .

---

(١) سورة التوبة آية ٣١ .

(٢) سورة غافر آية ٥٦ .

العلماء الرادون على ابن تيمية الحرانى والمناظرون له :

رد على ابن تيمية الحرانى وناظره علماء كثيرون من المعاصرين له والمتأخرين عنه ، ولهم المؤلفات الكثيرة التى تزخر بها المكتبة الإسلامية ، ولكن دور النشر فى وطننا العربى، لا تنشر هذا التراث ، لأن دور النشر الآن تولى وجهها نحو الثراء المأمول من شيوخ البترول المفتتنين بابن تيمية ، وإليك بيان هذه الكتب التى أدحضت فكر ابن تيمية الحرانى :

(١) فممن رد عليه من الشافعية ردا محكما ونقض رسالة الحموية فى الجهة العلامة شهاب الدين بن أحمد بن يحيى الحلبى المتوفى سنة ٧٣٣ هـ .

(٢) وناظره العلامة محمد بن عمر بن مكى صدر الدين المرحل المتوفى سنة ٧١٦ هـ .

(٣) وللتاج السبكى فى طبقاته الكبرى مناظرات ، وحصل عليه التعصب من العوام المفتتنين بابن تيمية الحرانى .

(٤) وناظره فأفحمه العلامة كمال الدين الزملكانى المتوفى ٧٢٧ هـ ، ورد عليه برسالة فى شأن الطلاق وأخرى فى الزيارة للنبى ﷺ .

(٥) ورد عليه العلامة عز الدين بن جماعة وشنع عليه .

(٦) والإمام المحقق أبو الحسن السبكى رد عليه فى كتابه : « شفاء السقام فى زيارة خير الأنام » « الدرة المضيئة فى الرد على ابن تيمية » « نقض الاجتماع والافتراق فى مسائل الإيمان والطلاق » ، « والنظر المحقق فى الحلف بالطلاق المعلق » ، « والاعتبار ببقاء الجنة والنار » وكلها مطبوعة ، وقد توفى الإمام السبكى سنة ٧٥٦ هـ .

(٧) والعلامة الشريف تقى الدين الحصنى الدمشقى المتوفى سنة ٨٢٩ هـ فى كتابه : « دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد » وهو مطبوع .

(٨) والعلامة ابن حجر الهيثمى المتوفى سنة ٩٧٤ هـ فى كتابه : « الجوهر المنظم فى زيارة القبر المعظم » وهو مطبوع .

(٩) ورد عليه من المالكية المعاصرين له فى زيارة النبى ﷺ العلامة عمر بن أبى اليمن اللخمى الشهير بالتاج الفكهانى المتوفى فى الإسكندرية سنة ٧٣٤ هـ فى كتابه : « التحفة المختارة فى الرد على منكر الزيارة » .

(١٠) وقاضى القضاة العلامة محمد السعدى المصرى الإخنائى المتوفى سنة ٧٥٠ هـ برسالة محكمة سماها : « المقالة المرضية فى الرد على من ينكر الزيارة المحمدية » .

(١١) ورد عليه فى مسألة الطلاق العلامة عيسى أبو الروح الزواوى المتوفى بالقاهرة سنة ٧٤٣ هـ .

من كل ما تقدم يَتَبَيَّنُ للقارىء أن ابن تيمية الحرانى هو مجدد فكر الخوارج فى القرن السابع الهجرى وأنه ـ إن كان شيخا ـ فهو شيخ للعوام ، لا شيخ للإسلام .

الفصـــل الرابـــع

ابن عبد الوهاب مجدد فكر الخوارج للقرن الثانى عشر الهجرى

نشأة ابن عبد الوهاب وفكره :

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على بن أحمد بن راشد التميمى ، ولد فى عام ١١١٥ هـ ـ ١٧٠٣ م بمدينة تسمى العيينة من بلاد نجد ، التى تبعد عن الرياض ٤٠ كليو مترا من الناحية الشمالية الغربية ، قرأ الفقه على مذهب أحمد بن حنبل ، وكان أبوه قاضيا بها ، وأميرها يوم ذلك عبد الله بن معمر ، سافر إلى مكة ثم سافر إلى المدينة المنورة واشتغل بالدراسة على الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف ، وأظهر الإنكار على زيارة النبى ﷺ ، والتوسل به وبالصالحين من أمته ، ثم رحل إلى نجد ، ثم أتى البصرة من بعد الشام ، فلما ورد البصرة وأظهر آراءه لأهلها أنكروا عليه وردوه ، وبعد مدة جاء إلى بلدة حريملة من نجد ، وكان أبوه فى تلك البلدة ، فجعل ينكر زيارة النبى ﷺ ، والتوسل به وبالصالحين من أمته ، ولم يرض أبوه عنه بل زجره ونهاه ، وبعد أن مات أبوه سنة ١١٤٣ هـ ـ ١٧٣١ م تجرأ على إظهار عقائده والإنكار على المسلمين ، فضج أهل حريملة منه وهموا بقتله (راجع : الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته ودعوته . للشيخ أحمد بن حجر آل أبو طامى آل ابن على ، قدم له وصححه الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ص ١٧ ، ٢١ ، ٢٢) .

تحالف ابن عبد الوهاب مع أمير العيينة :

خرج ابن عبد الوهاب قاصدا العيينة ، وهى مسقط رأسه ودار نشأته وأميرها يوم ذاك عثمان بن أحمد بن معمر ، وقد تعاهد هو وأميرها أن يشد أزر كل منهما الآخر ، فترك ابن معمر لابن عبد الوهاب الحرية فى إظهار فكره ، والعمل على نشره ، لقاء أن يقوم ابن عبد الوهاب بشتى الوسائل لسيطرة ابن معمر على نجد بكاملها ، وكانت يوم ذاك موزعة إلى سبع إمارات منها إمارة العيينة ، ولكى تقوم الروابط زوّج ابن معمر أخته

من ابن عبد الوهاب فقال له الأخير : « إنى آمل أن يهبك الله نجد وعربانها » راجع المرجع السابق للقاضى أبو طامى ص ٢٣ ، ٢٤ ، وكتاب تاريخ نجد لهارى سانتجون فلبيى ص ٣٦ نشرته المكتبة الأهلية ببيروت .

وهكذا يؤمن ابن عبد الوهاب بأن الله يهب الأحرار وما يملكون لمن يناصره فى دعوته ، ويجعلهم عبيدا له من دون الله ، هذا وهو يدعو إلى التوحيد الخالص من براثن الشرك !!.

لقد سخر ابن عبد الوهاب الدين لرجل الدنيا ، وتطوع لتعزيز حكم دون أن يكون على يقين من عدله ، أو يأخذ منه موقفا لتحسين الأوضاع الاقتصادية وراحة الناس ، والعمل للصالح العام ، بل على العكس ، فقد وعده بملك نجد وعربانها ، لا بالاقتراع وحرية تقرير المصير ، بل بالحروب والغزو وبأشلاء الضحايا !! ومع ذلك فهو صاحب دعوة التوحيد ورسالة الإنسانية !!!

ومهما يكن فإن التحالف بين الاثنين لم يطل عمره ولم يتم أمره ، وما تمخض إلا عن زواج الشيخ بجوهرة ، وهدم قبر يزيد بن الخطاب ، وبلغ الخبر صاحب الإحساء والقطيف سليمان بن محمد بن عزيز ، فأرسل سليمان كتابا إلى عثمان فأمره بقتل حليفه ، فلما ورد الكتاب أرسل عثمان إلى ابن عبد الوهاب وأمره بالخروج من البلدة ، وطلب منه أن يختار المكان الذى يريد الذهاب إليه ، فاختار الدرعية (راجع تاريخ نجد لهارى سنت فلبيى ص ٣٨ ، ص ٣٩ . وراجع كتاب : الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته ودعوته للشيخ أحمد بن حجر آل أبو طامى ص ٢٢ ، ٢٣) .

تحالف ابن عبد الوهاب مع أمير الدرعية :

غادر ابن عبد الوهاب العيينة ، واتجه إلى الدرعية عام ١١٥٧ هـ — ١٧٤٥ م ونزل على محمد بن سويلم ، فأخذ يوضح له رغبته فى نشر فكره ، وكان لأمير الدرعية محمد ابن سعود زوجة عرفت أهداف فكر ابن عبد الوهاب التوسعية ، فأبلغت زوجها ، واعتبرت ابن عبد الوهاب كسبا كبيرا لإمارة الدرعية ، وتم الاتفاق بين الشيخ والأمير ، على غرار ما كان قد تم بينه وبين أمير العيينة . فقد وهب ابن عبد الوهاب نجد وعربانها لابن سعود كما وهبها من قبل لابن معمر ووعده « بأنه ستكثر الغنائم والأسلاب الحربية التى ستفوق ما يتقاضاه من الضرائب » على أساس أن دعوة ابن عبد الوهاب جهاد وقتال فى سبيل الله ، فجمع ابن عبد الوهاب أنصاره وأتباعه وحثهم على الجهاد .

وكتب إلى البلدان المجاورة المسلمة أن تقبل دعوته ، وتدخل فى طاعته ، وكان يأخذ ممن يطيعه عشر المواشى والنقود والعروض ، ومن أبى غزاه بأنصاره وقتل الأنفس ، ونهب الأموال ، وسبى الذرارى ، فليس أمام أى مسلم إلا الوهابية أو القتل ، أو ترمل نسائه وتيتم أولاده ، ومن المعلوم أن ابن عبد الوهاب لم يفتح بلدا غير مسلم من الشرق أو الغرب ، وإنما كان يغزو ويحارب المسلمين الذين لم يدخلوا فى طاعته ودعوته . (راجع كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب لقاضى قطر ص ٢٣ ، ٢٤ . وراجع كتاب تاريخ نجد لهارى سنت فليبى ص ٤١ . وراجع كتاب تاريخ نجد لعلامة العراق محمود شكرى الألوسى .

الشيخ سليمان يزيح الستار عن دعوة أخيه .

وكان لابن عبد الوهاب أخ اسمه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ، وكان يشغل منصب القاضى فى « حريملة » وكان كأبيه ينكر على أخيه آراءه المتطرفة ، والذى كتب كتابا خاصا فى الرد عليه وعلى أتباعه أسماه : « الصواعق الإلهية فى الرد على الوهابية » ونعت أخاه فى أول كتاب « الصواعق » بالجهل والضلالة ، قال فى ص ٤ طبعة ١٣٠٦ هـ : « فإن اليوم ابتلى الناس بمن ينتسب إلى الكتاب والسنة ، ويتبسط فى علومها ولا يبالى ــ أى : أخوه ابن عبد الوهاب ــ من خالفه ، وإذا طلبت منه أن يعرض كلامه على أهل العلم لم يفعل ، بل يوجب على الناس الأخذ بقوله وبمفهومه ، ومن خالفه فهو عنده كافر ، هذا وهو لم يكن فيه خصلة واحدة من خصال أهل الاجتهاد ، لا والله ، ولا عشر واحدة ، ومع هذا راج كلامه على كثير من الجهال ، فإنا لله وإنا إليه راجعون » (راجع كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته ودعوته للشيخ العلامة آل أبو طامى ص ٧٤) و (كتاب الدرر السنية فى الرد على الوهابية) للشيخ أحمد بن زينى دحلان .

وقد ربى ابن عبد الوهاب أتباعه على عدم التفكير فى شىء يصل بخير الناس ومنفعتهم ، وعدم الاهتمام إلا بالتعصب والحكم بالشرك على أهل « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

مات ابن عبد الوهاب سنة ١٢٠٦ هـ ــ ١٧٩١ م وسار أبناؤه وأتباعه على سيرته ، يكفرون مخالفى رأيهم من أهل القبلة ، ولا شك ــ كما بينا سابقا ــ أن التكفير سمة الخوارج ، فدين الإسلام الواسع محصور عندهم فى الثالوث : ابن تيمية وابن القيم وابن

عبد الوهاب ، فلا يثقون بأى عالم من علماء المسلمين ، ولا يقيمون له وزنا إلا إذا وجدوا فى كلامه شبهة تؤيد هواهم .

إنكار ابن عبد الوهاب زيارة النبى ﷺ والرد عليه :

إن زيارة روضة النبى ﷺ مشروعة يؤيدها الكتاب والسنة وإجماع الأمة والقياس :

١ – أما الكتاب فلقوله تعالى : « **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما** »[١] دلت الآية على حث الأمة على المجىء إليه ﷺ والاستغفار عنده واستغفاره لهم ، وهذا لا ينقطع بموته ، ودلت الآية على تعليق وجدانهم الله توابا رحيما بمجيئهم واستغفارهم واستغفار الرسول لهم ، والآية الكريمة ـ وإن وردت فى قوم معينين حال الحياة ـ تعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف فى حال الحياة وبعد الممات ، ولذلك فهم العلماء منها العموم للجائين واستحبوها للزائر ، وذكرها أهل المذاهب الأربعة .

٢ – وأما السنة فيدل على ذلك أحاديث كثيرة وصحيحة ، لا يشك فيها إلا من انطمس نور بصيرته ، منها قوله ﷺ : « من زار قبرى وجبت له شفاعتى » رواه الدارقطنى وكثير من أئمة الحديث ، وقوله ﷺ : « من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى » وفى رواية لأبى يعلى والدارقطنى والطبرانى والبيهقى وابن عساكر : « من حج فزارنى فى مسجدى بعد وفاتى كان كمن زارنى فى حياتى » وقد أطال الامام السبكى فى كتابه : (شفاء السقام فى زيارة خير الأنام) ذكر روايات فى أحاديث الزيارة وطرقها وبيان من صححها من الأئمة . فتلك الأحاديث كلها صريحة فى ندب زيارته ﷺ حيا وميتا ، وكذا زيارة بقية الأنبياء والصالحين والشهداء ، والزيارة شاملة للسفر لأنها تستدعى الانتقال من مكان الزائر إلى مكان المزور ، كلفظ المجىء الذى نصت عليه الآية الكريمة السابقة ، وقد صح خروجه ﷺ لزيارة قبور أصحابه بالبقيع وأحد .

ومما ورد فى فضل الزيارة من الأخبار والأحاديث قوله ﷺ : « ما من أحد يسلم علىّ إلا رد الله عَلَىَّ روحى حتى أرد عليه السلام » نسبه الحافظ الدمياطى إلى أبى داود فى سننه .

---

(١) سورة النساء آية ٦٤ .

وصدّر به أبو بكر البيقهى باب زيارة روضته ﷺ وهو اعتماد صحيح ، وقد ذكره ابن قدامه من رواية أحمد ، فإن قيل : ما معنى قوله ﷺ : « إلا ردَّ الله علىّ روحى » قلت : فيه جوابان ، أحدهما ذكره الحافظ أبو بكر البيهقى أن لمعنى « إلا ردَّ الله علىّ روحى » يعنى أنه ﷺ بعد ما مات رد الله عليه روحه لأجل سلام من يسلم عليه واستمرت فى جسده ﷺ . والثانى يحتمل أن يكون ردا معنويا وأن تكون روحه الشريفة مشتغلة بشهود الحضرة الإلهية ، والملأ الأعلى من هذا العالم ، فإذا سلم عليه أقبلت روحه الشريفة على هذا العالم فيدرك سلام من يسلم عليه ويرد عليه ، وقد ذكر العلامة الزرقانى فى شرحه على المواهب اللدنية أجوبة غير هذين .

٣ – وأما إجماع الأمة فقد قال العلامة بن حجر فى « الجوهر المنظم فى زيارة قبر النبى المكرم ﷺ » : فمن خالف مشروعية الزيارة فقد خرق الإجماع ، واحتج القائلون بوجوب الزيارة بقوله ﷺ : (من حج البيت ولم يزرنى فقد جفانى) رواه ابن عدى بسند يحتج به ، وقال : وجفاؤه ﷺ حرام ، فعدم زيارته المتضمن لجفائه حرام ، فالزيارة ومقدماتها من نحو السفر من أهم القربات وأنجح المساعى .

٤ – وأما القياس فعن جابر فى السنة الصحيحة المتفق عليها الأمر بزيارة القبور ، فقبر نبينا أولى وأحرى وأعلى ، بل لا نسبة بينه وبين غيره ، وقد ثبت أنه ﷺ زار أهل البقيع وشهداء أحد ، فقبره الشريف أولى ، لما له من الحق ووجوب التعظيم ، وليست زيارته ﷺ إلا لتعظيمه والتبرك به ، ولينال الزائر عظيم الرحمة والبركة بصلاته وسلامه عليه ﷺ عند قبره الشريف بحضرة الملائكة الحافين به ﷺ .

الرد على ابن عبد الوهاب فى أن الزيارة تؤدى إلى الشرك :

أما تخيل بعض المحرومين أن منع الزيارة أو السفر إليها من باب المحافظة على التوحيد ، وأن ذلك مما يؤدى إلى الشرك فهو تخيل باطل ، وكل عامل يعرف أن الزيارة لا تؤدى إلى محظور البتة ، وأن القائل بالمنع منها سدا للذريعة متقول على الله ورسوله ﷺ ، فمن اعتقد فى مخلوق مشاركة البارى سبحانه وتعالى فى شىء من ذلك فقد أشرك ، ومن قصر بالرسول ﷺ عن شىء من رتبته فقد كفر ، ومن بالغ فى تعظيمه ﷺ بأنواع التعظيم ــ ولم يبلغ به ما يختص بالبارى سبحانه وتعالى ــ فقد أصاب الحق وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعا ، وذلك هو القول الذى لا إفراط فيه ولا تفريط .

فمن منع زيارة روضة النبى ﷺ فقد شرّع فى دينه ما لم يأذن به الله ، وقوله مردود

عليه ، وكيف لنا نحن أن نشرع أحكاما من قبلنا ؟ ! قال تعالى : ﴿ **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله** ﴾[1] .

ولو فتحنا باب هذا الخيال الفاسد لتركنا كثيرا من السنن ، بل ومن الواجبات ، وقد أفاض العلماء فى استحباب زيارة روضته ﷺ فى كتبهم ، وعلّموا كيف نسلم عليه ﷺ ، وكيف نسلم على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، سواء كان هؤلاء العلماء من أهل الحجاز قديما وحديثا ، أو من أهل العراق قديما وحديثا ، أو من أهل الشام قديما وحديثا ، أو من أهل خراسان قديما وحديثا ، أو من أهل اليمن قديما وحديثا ، أو من أهل مصر قديمًا وحديثا .

ونذكر هنا بعض العلماء من فضلاء الحنابلة : أبو عبد الله بن بطة العكبرى المتوفى سنة ٣٨٧ هـ فى كتابه : « الأمانة » ، وأبو بكر الآجرى المتوفى سنة ٦٣٠ هـ ، وأبو الخطاب الكلوازانى فى : « الهداية » وأبو عبد الله السامرى فى : « المستوعب » ، ونجم الدين بن حمدان فى : « الرعاية الكبرى » .

يذكر بعض المفتتنين بابن عبد الوهاب حديث أبى داود « لا تجعلوا قبرى عيدا » وللرد على هؤلاء نقول : إما أن يكون المراد به الحث على كثرة زيارة قبره ﷺ ، وألا يهمل حتى لا يزار إلا فى بعض الأوقات ، كالعيد الذى لا يأتى فى العام إلا مرتين . وإما أن يكون المراد : لا تتخذوا له وقتا مخصوصا لا تكون الزيارة إلا فيه .

وزيارة قبره الشريف ليس لها يوم بعينه بل أى يوم كان ، والله أعلم بمراد نبيه ﷺ .

الرد على ابن عبد الوهاب فى إنكاره التوسل بالأنبياء والأولياء :

أما التوسل فقد صح صدوره من النبى ﷺ ، وأصحابه ، والسلف الصالح ، وخلف الأمة :

١ — أما صدوره من النبى ﷺ فقد صح فى أحاديث كثيرة ، منها أنه ﷺ كان من دعائه : « اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك » وهذا توسل لا شك فيه .

وصح فى أحاديث كثيرة أنه كان يأمر أصحابه أن يدعوا به ، قال رسول الله ﷺ : « من خرج من بيته إلى الصلاة فقال : اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك ، وأسألك

(١) سورة الشورى آية ٢١ .

بحق ممشاى هذا إليك ، فإنى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة ، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك ، فأسألك أن تعيذنى من النار ، وأن تغفر لى ذنوبى ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك » ، وذكر هذا الحديث الجلال السيوطى فى الجامع الكبير ، وابن السنى بإسناد صحيح عن بلال رضى الله عنه ، فانظر قوله ﷺ : « بحق السائلين عليك » فإنه فيه التوسل بكل عبد مؤمن .

ومما جاء عنه ﷺ من التوسل قوله ﷺ : « اغفر لأمى فاطمة بنت أسد ، ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى » . رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وابن حبان والحاكم وصححوه عن أنس بن مالك ، ورواه أبو نعيم فى الحلية ، وجلال الدين السيوطى فى الجامع الكبير .

ومن الأحاديث الصحيحة التى جاء التصريح فيها بالتوسل ما رواه الترمذى والنسائى والبيهقى والطبرانى بإسناد صحيح عن عثمان بن حنيف : « أن رجلا ضريرا أتى النبى ﷺ فقال : ادع الله أن يعافينى ، فقال : إن شئتَ دعوتُ ، وإن شئتَ صبرتَ وهو خير ، قال : فادعه ، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء : اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة ، يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربى فى حاجتى لتقضى ، اللهم شفعه فىَّ ، فعاد وقد أبصر » ففى هذا الحديث التوسل والنداء أيضا ، وخرج هذا الحديث أيضا البخارى وابن ماجة والحاكم فى المستدرك ، وذكره الجلال السيوطى فى الجامع الكبير والصغير .

٢ – أما صدور التوسل من أصحاب رسول الله ﷺ فقد روى الطبرانى والبيهقى أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه فى زمن خلافته فى حاجة ، فكان لا يلتفت إليه ولا ينظر إليه فى حاجته ، فشكا ذلك لعثمان بن حنيف ــ الراوى للحديث المذكور ــ فقال له : ائت الميضأة فتوضأ ، ثم ائت المسجد فصل ، ثم قل : « اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة ، يا محمد ، إنى أتوجه بك إلى ربك لتقضى حاجتى » وتذكر حاجتك ، فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى بباب عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فجاء البواب فأخذه بيده فأدخله على عثمان رضى الله عنه ، فأجلسه معه وقال له : اذكر حاجتك ، فذكر حاجته فقضاها ، ثم قال له : ما كان لك من حاجة فاذكرها ، ثم خرج من عنده فلقى ابن حنيف فقال له : جزاك الله خيرا ، ما كان ينظر

لحاجتى حتى كلمتَه لى ، فقال له ابن حنيف : والله ما كلمتُه ، ولكنى شهدت رسول الله ﷺ وأتاه ضرير فشكا ذهاب بصره ... إلى آخر الحديث المتقدم ، فهذا توسل ونداء بعد وفاته ﷺ ردا على ابن عبد الوهاب والمفتتنين به فى إنكارهم للتوسل بالنبى بعد انتقاله .

وروى البيهقى وابن أبى شيبة بإسناد صحيح : « أن الناس أصابهم قحط فى عهد عمر رضى الله عنه ، فجاء بلال بن الحارث رضى الله عنه ـ وكان من أصحاب النبى ﷺ ـ إلى قبر النبى ﷺ وقال : يارسول الله استسق لأمتك فإنهم هلكوا ، فأتاه رسول الله ﷺ فى المنام وأخبره أنهم يسقون » وليس الاستدلال بالرؤيا للنبى ﷺ فإن رؤياه ـ وإن كانت حقا ـ لا تثبت بها الأحكام ـ لإمكان اشتباه الكلام على الرائى ، لا الشك فى الرؤيا ـ وإنما الاستدلال بفعل الصحابى وهو بلال بن الحارث رضى الله عنه ، بإتيانه لقبر النبى ﷺ وندائه له ، وطلبه منه أن يستسقى لأمته ، دليل على أن ذلك جائز ، وهو من التوسل والتشفع والاستغاثة به ﷺ ، وذلك من أعظم القربات .

وقد توسل به ﷺ أبوه آدم عليه السلام ، قبل وجود سيدنا محمد ﷺ ، حين أكل من الشجرة التى نهاه الله عنها ، وحديث توسل آدم عليه السلام بالنبى ﷺ رواه البيهقى بإسناد صحيح فى كتابه المسمى : « دلائل النبوة » عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما اقترف آدم الخطيئة قال : يارب أسألك بحق محمد إلا ما غفرت لى ، فقال الله تعالى : يا آدم كيف عرفت محمدا ولم أخلقه ؟ قال : يارب إنك لما خلقتنى رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلاَّ أحب الخلق إليك ، فقال الله تعالى : صدقت يا آدم ، إنه لأحب الخلق إلىَّ ، وإذ سألتنى بحقه فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتُك » رواه الحاكم وصححه الطبرانى وزاد فيه : « وهو آخر الأنبياء من ذريتك » .

٣ – أما صدور التوسل من السلف الصالح فقد أشار الإمام مالك رضى الله عنه للخليفة المنصور وذلك لما حج المنصور وزار روضة النبى ﷺ سأل الإمام مالك رضى الله عنه وهو بالمسجد النبوى فقال لمالك : يا أبا عبد الله ، أستقبل القبلة وأدعو ؟ أم أستقبل رسول الله ﷺ وأدعو ؟ فقال له الإمام مالك : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى ؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك .

٤ – أما صدور التوسل فى الخلف الصالح ، فقال بعض المفسرين فى قوله تعالى : ﴿ **فتلقى آدم من ربه كلمات** ﴾[1] إن من جملة تلك الكلمات توسل آدم بالنبى ﷺ حين قال : « يارب أسألك بحرمة محمد إلا ما غفرت لى » .

والحاصل أن مذهب أهل السنة والجماعة صحة التوسل وجوازه بالنبى ﷺ فى حياته وبعد انتقاله ، وكذا بغيره من الأنبياء والمرسلين صلوات ربى وسلامه عليهم أجمعين ، وكذا الأولياء الصالحين أحياءً وأمواتا .

لأنَّنا ـ معاشر أهل السنة ـ لا نعتقد تأثيراً ولا خلقا ولا إيجاداً ولا إعداما ولا نفعا ولا ضرا إلا لله وحده لا شريك له ، وإنما يتبرك بهم لكونهم أحباء الله تعالى .

فالذين يفرقون بين الأحياء والأموات ـ فيجوزون التوسل بالأحياء دون الأموات ـ هم المعتقدون تأثير غير الله ، وهم الذين دخل الشرك فى توحيدهم ، لكونهم اعتقدوا تأثير الأحياء دون الأموات .

الرد على شبهات ابن عبد الوهاب فى إنكار التوسل :

يتوهم ابن عبد الوهاب أن بعض العامة يأتون بألفاظ توهم أنهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى ، ويطلبون من الأنبياء والأولياء أحياءً وأمواتاً أشياء جرت العادة بأنها لا تطلب إلا من الله تعالى ، ويقولون للولى : افعل كذا وكذا ، وأنهم ينسبون لهم كرامات وخوارق عادات وأحوال ومقامات ، فأراد ابن عبد الوهاب أن يمنع العامة من تلك التوسعات سدا للذريعة ، وإن كان العامة لا يعتقدون تأثيراً ولا نفعاً ولا ضرا لغير الله تعالى ، ولا يقصدون بالتوسل إلا التبرك ، ولو أسندوا للأولياء شيئاً فَإِنَّهُمْ لا يعتقدون فيهم تأثيراً .

فنقول لابن عبد الوهاب والمفتتنين به : إذا كان الأمر كذلك وقصدتم سد الذرائع ، فما الحامل لكم على تكفير الأمة عالمهم وجاهلهم ، خاصهم وعامهم ؟ وما الحامل لكم على منع التوسل مطلقا ؟ .

بل كان ينبغى لكم أن تمنعوا العامة من الألفاظ الموهمة لتأثير غير الله تعالى ، وتأمروهم بسلوك الأدب فى التوسل ، مع أن تلك الألفاظ الموهمة يمكن حملها على المجاز من غير احتياج إلى التكفير للمسلمين ، وذلك المجاز مجاز عقلى شائع ومعروف عند أهل

(١) سورة البقرة آية ٣٧ .

العلم ، واستعماله على ألسنة جميع المسلمين وارد فى الكتاب والسنة ، وعليه محمول قول القائل : هذا الطعام أشبعنى ، وهذا الماء أروانى ، وهذا الدواء شفانى ، وهذا الطبيب نفعنى ، فكل ذلك عند أهل السنة محمول على المجاز العقلى ، فإن الطعام لا يشبع حقيقة والمشبع حقيقة هو الله تعالى ، والطعام سبب عادى ، فإسناد الشبع له مجاز عقلى ، والطعام سبب عادى لا تأثير له ، وهكذا بقية الأمثلة .

أما منع التوسل مطلقا فلا وجه له ــ مع ثبوته فى الأحاديث الصحيحة ، وصدوره من النبى ﷺ وأصحابه والسلف الصالح ، والخلف الصالح ــ فهؤلاء المنكرون للتوسل ، المانعون منه ، كل ذلك باطل لأنه يؤدى إلى اجتماع معظم الأمة على ضلالة . فاللائق بهؤلاء المنكرين ــ إذا أرادوا سد الذريعة ومنع الناس من الألفاظ الموهمة لتأثير غير الله تعالى ــ أن يقولوا : ينبغى أن يكون التوسل بالأدب بالألفاظ التى ليس فيها إيهام ، كأن يقول المتوسل : اللهم إنى أسألك وأتوسل إليك بنبيك ﷺ وبالأنبياء قبله وبعباده الصالحين أن تفعل بى كذا وكذا . لا أنهم يمنعون من التوسل ، ولا أن يتجاسروا على تكفير المسلمين الموحدين ، الذين لا يعتقدون التأثير إلا لله وحده ، لا شريك له .

مناظرات خصوم ابن عبد الوهاب معه :

كان الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ــ شقيق ابن عبد الوهاب ــ ينكِرُ عليه إنكاراً شديداً فى كل ما يفعله أو يأمر به ، ولم يتبعه فى شىء مما ابتدعه وجرت مناظرة بينهما :

الشيخ سليمان : كم أركان الإسلام ؟ .

ابن عبد الوهاب : خمسة أركان .

الشيخ سليمان : أنت جعلتها ستة ، السادس : من لم يتبعك فليس بمسلم ، هذا عندك ركن سادس للإسلام .

ولما طال النزاع بينه وبين أخيه ، خاف أخوه أن يبادر بقتله فارتحل ، وألّف رسالته : « الصواعق الإلهية فى الرد على الوهابية » وأرسلها إليه فلم ينته .

وقال له شيخه بمكة المكرمة ــ الشيخ المحدِّث محمد حياة السندى شيخ الطريقة الشاذلية بمكة المكرمة ــ :

الشيخ السندى : كم يعتق الله كل ليلة فى رمضان يا ابن عبد الوهاب ؟ .

ابن عبد الوهاب : يعتق فى كل ليلة مائة ألف ، وفى آخر ليلة يعتق مثل ما أعتق فى الشهر كله .

الشيخ السندى : لم يبلغ من اتبعك عشر عشر ما ذكرت من هؤلاء المسلمين الذين يعتقهم الله تعالى ، وقد حصرت المسلمين فيك ومن اتبعك .

فبهت ولم يجب .

وقد ألف الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق كتابه : « تهكم المقلدين ممن ادعى تجديد الدين » رد عليه وسأله بعض المسائل فعجز عنها وجرت بينه وبين ابن عبد الوهاب المناظرة التالية :

ابن عفالق : يا ابن عبد الوهاب ، هذا الدين الذى جئت به متصل أم منفصل ؟ .
ابن عبد الوهاب : حتى مشايخى إلى ستمائة سنة كلهم مشركون .
ابن عفالق : إذن دينك منفصل لامتصل فعمن أخذته ؟ :
ابن عبد الوهاب :وحى وإلهام كالخضر .
ابن عفالق :إذن ليس ذلك محصورا فيك ، كل أحد يمكنه أن يدعى وحى الإلهام الذى تدعيه .
فلم يحر جوابا لذلك .
ابن عفالق : إن التوسل مجمع عليه عند أهل السنة ، فلا وجه لك فى التكفير أصلاً .
ابن عبد الوهاب :إن عمر استسقى بالعباس فلم لم يستسق بالنبى ﷺ ؟ .
ابن عفالق :هذا حجة عليك ، فإن استسقاء عمر بالعباس إنما كان لإعلام الناس بصحة الاستسقاء والتوسل بغير النبى ﷺ ، وكيف تحتج باستسقاء عمر بالعباس وعمر هو الذى روى حديث توسل آدم بالنبى ﷺ قبل أن يخلق ؟ ! .
فبهت وتحير .

المفتونون بابن عبد الوهاب يشبهونه برسول الله ﷺ :

الشيخ أحمد بن حجر آل أبو طامى قاضى المحكمة الشرعية بقطر يجعل ابن عبد الوهاب كالرسول ﷺ فى كتابه : « الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، عقيدته ودعوته » وقدم لهذا وصححه الشيخ عبد العزيز بن باز ــ من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ودار الاعتصام بالقاهرة ــ ص ٧١ :

١ – عصر الرسول كان عصرا قد بلغ من فساد العقائد والأخلاق مبلغا عظيما ، فالأصنام كانت تعبد من دون الله فى المسجد الحرام عند الكعبة ، وقصارى ما يقال فى هذا العصر : إنه عصر انتحار الفضائل الإنسانية الكبرى والمعانى السامية العليا .

وكان عصر ابن عبد الوهاب شبيها بذلك العصر ، بما كانوا فيه من جاهلية مطلقة ، كما كانوا غارقين في أودية الجهالة والرذيلة والوثنية المسبوكة فى قالب حب الصالحين ، وأوجز ما يقال فيه : إنه عصر انتحار الفضائل الإنسانية والمعانى الرفيعة ، يضاف إليه محو الدين ، والخضوع لسلطان الخرافات والبدع .

٢ – بعث الله محمدا ﷺ بعد فترة من الرسل وكانت الإنسانية بما أصابها فى مقاتلها تنتظر وتتعطش إلى هذه البعثة الكريمة ، وجاء ابن عبد الوهاب فى وقت كانت جزيرة العرب فى أمس الحاجة إلى مصلح يعالجها من أمراضها القاتلة .

٣ – كما وفّق نبينا فى الدعوة إلى الله وتوحيده ، ونبذ الشرك وتهجينه ، وفّق ابن عبد الوهاب فى تجديد الدين من كل شائبة وباطل .

٤ – لم يطب المقام للرسول ﷺ بمكة التى ولد فيها بإيذاء قريش له وتسلطهم عليه بالسوء والأذى حتى أجمعوا أخيرا على قتله ، فهاجر إلى المدينة ووجد من الأنصار عونا ، وكذلك الشيخ قد تآمر مماليك بلده – الذى ولد فيه – على قتله ، ولقى من أهله الأذى والتنكيل ، ففر بدينه وعقيدته إلى الدرعية ، ولقى فيها محبين كانوا عونا له .

٥ – كما حدث للرسول ﷺ فى طريقه للمدينة وهو مهاجر ، أن تبعه سراقة بن مالك ، طمعا فى جُعْل قريش ، ولما أدرك النبى ساخت قوائم فرسه فى الأرض ، كذلك قد جرى لابن عبد الوهاب ، فقد وكل به أمير العيينة عثمان بن معمر – عندما أمر بمغادرة الشيخ للبلاد – فارسا حتى إذا رام أن يقتله ، واستل سيفه ، وإذا بيده القوية تتهالك فيسقط منها .

٦ – وكان ابن عبد الوهاب يعرض نفسه على القبائل والبطون ، فمن ناصره ومجيره ، إلى خاذله ومحاربه ، كما كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل ، فينصره بعضها ، ويخذله بعضها ويهزأ به بعضها ، وينالـه بعضها بما يكره .

٧ – ومثل ما اعترض حياة الرسول الكريم الخطر والهلاك ، اعترضت حياة ابن عبد الوهاب الويلات والكوارث .

٨ – وكما كان الرسول يغزو بنفسه ويزج بها فى المعارك والميدان ، وإذا احتدم القتال يقوى قلوب صحابته الكرام ويعززهم ويذكرهم ، ويدعو الله لهم ، كان ابن عبد الوهاب يغزو بنفسه مع محمد بن سعود .

٩ – وكان محمد عليه الصلاة والسلام يرسل الرسل للملوك يدعوهم إلى الهدى ودين التوحيد ، ويرسل السرايا للغزو إن أعلنوا الحرب على الدعوة ، وكان ابن عبد الوهاب يفعل أيضاً .

١٠ – وكما ابتلى الرسول بأعداء أقوياء لدد فى الخصومة ، ويتهمونه بالسحر والكذب ، حتى أن أقرب ذوى قرباه كانوا فى حيرة من أمره ، حتى أن عمه أبا لهب كان لا يرضى عنه وخاصمه وسفه حلمه ، ولم يأل جهدا فى تأليب الناس عليه ؛ ابتلى ابن عبد الوهاب أيضا بخصوم أشداء ، نصبوا له الحبائل ، ورشقوه بالسهام ولكنها كانت تطيش ، وكان ينجو بفضل الله ، حتى أخوه سليمان كان عدوا لدودا ، طعنه طعنات وانضم إلى صفوف المناوئين ، لا يتورع عن شتمه ونقد آرائه ودعوته وطريقته نقدا لاذعا .

ولولا بقية قليلة من الحياء عند هؤلاء المفتتنين لاستمرت المقارنة الضالة لتقول : إن محمد بن عبد الوهاب كان ينزل عليه وحى من السماء ، وأنه أسرى به إلى السموات العلا ، وشق له القمر ، وتفجر الماء من بين يديه ، وأنه كان يخاطب الحيوان والطير فى صحراء نجد ، أو أنه أيضا كان يُسمع تسبيح الرمل بين يديه .

لقد انطوى ادعاء النبوة فى ثنايا فكره وفى رؤوس أتباعه ، ولولا الخوف من المسلمين لتغير التلميح إلى التصريح .

العلماء الرادُّون على ابن عبد الوهاب :

وقد رد على ابن عبد الوهاب علماء كثيرون معاصرون له ومتأخرون ، ولا زالت سهام الرد من علماء الإسلام فى المشارق والمغارب مسددة إليه إلى وقتنا هذا ، ولولا أن دور النشر فى وطننا العربى تشكو من القحط لنشرت هذه المؤلفات التى ردَّت على ابن عبد الوهاب ، ولما ولَّت وجوهها قبل شيوخ النفط ابتغاء فقه الريال لافقه الرجال .

فمن الرادين عليه والناصحين له :

١ – شيخه محمد بن سليمان الكردى الشافعى بتقريظ رسالة أخيه سليمان بن عبد الوهاب .

٢ – ورد عليه شيخه العلامة عبد الله بن عبد اللطيف الشافعى بكتاب سماه : « تجريد سيف الجهاد لمدعى الاجتهاد » .

٣ – ورد عليه العلامة عفيف الدين عبد الله بن داود الحنبلى بكتاب سماه : « الصواعق والرعود » .

٤ – ورد عليه العلامة المحقق محمد بن عبد الرحمن بن عفالق الحنبلى بكتاب عظيم سماه : « تهكم المقلدين لمن ادعى تجديد الدين » .

٥ – ورد عليه العلامة أحمد بن على القبانى البصرى الشافعى برسالة فى نحو عشرة كراسات .

٦ – ورد عليه العلامة عبد الوهاب بن أحمد بركات الشافعى المكى .

٧ – ورد عليه الشيخ عطاء المكى برسالة سماها : « الصارم الهندى فى عنق النجدى » .

٨ – ورد عليه الشيخ عبد الله بن عيسى المويسى .

٩ – ورد عليه الشيخ أحمد المصرى الأحسائى .

١٠ – ورد عليه عالم من بيت المقدس بكتاب سماه : « السيوف الصقال فى أعناق من أنكر على الأولياء بعد الانتقال » .

١١ – ورد عليه السيد علوى بن أحمد الحداد بكتاب سماه : « السيف الباتر لعنق المنكر على الأكابر » فى نحو مائة ورقة .

١٢ – ورد عليه الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن عبد اللطيف الأحسائى .

١٣ – ورد عليه العلامة عبد الله بن إبراهيم ميرغنى الساكن بالطائف سماه : « تحريض الأغبياء على إنكار الاستغاثة بالأنبياء والأولياء » .

١٤ – قال السيد علوى بن أحمد الحداد : قد رأيت أمام مقام إبراهيم بمكة الشيخ محمدا صالحا الزمزمى الشافعى ، جمع كتابا فى هذا المعنى فى نحو عشرين كراسا .

١٥ – وقال السيد المذكور أيضاً : ورأيت لما وصلنا الطائف العلامة طاهر استبلا الحنفى ألّف كتابا فى ذلك سماه : « الانتصار للأولياء الأبرار » .

١٦ – وقال السيد المذكور أيضا : رأيت جوابات للعلماء الأكابر من المذاهب الأربعة لا يحصون من أهل الحرمين الشريفين والأحساء والبصرة وبغداد وحلب واليمن وبلدان الإسلام نثرا ونظما ، أتى إلىّ بمجموع رجل من آل بن عبد الرازق الحنابلة

الذين فى الزبّارة والبحرين فيه رد علماء كثيرين ، ونحن على ظهر سفر فلم يمكنى نقله فطالعته كله .

١٧ – وقال السيد المذكور أيضاً : وأتى إلينا الشيخ المحدثى صالح الفلّانى المغربى بكتاب ضخم فيه رسالات وجوابات كلها من العلماء أهل المذاهب الأربعة الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة ، يردون على محمد بن عبد الوهاب ، وقد أمرنا بنسخ هذا المجلد لنا .

١٨ – ورد عليه العلامة السيد المنعمى لما قتل بن عبد الوهاب جماعة لم يحلقوا رؤوسهم بقصيدة طنانة مطلعها :

أفى حلق رأسى بالسكاكين والحد حديث صحيح بالأسانيد عن جدى ؟ !

١٩ – ورد عليه العلامة السيد عبد الرحمن من أكابر علماء الأحساء بقصيدة طنانة عدد أبياتها سبع وستون مطلعها :

بدت فتنة كالليل قد غطت الأفقا وشاعت فكادت تبلغ الغرب والشرقا

٢٠ – ورد عليه العلامة السيد علوى بن الحداد بكتاب سماه : « مصباح الأنام وجلاء الظلام فى رد شبه البدعى النجدى التى أضل بها العوام » ـ وهو مطبوع بالمطبعة العامرة سنة ١٣٥٢ هـ وما تقدم من التآليف مذكور فيه .

٢١ – ورد أخوه سليمان بن عبد الوهاب عليه بكتابه : « الصواعق الإلهية فى الرد على الوهابية » ـ مطبوع .

٢٢ – ورد العلامة المحقق شيخ الإسلام بتونس إسماعيل التميمى المالكى المتوفى سنة ١٢٤٨ هـ فى غاية التحقيق والإحكام ، نقض به رسالة لابن عبد الوهاب ـ مطبوع فى تونس .

٢٣ – ورد العلامة المحقق الشيخ صالح الكواش التونسى ، وهو رسالة مسجعة محكمة نقض بها رسالة لابن عبد الوهاب . مطبوع ضمن سعادة الدارين فى الرد على الفرقتين .

٢٤ – ورد العلامة المحقق السيد داود البغدادى الحنفى ، جيد ـ مطبوع .

٢٥ – ورد الشيخ ابن غلبون الليبى على قصيدة الصنعانى ـ التى مدح بها ابن عبد الوهاب ـ بقصيدة طنانة من بحرها ورويها مذكورة فى سعادة الدارين عدد أبياتها أربعون بيتا مطلعها :

سلامى على أهل الإصابة والرشد وليس على نجد ومن حل فى نجد

٢٦ – ورد السيد مصطفى المصرى البولاق أيضا على قصيدة الصنعانى ـ التى مدح بها ابن عبد الوهاب ـ بقصيدة طنانة من بحرها ورويها مذكورة فى سعادة الدارين عدد أبياتها مائة وستة وعشرون مطلعها :

بحمد ولى الحمد لا الذم أستبدى وبالحق لا بالخلق للحق أستهدى

٢٧ – ورد السيد الطباطبائى البصرى أيضا على قصيدة الصنعانى ـ التى مدح بها ابن عبد الوهاب ـ بقصيدة طنانة من بحرها ورويها ، ذكر صاحب الدارين أبياتا منها ، وسهام هذه القصائد الصائبة هى التى أرجعت الصنعانى إلى كتيبة أهل الحق فقال : « رجعت عن القول الذى قلت فى النجدى » .

٢٨ – « سعادة الدارين فى الرد على الفرقتين الوهابية ومقلدة الظاهرية » للعلامة الشيخ السمانودى المنصورى ـ وهو مطبوع فى مجلدين .

٢٩ – رد مفتى مكة السيد أحمد بن زينى دحلان المتوفى سنة ١٣٠٤ هـ المسمى : « الدرر السنية فى الرد على الوهابية » مطبوع .

٣٠ – رد الشيخ يوسف النبهانى المسمى : « شواهد الحق فى التوسل بسيد الخلق » ـ مطبوع فى مجلد .

٣١ – رد جميل صدقى الزهاوى البغدادى المسمى : « الفجر الصادق » مطبوع .

٣٢ – « إظهار الحقوق ممن منع التوسل بالنبى والولى الصدوق » للشيخ المشرفى المالكى الجزائرى .

٣٣ – ألَّف العلامة المرحوم مفتى فاس الشيخ المهدى الوزَّانى رسالة فى جواز التوسل ، ردًّ بها على محمد عبده الذى منع ذلك .

٣٤ – رد الشيخ مصطفى الحمامى المصرى المسمى : « غوث العباد ببيان الرشاد » ـ مطبوع .

٣٥ – رد الشيخ إبراهيم حلمى القادرى الإسكندرى المسمى : « جلال الحق فى كشف أحوال أشرار الخلق » جيد ، مطبوع فى الإسكندرية سنة ١٣٥٥ هـ .

٣٦ – رد العلامة الشيخ سلامة العزامى المتوفى سنة ١٣٧٩ هـ المسمى : « البراهين

الساطعة » جيد ـ مطبوع .

٣٧ – « النقول الشرعية فى الرد على الوهابية » للشيخ حسن الشطى الحنبلى الدمشقى ـ مطبوع .

٣٨ – رسالة له أيضا فى تأييد مذهب الصوفية والرد على المعترضين عليهم ـ مطبوع .

٣٩ – رسالة فى حكم التوسل بالأنبياء والأولياء للشيخ محمد حسنين مخلوف ـ مطبوعة .

٤٠ – « المقالات الوفية فى الرد على الوهابية » للشيخ حسن خزبك ـ مطبوع .

٤١ – « الأقوال المرضية فى الرد على الوهابية » رسالة صغيرة للشيخ عطا الكسم الدمشقى

وردود أهل السنة عليهم نظيفة ، خالية من السب والتكفير ، عكس ردودهم فإنها مملوءة بذلك .

وقد رأيتُ قصيدة لرجل منهم يقال له ابن سحمان ، مات قريبا هجا الشيخ إبراهيم بن الشيخ عبد اللطيف المبارك التميمى المالكى الأحسائى ، منتصرا لصديق حسن خان الكنوجى ، ولا يستغرب منهم هذا ، فإنها البضاعة التى ورثوها من إمامهم الحرانى لا بد لهم منها لسد الفراغ ، ولا يلجأ إليها إلا من يُعْوِزُه العقل والعلم ووقاره .

٤٢ – وقد رد عليه بقصيدة طنانة من بحرها ورويها العلامة الشيخ عبد العزيز القرشى العلجى المالكى ، عدة أبياتها خمسة وتسعون ومطلعها :

ألا أيها الشيخ الذى بالهدى رمى ستُرجع بالتوفيق حظا ومغنما
ومن يك مسعاه النفيس لربه سعى النصر فى مسعاه أيان يمما

هل مزاعم ابن عبد الوهاب صادقة ؟ :

فمن المحال صدق ابن عبد الوهاب فى زعمه أن الأمة الإسلامية كفرت منذ ستمائة سنة ، ونبينا محمد ﷺ يقول : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة » .

ومن المحال صدق ابن عبد الوهاب فى حصره هذه الطائفة عليه ومقلديه ، وسيدنا محمد رسول الله لم يقيد لهذه الطائفة زمانا ولا مكانا وأناسا .

ومن المحال صدق ابن عبد الوهاب ومقلديه فى قولهم : إن مكة دار شرك لا حرمة لها حتى يفتحوها هم ، والرسول ﷺ يقول : « إن مكة دار إسلام إلى قيام الساعة » .

ومن المحال صدق ابن عبد الوهاب ومقلديه فى تنقيبهم عن قلوب المسلمين المتوسلين برسول الله ﷺ والصالحين من أمتة ، فيعلموا أنهم عبدوا المتوسل به من دون الله ، فيحكموا عليهم بالشرك والكفر ، والرسول ﷺ يقول : « إنى لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس » .

ومن المحال صدق ابن عبد الوهاب ومقلديه فى زعمهم أن التوسل بالأنبياء والصالحين شرك ، والرسول توسل بالأنبياء قبله ، وأمر بالتوسل به والسائلين على الله .

الفصـــل الســـادس

المودودى مجدد فكر الخوارج فى القرن الرابع عشر الهجرى

نشأة المودودى وحياته :

هو أبو الأعلى بن سيد بن أحمد بن حسن بن مودود الشهير « بأبى الأعلى المودودى » ، ولو أن اسمه يعتبر ـ وفقا للفكر الوهابى ـ اسما شركيًّا ، وكان يتعين على الوهابية أن تطلق عليه : « عبد الأعلى المودودى » لا : أبو الأعلى ، أسوة بما قامت به من تغيير أسماء : « عبد النبى » « عبد الرسول » إلى « عبد رب النبى » و « عبد رب الرسول » لكنها سكتت بالنسبة لأبى الأعلى المودودى لأنه امتداد لفكرها .

ولد المودودى سنة ١٣٢١هـ ـ ١٩٠٣ م فى أورنك أباد الدكن ، بمقاطعة حيدرأباد ، وبعد مولده بسنة واحدة داهم والده مرض الشلل والفالج ، وأبقاه قعيد الفراش ، فعاش حياة صعبة نتيجة لمرض والده ، فلم يكمل دراسته الجامعية ، واكتفى بدراسته الثانوية من التعليم المدنى ، لاضطراره إلى العمل ، فاشتغل بالصحافة وجعلها وسيلة لمعيشته ، فعمل بمجلة « تاج » و « همدرد » واصطحب كاتبا من كبار ملاحدة الكتاب وهو : « نياز فتح بورى » وقد تأثر إلى حد كبير من صحبته (راجع كتاب المودودى وشىء من حياته وأفكاره . لشيخ الحديث ومدير المدرسة العربية الإسلامية الشيخ محمد يوسف البنورى ص ٦) فأصدر جريدة : ترجمان القرآن .

وفى سنة ١٣٦٠ هـ ـ ١٩٤٢ م أسس إدارة باسم : الجماعة الإسلامية ، وظهرت بعض تآليفه فانكب الشباب على أبحاثه ، واعتقدوا فضله ونبله ، واشتهر صيته ، فنصب نفسه إماما لهذه الجماعات الإسلامية ، واختار أربعة شخصيات كأمراء للجماعة هم : أمير الجماعة الشيخ محمد منظور النعمانى ، وأمير الجماعة الشيخ أبو الحسن الندوى اللكنوى ، وأمير الجماعة الشيخ أمين حسن الإصلاحى ، وأمير الجماعة الشيخ مسعود عالم الندوى (راجع كتاب المودودى ونتاج بحوثه وأفكاره . الطبعة الثانية التى أصدرتها دار الاعتصام بالقاهرة ص ٨) .

المودودى لا يعرف العربية لا نطقاً ولا كتابة : .

لم يتلق المودودى العلوم الشرعية من أهلها ، ولم يعرف اللغة العربية ــ لا نطقا ولا كتابة ــ ولم يصحب أرباب الكمال الراسخين فى العلم ، بل اصطحب فى حياته الكاتب الملحد « نياز فتح بورى » وقضى حياته فى جولات وأسفار بحثا عن لقمة العيش ، فكان كاتبا صحفيا فى الجرائد والمجلات باللغة الأردية .

وللقارىء المسلم فى وطننا العربى أن يسأل : كيف غزت مؤلفات المودودى العديدة الأسواق العربية ، وهو لا يعرف اللغة العربية لا خطابة ولا كتابة ؟ ! .

نقول : إن كل ما ظهر من تآليفه بالعربية فهو مترجم من الأردية بقلم الشيخ مسعود عالم الندوى ، الذى ظل أسيرا للجماعات الإسلامية تحت إمرة المودودى ــ بعد استقالة زملائه الأمراء الثلاثة السابق بيانهم آنفا ــ وهذا المترجم تكفل برفع الأفكار الخبيثة للمودودى فى الترجمات العربية ، وبذلك جاءت كل رسائله بالعربية من هذا القبيل منقحة ومغايرة للأصل الأردى ، وإن كان مكتوبا عليها تأليف المودودى دعاية وادعاء .

وظن القوم ــ وخصوصا شيوخ الوهابية ــ أنه نفسه ألَّف هذه الكتب بالعربية ، ولولا أن هذا الزيغ والضلال يلقى هوى عند شيوخ الوهابية لصودرت كتبه ، ولما تكفلت وسائل الإعلام بإظهاره بهذه الصورة التى فاقت حد الخيال ، شأنه فى ذلك شأن المتعالم المستحدث : « ناصر الألبانى » الذى أمضى حياته فى العمل لإصلاح الساعات ، دون أن يتلقى العلم فى مدرسة أو جامعة بدمشق .

الأمانة العلمية فى الترجمة تقتضى كشف أفكار المودودى الخبيثة :

إن الإسلام يفرض على علماء الأمة الإسلامية صيانة سياج الدين من كل زيغ وتحريف ، والمسئولية على عاتقهم دون سواهم ، وكم كنت أتمنى أن تقوم بهذا الأمر جامعة الأزهر ، أو مجمع البحوث الإسلامية ، أو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ولكن خاب الرجاء وانقطع الأمل ، فاضطررنا إلى القيام بهذا الأمر وتحتم علينا هذا الغرض ، حيث أن محبة الإسلام وما تقتضيه هذه المحبة ، أقوى من محبة رجل أرداه قلمه وتفكيره فى مهاو بعيدة عن الحق ، والدفاع عن الدين أهم من كل شىء ، وإنى أعتقد أن ما ذكرته ربما يغضب كثيرا من الناس ــ لا سيما الذين غرهم سمته ــ .

وإنى على يقين أن كل مسلم لو علم ما فى تآليفه بالأردية من الطامات والبعد عن الحق ، والطعن على نبينا ﷺ وسائر الأنبياء عليهم السلام ، والصحابة رضوان الله عليهم ، والتحريف فى مصطلحات الشريعة وآيات القرآن والازدراء بالسلف الصالح ، لو عرف كل مسلم ذلك ، لكان أول الناس براءة من إجلال المودودى وتوقيره ، وأول الناس إنكارا على عقائده .

وللاطلاع على عقائد وآراء المودودى المنحرفة ننصح كل مسلم بمطالعة الكتب الآتية :

١ - كتاب : « دعاة لا قضاة » للمستشار حسن الهضيبى ـ مرشد الإخوان المسلمين الأسبق ـ فقد ورد فى النصف الأول من كتابه الرد على آراء المودودى الباطلة صراحة ، التى تسببت فى الاغتيالات والإرهاب فى مصر وغيرها من البلاد العربية .

٢ - كتاب « المودودى ما له وما عليه » للإمام المحدث العلامة الكبير الشيخ محمد زكريا الكاندهلوى الصديقى ، طبعة دار الاعتصام بالقاهرة .

٣ - كتاب : « التفسير السياسى للإسلام » للسيد أبى الحسن على الحسنى الندوى ، وقد كشف فى هذا الكتاب كثيرا من زيغ وضلال المودودى .

٤ - كتاب : « المودودى وآراؤه وأفكاره » للمحدث العلامة السيد محمد يوسف البنورى ، وقد نقل الكاتب كل أفكار المودودى من كتبه باللغة الأردية ، وبين ترجمتها الصحيحة للعربية ، التى تثبت خبث مقاصده .

علماء الهند وباكستان يحذرون من ضلال المودودى وزيغه :

سرعان ما تنبه أهل العلم وأرباب الفضل والكمال إلى مغامز فى ثنايا كتاباته ومقالاته ، وإلى شذوذ آرائه وأفكاره ، وتفرس أرباب القلوب الزكية والأفكار النقية إلى عواقب خطره فيما يقوله وما يدسه من أفكار فيما كتبه ، وممن قام بالرد على كتاباته المحقق الشيخ : « مناظر أحسن الكيلانى » فكتب فى الرد عليه مقالة فى جريدة : « صدق جديد » التى تصدر تحت إشراف : « عبد الماجد دريا ايادى » بعنوان : « الخارجية الجديدة » ، ثم تنبه صاحب جريدة : « صدق جديد » فقام بالرد عليه . ثم رد عليه أيضا المغفور له الشيخ سليمان الندوى . ثم رد عليه شيخ الحديث بدار العلوم الشيخ حسين أحمد المدنى .

واستقال اثنان من إمارة : « الجماعات الإسلامية » التى أسسها المودودى وهما : الشيخ محمد منظور النعمانى ، والشيخ أبو الحسن الندوى اللكنوى . والثالث منهم الشيخ أمين أحسن الإصلاحى ـ الذى انزوى بعد برهة من إمارة « الجماعات الإسلامية » بعد ما رأى من عقيدة الندوى التى لا يستطاع السكوت عن كشفها للشباب المسلم ـ أما الرابع وهو الشيخ مسعود عالم الندوى ، فقد توفى دون أن يعلن توبته من أفكار المودودى ، سامحه الله بفضله « راجع المرجع السابق ص ١٠ » .

فى ٢٧ شوال ١٣٧٠ هـ الموافق ١٩٥١/٨/١ م إتخذ أكابر علماء الدين فى دهلى فى مكتب : « جمعية العلماء » هذا القرار : « إن مطالعة تآليف المودودى وحزبه « الجماعات الإسلامية » يجعل الناس فى حرية من اتباع أئمة الدين ، وأن لا يبقى لهم صلة بهم ، وهذا مما يهلك العامة ويضلهم ضلالا ، ووسيلة لانتقاص صلة المسلمين بصحابة رسول الله ﷺ والسلف الصالحين ، وإن كثيرا من تحقيقاته وأفكاره الخاطئة إذا اتخذها الناس تكون وسيلة لفتنة وإحداث فى الدين ، وبدعة فى الإسلام بيقين ، وهذا غاية الضرر للإسلام والمسلمين ، فنحن نقول بكل صراحة : إن كل حركة تحوى أمورا مثل هذه خطأ وتضر المسلمين ، ونعلن براءتنا من هذه الجماعات الإسلامية ومن هذه الحركة المودودية » وقع على هذا القرار أكبر علماء الهند وعلماء باكستان .

كما أصدر مركز الفتاوى فى الهند ورئاسة دار الإفتاء فى دار العلوم فى ديوبند الفتوى التالية بشأن المودودى وحزبه « الجماعة الإسلامية » :

(يجب على المسلمين أن يتجنبوا الجماعة الإسلامية ، وإن المشاركة فيها سم قاتل وعلى المسلمين أن يكفوا الناس عن المشاركة فيها كى لا يضلوا ، وضرر الجماعة أكبر من نفعها ، فلا يحل شرعا المساهمة فيها ، وكل من أيدها وأعانها بالنشر والإشاعة يكون آثما ، ويكون داعيا للإثم والمعصية بدل أن يكون مثابا ، ومن كان منهم إماما تكره الصلاة وراءه) راجع كتاب المودودى وشيء من حياته وأفكاره للشيخ محمد يوسف البنورى ص ٤٨ ، ٤٩ .

نماذج من زيغ وضلال المودودى

(١) اتهامه للرسول ﷺ بمخالفة القرآن :

يقول المودودى فى مقدمة كتابه : « قرآن كى جار بنيادى اصطلاحين » ص ١٠ ما ترجمته إلى العربية : إن مصطلحات القرآن أربعة ، من عرفها عرف القرآن ، ومن لم

يعرفها لم يعرف القرآن ولم يعرف التوحيد ، ولم يعرف العبادة لله وحده ، ألا وهى : الإله ، الرب ، العبادة ، الدين .

فمن خفيت عليه هذه المصطلحات ، خفى عليه فهم القرآن ، وإن كان مؤمنا . ولذلك خفى عن الناس ثلاثة أرباع الدين ، بل خفيت عليهم روح الإسلام الحقيقية .

وفى ختام رسالته فى ص ١٥٦ يقول : « إن الله سبحانه وتعالى أمر النبى ﷺ فى سورة النصر بأن يستغفر ربه لتقصير فى فرائض نبوته » ولفظه بالأردية بكل دقة وأمانة :

اور اس ذات سے درخواست کرو کہ مالک : اس ۲۳ سال کے زمانہ خدمت میں اپنے فرائض ادا کرنے میں جو خامیاں اور کوتاہیاں مجھ سے سرزد ہوگئی ہوں انہیں معاف فرمادے -

”قرآن کی چار بنیادی اصطلاحیں“ ص ١٥٦ ، تصنیف مودودی

والعياذ بالله ، فإنا لله وإنا إليه راجعون

والرد على اتهام الرسول ﷺ بمخالفة القرآن فى قوله تعالى : (**واستغفر لذنبك**)[1] . أن المودودى يفهم فى عقله السقيم ، أنه لا استغفار إلا من أهل الذنوب ، وأن الرسول ﷺ كان مذنبا مقصرا فى أداء رسالته ، ولذلك أمره المولى بالاستغفار ، ولا يدرى هذا الجاهل المتعالم ، أن هناك محامل لاستغفاره ﷺ ، فهو ﷺ كان إذا سلَّم وفرغ من صلاته يقول : « أستغفر الله » ، فهل الصلاة كانت ذنبا يستغفر الرسول ﷺ ربه منها ؟ فأين التقصير فى أداء فريضة النبوة ؟ وأين النقص فى أعباء الرسالة ؟! فالمودودى يكشف بقلمه عن مكنون قلبه ومعتقده ، فإن الإناء ينضح بما فيه .

(٢) اتهام الأنبياء بأنهم كلهم عصاة :

المودودى كان ينتهز كل فرصة لإظهار ما فى قلبه ، ومعتقده أن كل الأنبياء خطاءون مذنبون لا عصمة لهم ، وذلك يظهر من كل كتاباته ، وبمثل ذلك يكون كلامه قدحا فى

---

(١) سورة غافر آية ٥٥ .

منصب النبوة ، يتزعزع به أساس الدين ، ويعتقد أن الرسول ﷺ بشر كسائر البشر يخطيء ويصيب ، ويطيع ويعصى ، ولا يكون معصوما ، ومن طالع كتبه ومقالاته يجد فيها هذا الوضر .

والصحابة رضوان الله عليهم يتهمهم بأن فيهم من أمراض الجاهلية فلم تتزك نفوسهم ، وبذلك الفكر الذى أتى به المودودى ارتفع الأمان من الدين ، فعمن نأخذ الدين ؟ ! إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٣) إهانته لنبى الله موسى عليه السلام :

يقول المودودى فى كتابه : « رسائل ومسائل » الجزء الأول ص ٣١ : إن موسى قد ارتكب ذنبا كبيرا جدا بقتله إنسانا . وإليك لفظ قول المودودى بالأردية بكل دقة وأمانة :

"نبی ہونے سے پہلے تو حضرت موسیٰ علیہ السلام سے بھی ایک بہت بڑا گناہ ہو گیا تھا کہ انہوں نے ایک انسان کو قتل کر دیا" (نعوذ باللہ) (رسائل و مسائل حصہ اول ص ۳۱، طبع دوم)

ولو كان المودودى من أهل العلم لعرف أن سيدنا موسى عليه السلام قتل كافرا ولم يقتل مؤمنا ، وقديما قالوا : لا تأخذ العلم من صحفى ، ولا القرآن من مصحفي .

(٤) إهانته لنبى الله يوسف عليه السلام :

ويقول المودودى فى كتابه : « تفهيمات » ص ١٢٢ : إن سيدنا يوسف لم يكن وزيرا للمالية فقط بل كان دكتاتورا ، ونتيجة لذلك كان يوسف يشبه جدا موسيلينى فى إيطاليا . ولفظ قوله هذا بالأردية بكل دقة وأمانة :

"یہ محض وزیر مالیات کے منصب کا مطالبہ نہیں تھا، جیسا کہ بعض لوگ سمجھتے ہیں، بلکہ یہ ڈکٹیٹرشپ کا مطالبہ تھا اور اس کے نتیجے میں سیدنا یوسف علیہ السلام کو جو پوزیشن حاصل ہوئی وہ قریب قریب وہی پوزیشن تھی جو اس وقت اٹلی میں مسولینی کو حاصل ہے" (بحوالہ تفہیمات ص ۱۲۲، طبع چہارم)

فكيف يشبه المودودى سيدنا يوسف عليه السلام برجل كافر من أظلم خلق الله وهو موسيلينى ، فتعالى الله عن أن يبعث نبيا ظالما لخلقه ، والأنبياء جميعا محل اصطفاء المولى

سبحانه وتعالى .

(٥) إهانته لنبى الله يونس عليه السلام :

يقول المودودى فى كتابه : « تفهيم القرآن » الجزء الثانى بحاشيته ص ٣١٢ : إن سيدنا يونس قد صدر منه بعض التقصير فى تبليغ رسالته . ولفظ قوله هذا بالأردية بكل دقة وأمانة :

" حضرت یونس سے فریضۂ رسالت کی ادائیگی میں کچھ کوتاہیاں ہو گئی تھیں . . . . . . پس

جب نبی ادائے رسالت میں کوتاہی کر گیا . . . . ، (نعوذ باللہ)

يعلل سقيم فكره بأن الله يرفع عصمته من كل نبى بين حين وآخر ، فيصدر منه بعض زلات ، لكى نعلم أن النبى ليس بإله وأن نعلم أنه بشر .

فيا سبحان الله !! أليس يكفى لكون النبى بشرا أن يشرب ويأكل ويولد ويصح ويمرض وما إلى ذلك من خصائص البشرية ؟ ! فصدور المعاصى وحدها هى التى تكفى لإضفاء بشرية الأنبياء أيها الخارجى المودودى ؟ ! .

وهذه هى الأفكار الخبيثة التى سرت فى كتاباته فى حق الأنبياء والصحابة والأولياء وهم العباد المكرمون .

(٦) الدين عند المودودى وجماعاته الإسلامية وسيلة للوصول للحكم :

يقول المودودى فى « خطباته » ص ٢٢٢ : إن العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج ، ليست من مقاصد الدين الإسلامى ، وإنما الغرض منها هو الحصول على السلطة والاقتدار ، والمقصد منها إقامة الحكومة .

وهذا الفكر الخارجى قلب للحقائق الإسلامية ، فالحكومة الإسلامية وسيلة لأداء الفرائض والواجبات الشرعية ، فالسلطة مطلوبة لإقامة الدين وأداء العبادات ، فالعبادات مقصودة من أكبر مقاصد الدين ، والحكومة وسيلة للحصول على هذا المقصود ، والله سبحانه وتعالى يقول فى سورة الحج آية ٤٠ : ﴿ **الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾[1] فجعل

---

(١) سورة الحج آية ٤١ .

الله سبحانه وتعالى هذه العبادات غاية للحكومة والسلطة ، فانظر كيف عكس المودودى الخارجى الأمر ؛ فجعل المقصد وسيلة والوسيلة مقصدا .

هذا فضلا عن كونه قَلْبَ الحقائق الشرعية ؛ وسيلة لكل زيغ وضلال ، فإذا حصَّل السلطة والحكومة وتم المقصد فماذا تنفع الوسيلة ؟ وأى لزوم لإبقاء الوسائل بعد حصول المقاصد ؟! .

ويقول المودودى الخارجى فى كتابه : « مرآة الجماعة الإسلامية » : إن المقصد الحقيقى من الدين هو السلطة ، أى : الحكومة ، فليس هناك عمل موصل إلى رضاء الله تعالى بعد الغفلة عن هذا الغرض ، وحصول هذا الغرض يتوقف على قوة اجتماعية ، فمن أخل بها ارتكب جريمة عظيمة لا يمحوها الإقرار بالتوحيد وإقامة الصلاة ، ومن دون الأمور السياسية ومن دون الحكومة لا تقبل صلاة ولا صيام ولا عبادة ولا توحيد .

هذه هى القواعد الأساسية التى أقامها المودودى الخارجى للجماعة الإسلامية ، فقد فرط فيما بنى عليه الإسلام من العبادات ، كما أفرط من إقامة الحكومة ، فهل مثل هذا الفكر يعبر به عن تجديد الدين وإحيائه ؟ أم هذا هدم للدين وإماتة له ؟ ! .

وهذا القول من المودودى الخارجى يكفى لأن يفتح عيون شباب الجماعات الإسلامية المفتتنين به وينور بصائرهم فى كشف اللثام عنه ، ولكن بكل أسف شديد

أقول : حب الشيء يعمى ويصم : (**فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور**)[1] فرحم الله من أنصف ولم يتعسف .

راجع كتاب : « المودودى وشيء من حياته وأفكاره » للشيخ محمد يوسف البنورى ص ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ » .

(٧) المودودى يجيز للمرأة إمارة المسلمين :

يقول المودودى الخارجى فى « ترجماته » ـ تحت عنوان موقف الجماعة الإسلامية ـ : إن أصول الإسلام قسمان : قسم لا يدخله التغيير ولا التعديل كالتوحيد والرسالة ، وقسم يدخله التغيير إذا ما اقتضته المصالح ، ثم يضرب مثالا للقسم الثانى فيقول : إن الله سبحانه وتعالى يقول :

(١) سورة الحج آية ٤٦ .

« ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم »[2] .

فيقول المودودى الخارجى : هذا أصل من أصول الدين وهو العدل بين الأفراد والشعوب ، والقضاء على كل تفرقة عنصرية من نسب أو قبيلة ، وجعل التفاضل بالتقوى ، حيث أن الرسول ﷺ ولّى العبيد والموالى مناصب الإمارة ، ولكن سرعان ما ترك الرسول ﷺ هذه القاعدة الأساسية لما حان له إقامة دولة ونظام فقال الرسول ﷺ : « الأئمة من قريش » ويبرر المودودى الخارجى هذا التغيير والتعديل بأن العرب ماكانت تتحمل أن تكون خلافة أو رئاسة لأعجمى ، بل ما كانت تتحمل أن يسلط عليها غير قرشى ، فترك رسول الله ﷺ العمل بما أقره القرآن فى الآية السابقة ، وهى أصل أساسى فى المساواة .

وبنى المودودى الخارجى فهمه السقيم ؛ أن كل عبادة من صلاة وزكاة وصيام وحج - وإن كانت مقاصد أساسية للإسلام - إلا أنها تتغير وتتبدل إذا اقتضتها مصالح الدولة ، ويسميها هو : « الحكمة العملية » التى تدخل فى كل شىء من أصول الدين الشرعية .

انظر يا أخى .. هل رأيت ضلالا صراحا وزيغا بواحا أبيَن من هذا ؟! .

المودودى الخارجى استمسك بهذه الفكرة فى دستور جماعته الإسلامية ، حينما قامت الانتخابات والترشيحات للمجلس النيابى ورئاسة دولة باكستان ، فقامت السيدة فاطمة جناح فى مقاومة السيد أيوب خان الرئيس الأسبق لحكومة باكستان .

فقام المودودى الخارجى وجماعته الإسلامية لتأييد السيدة فاطمة جناح ، بكل ما آتاه الله من حول وطول ، وادعى أن صفات الرئاسة وخصائص الولاية كلها متوفرة فيها ، فى حين أن السيد أيوب خان محروم من كلها ، فهذه السيدة تستحق أن تكون رئيسة للدولة ، فاعترضه علماء وشعب باكستان لأن المرأة ليس فيها كفاءة للرئاسة وفقا لأصول الإسلام ، ومن ثم فلا يمكن أن تكون السيدة فاطمة جناح رئيسة للدولة ، فاستمسك المودودى الخارجى بتلك القاعدة الأساسية ، التى أصبح عليها اليوم مدار الجماعات الإسلامية ، فأفتى بأن تلك من أصول الإسلام التى يلحقها التغيير والتعديل ،

(٢) سورة الحجرات آية ١٣ .

وليست مثل التوحيد والرسالة لا يلحقها التغيير والتعديل « راجع كتاب المودودى وشيء من حياته وأفكاره ص ٢٥ » .

(٨) المودودى بدايته وهابية ونهايته شيعية سيراً وراء الدعم :

المودودى الخارجي أسس جماعة بباكستان والهند ينشر عن طريقها آراءه الخبيثة وعقائدة الباطلة سماها : « الجماعة الإسلامية » ، واستغل اسم الإسلام دجلا ومكرا وخداعا لنشر فكر ابن عبد الوهاب ، ويروجه بين المسلمين ، ولذلك طبع له مئات الكتب وترجمت للغة العربية زورا وبهتانا ، ولما خفّ عنه الدعم الوهابى انقلب إلى الاتجاه المضاد ألا وهو الاتجاه الشيعى .

ففى كتابه : « ترجمان القرآن » ج ٢٨ ص ١٧٣ طبعة ١٣٦٥ هـ يقول المودودى فى بيت الله الحرام وساكنيه ولفظا باللغة الأردية :

وہ سرزمین جہاں سے کبھی اسلام کا نور تمام عالم میں پھیلا تھا آج اسی
جاہلیت کے قریب پہنچ گئی ہے جس میں وہ اسلام سے پہلے مبتلا تھی۔ اب
نہ وہاں اسلام کا علم ہے، نہ اسلامی اخلاق ہیں، نہ اسلامی زندگی ہے۔
لوگ دور دور سے بڑی گہری عقیدتیں لیے ہوئے حرم پاک کا سفر کرتے ہیں
مگر اس علاقے میں پہنچ کر جب ہر طرف ان کو جہالت، گندگی، طمع، بے حیائی
دنیا پرستی، بد اخلاقی، بد انتظامی اور عام باشندوں کی ہر طرح گری ہوئی
حالت نظر آتی ہے تو ان کی توقعات کا سارا طلسم پاش پاش ہو کر رہ جاتا
ہے۔ حتیٰ کہ بہت سے لوگ حج کر کے اپنا ایمان بڑھانے کے بجائے اور
الٹا کچھ کھو آتے ہیں۔ وہی پرانی منت گری جو حضرت ابراہیم و اسمٰعیل

علیہما السلام کے بعد جاہلیت کے زمانے میں کعبے میں مسلط ہو گئی تھی اور جسے رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم نے آکر ختم کیا تھا اب پھر تازہ ہو گئی ہے۔ حرم کعبہ کے منتظم پھر اسی طرح مہنت بن کر بیٹھ گئے ہیں۔ خدا کا گھر ان کے لیے جائیداد اور حج ان کے لیے تجارت بن گیا ہے .... معلم، مطوف، وکیل مطوف، کلید بردار کعبہ اور خود حکومت حجاز، سب اس تجارت میں حصہ دار ہیں۔ .... یہ بنارس اور ہردوار کے پنڈتوں کی سی حالت اس دین کے نام نہاد خدمت گذاروں اور مرکزی عبادت گاہ کے مجاوروں نے اختیار کر رکھی ہے جس نے مہنت گری کے کاروبار کی جڑ کاٹ دی تھی۔ ....

وترجمة ذلك باللغة العربية : أن البقعة التى كانت استنارت بأنوارها الدنيا ، وصلت اليوم إلى عهد الجاهلية التى كانت قبل الإسلام ، فلا ترى هناك علما ولا خلقا ولا حياة إسلامية ، ولكن إذا ما وصلوا وشاهدوا هناك جهلا وطمعا ووقاحة وتغدرا وخلقا سيئة وسوء نظام الإدارة وحب الدنيا ، وانحطاط عامة الساكنين عن المروءة والإنسانية ، فكل ما حسبوه وظنوه أصبح هباء منثورا ، رجعوا إلى بلادهم بدل أن يزدادوا إيمانا وقد أضاعوا ماعندهم . راجع كتاب : « الشقيقان المودودى والخمينى » إصدار المجلس العالمى لصيانة الإسلام كراتشي باكستان ص ٢٨ .

ويقول صراحة : إن السدانة والحجابة التى كانت فى الجاهلية وجاء سيدنا رسول الله ﷺ فقضى عليها ، تجددت اليوم فأصبحت السدانة والحجابة والحج كلها وسائل للتجارة والكسب ، إلى أن قال : فالمطوف ووكيله والسادنون والحكومة السعودية ، كلهم لهم حظ من هذه التجارة والكسب ، فأصبحت فريضة الحج مثل ما يقوم به الوثنيون فى « هردرار » بالهند .

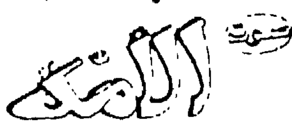
وبعد نقض العهد مع الوهابية وأخذه من فقه « الريال » تحول إلى الشيعة لينهل من جديد من فقه « الكومان »[1] .

وإليك أيها القارىء المسلم ماقال المودودى الخارجى فى حق الثورة الإيرانية الشيعية .. راجع كتاب : « الشقيقان المودودى والخومينى » الذى أصدره المجلس العالمى لصيانة الإسلام بكراتشي باكستان ص ٣ :

○ يقول المودودى : وفيما يلى قطعة نص البيان من صوة الامه

✱ ثورة الخميني ثورة أسلامية والقائمون عليها هم جماعة أسلامية وشباب تلقوا التربية الاسلامية في الحركات الاسلامية وعلى جميع المسلمين عامة والحركات الاسلامية خاصة ان تؤيد هذه الثورة كل التأييد وتتعاون معها في جميع المجالات.

(العالم المجاهد أبو الاعلى المودودي)





العدد ١٤ ـ السنة الثانية ـ رجب ـ ١٤٠١هـ ـ ١ ـ ١٥ حزيران ـ ١٩٨١ م

مجلة شهرية، فكرية، سياسية، اجتماعية
تصدرها وزارة الارشاد في جمهورية ايران الاسلامية
المجلة حرة والوزارة غير مسؤولة عن كل ما ينشر فيها
العنوان ايران ـ طهران شارع مصدق ـ وزارة الارشاد الاسلامي
مجلة صوت الامة

THE MINISTRY OF ISLAMIC GUIDANCE
TEHRAN MUSADDAQ STR
THE ISLAMIC REPUBLIC OF IRAN

---

(١) الكومان : عملة إيرانية .

نكتب هذا ونؤكده بالمستندات والأدلة لنبين لشباب الجماعات الإسلامية أن ثالث الأثافى المودودى الخارجى بداية والشيعى نهاية ، ليس مفكرا إسلاميا كما أراد له شيوخ الوهابية ، وليس إماما يقتدى به كما أرادت له الشيعة ، بل هو مخرب ومدمّر لأصول الإسلام وقواعده ، شأن العديد ممن ظهروا قبله فى شبه القارة الهندية . وقديما قالوا : لا تأخذ العلم من صحفى ولا القرآن من مصحفى .

الفصـــــل الســـــابع

الفرقة التبليغية إرسالية سياحية لتوهيب المسلمين

فرق شبه القارة الهندية :

ظهرت فى نواحى شبه القارة الهندية فى آخر عهد الاحتلال البريطانى ، فرق عديدة تحت مسميات تجديد الدين وإحيائه وتبليغه وثقافته ، واتبعها أقوام نظرا لظواهرها من غير تفحص لعقائد أربابها ومؤسسيها ، ثم لما تبين لهم فساد وضلال عقائد هذه الفرق وكشف عن خداعها كبار علماء أهل السنة والجماعة فى شمال الهند وجنوبها وباكستان وسيلان ؛ وبينوا للناس ضلالها وزيغها ، وأن مؤسسى هذه الفرق أهوتهم الضلالات وأضلتهم الأهواء ، فاستوردوا لشبابنا المسلم الأفكار الفاسدة من زيغ الخوارج والسلفية وابن تيمية الحرانى وابن عبد الوهاب النجدى ، لهثا وراء الثراء المأمول من شيوخ البترول ، ولما التبست على من ليس عنده مناعة دينية فوقع فى طرائقها وأفكارها الفاسدة الكاسدة ، رأينا أنه من الواجب علينا كشف حقيقة المودودى والجماعات الإسلامية التى أنشأها فى باكستان فيما سبق بيانه .

وها نحن نكشف حقيقة محمد إلياس المولوى ، والجماعة التبليغية التى أنشأها فى شمال الهند .

فالحمد لله أن جعلنا مصداقا لقول رسول الله ﷺ : « يحمل دين الإسلام من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين » من أمثال المودودى والمولوى وغيرهم .

الفرقة التبليغية ومؤسسها وأصولها :

إن من هذه الفرق : « الحركة الإلياسية » الملقبة بـ « الجماعة التبليغية » اغتر بسياحتهم وأعمالهم الظاهرة ورسومهم قوم سذج على غير سبر لعقائدهم وأفكارهم ، واتبعوهم فى سياحتهم متمسكين برسومهم الظاهرة .

ومؤسس هذه الحركة التبليغية هو محمد بن إلياس بن المولوى بن إسماعيل ، ولد سنة ١٣٣٠ هـ الموافق ١٩١٥ م ، درس فى مدرسة مظاهر العلوم ، ثم لما لم يستكمل دراسته بها تصدى لتربية المريدين ، فأنشا الحركة التبليغية ١٣٦٠ هـ الموافق ١٩٤٥ م كما حكى ذلك جمال بن محمد صاحب عميد كلية قائد ملت فى مدراس « راجع جريدة جندركة بتاريخ ١٩٧٦/٧/٢٤ م » .

وقد بيَّن عن سبب تأسيس الجماعة التبليغية أمير الجماعة بالعاصمة دلهى رفيقه محمد إدريس الأنصارى فى مقدمة رسالته : « تبليغ دستور العمل » حيث يقول : « إنه تبين لمحمد إلياس المولوى بعد الدراسة والنظر العميق أن فلاح القوم وارتقاءهم لا يحصل إلا بأربعة أصول وذلك هو المفهوم الصحيح من قوله تعالى : ﴿ **وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين** ﴾ :

وهذه الأصول الأربعة ــ حسب زعمه ــ هى :

١ ــ تبديل النظام الباطل من أصله بين الناس .

٢ ــ أن يكون ذلك التبديل على الطريقة التى اختارها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى زمنهم .

٣ ــ كل ما يعمله ويسعى له المسلمون جماعات وأفرادا حتى الآن ليس المقصد ، ولا هو عن طريق الأنبياء .

٤ ــ الحركة التبليغية هى التى تعمل على المنهج الإسلامى ، لأنها هى الجماعة الإسلامية على الحقيقة والمعنى الصحيح .

وهذه دعوى كل من تصدى لتفريق الأمة الإسلامية ، فابتدع فرقة شاذة عن نهج أهل السنة والجماعة ، تزعم أن الأمة الإسلامية قد ضلت قبلها بأجمعها وحادت عن سبيل الهدى بالتوسل بالأنبياء والأولياء والاستشفاع والاستغاثة بهم ، وأنه تصدى لدعوة الأمة إلى التوحيد الخالص واجتناب الشرك ، لأن من توسل بالنبى ﷺ والصالحين من أمته فقد أشرك بالله ويحل بذلك دمه وماله .

وهذا الفكر لا يخفى على كل مسلم أنه فكر الخوارج ، والسلفية ، وابن تيمية ، وابن عبد الوهاب ، والمودودى ، وسادسهم إلياس المولوى مؤسس الفرقة التبليغية .

شيوخ ابن المولوى من خوارج شمال الهند :

يقول السيد أبو الحسن على الندوى فى كتابه : « محمد إلياس المولوى أوران كى

دعوات » ص ٤٤ : إن بانى التبليغ محمد إلياس المولوى لازم وهو بن عشر سنين إلى عشرين شيخه رشيد أحمد الجنجوهى وبايعه لما رأى فيه النجابة .

ثم بعد انتقال شيخه الجنجوهى لازم الخليل أحمد الأنبيتوى السهارانفورى والأشرف على التهانوى ، فأسوة ابن المولوى وشيوخه هم الرشيد أحمد الجنجوهى والخليل أحمد السهارانفورى والأشرف على التهانوى ، ويفصح ابن المولوى عن شيخه التهانوى فيقول : « إن التهانوى قد سعى سعيا بليغا لذلك أرجو من قلبى أن يكون التعليم له وطريقة التبليغ لى ، فأقوم بنشر تعليماته » « راجع كتاب محمد إلياس أوران كى دينى دعوت للسيد أبى الحسن على الندوى ص ٤٨ ، ٤٩) ويقول ابن المولوى : « ولابد للانتفاع بالتهانوى أن تحبه وتحب رجاله ، وأن تطالع كتبه فمن مطالعة كتبه يحصل العلوم ، ومن رجاله يحصل العمل » راجع مكاتيب ص ١٣٨ .

وهؤلاء دعاة الوهابية فى شمال الهند (راجع كذلك كتاب فتاوى رشيدية ص ٢٣٢ ــ ٢٣٥ للشيخ رشيد أحمد الجنجوهى) .

علماء الهند والباكستان يبيِّنون زيغ وضلال هذه الفرقة التبليغية :

باذر بذور الوهابية فى شبه القارة الهندية هو محمد إسماعيل الدهلوى « المرجع السابق » وبذلك يقول عنه تلميذه رشيد الجنجوهى : إنه عالم تقى مزيح للبدعة وعامل بالكتاب والسنة وأن كتابه : تقوية الإيمان ؛ هو المصدر الأساسى الموجب لقوة الإيمان ويشتمل على مقاصد القرآن والسنة ، وأبلغ رد على الشرك والبدعة ، والاستدلال فيها جميعا بالكتاب والسنة ، فاتخاذه وادخاره والعمل به عين الإسلام « راجع كتاب : فتاوى رشيدية ص ١٣١ وكتاب : تقوية الإيمان » مرجع الفرقة التبليغية يقول فيه العلامة المفتى على المذاهب الأربعة أبو العادات الشيخ شهاب الدين أحمد كوبا الشالياتى : (هذا كتاب محمد إسماعيل الدهلوى رأس الوهابيين فى الهند ، وأساس الفرق المحدثة فى ديوبند ، وقد رد عليه علماء أهل السنة والجماعة من أهل السند والهند والعجم وأهل الحرمين ، فلا تغتر بما فى هذا الكتاب من المضامين ، فإن فيها كلمات حق أريد بها باطل ، فتدبر ولا تغتر والله الموفق) .

ويقول أيضاً : (فإن أول من مال إلى النزعة التيمية والنزعة الوهابية فى الهند واقتفى أثرهما من أضله الله على علم محمد إسماعيل الدهلوى ، وفى هذا الكتاب الاعتقاد بإمكان

كذب البارى جل وعلا بالذات وامتناعه بالغير ، وإمكان نظير خاتم الأنبياء بالذات وامتناعه بالغير) نعوذ بالله من الحور بعد الكور .

وفى فتاوى محمد تميم مفتى مدارس عن هذا الكتاب أنه (يتعين على القارىء لهذا الكتاب أن يلقبه « بتكوية الإيمان » لا « تقوية الإيمان » لاشتماله على كفريات وضلالات وخرافات وخزعبلات فمن اعتقد صحتها فقد خرج عن دائرة الإسلام عند الفضلاء الأعلام « راجع كشف الشبهة عن الجماعة التبليغية ص ١٧ »

الفرقة التبليغية تقوم على اللامذهبية :

تزعم هذه الفرقة التبليغية أن عقيدتها « لا إله إلا الله محمد رسول الله » يعنى الاعتقاد أن لامعبود فى الوجود سوى الله وأن محمدا رسوله الصادق . راجع دستور رسالة تبليغى ص ٤ .

وهذه العقيدة عقيدة الإسلام ولا يمترى فيها أحد ، ولكن أليس يقر بذلك القاديانيون والبهائيون وغيرهم من الفرق الخارجة عن الإسلام ؟ .

وهل يكتفى بذلك الرسم لتجديد فرقة جديدة كالفرقة التبليغية فى هذه الأيام التى افترقت الأمة فيها على ثلاث وسبعين فرقة وتشعبت منها فرق أخرى لاتكاد تحصى ؟ مع أنه يفسر الشق الثانى من الكلمتين وهو « محمد رسول الله » على الأمر والنهى الصادرين من رسول الله ﷺ فقط ، ومن ثم لا يتوقف لإنفاذ أمر أو منعه إلى دليل غير الحديث ، حتى ولو كان مأثورا عن السلف الصالح أو ثابتاً بالإجماع أو قياس الأئمة الأربعة . والمسلم لا ينخدع بمثل هذه الدعوى للانفضاض من حول الأئمة الأربعة الذين حرسوا أصول الدين الإسلامي وفرّعوه من عهد التابعين إلى اليوم ، فلابد له من تحقيق هذه الفرية واكتشاف سر هذه الفتنة مع أن ابن المولوى لا يدعى ظاهرا أنه مجتهد مطلق ، لأن ذلك يرفضه من يعرف تاريخه وأحواله .

ثم يبين ابن المولوى أن الانضمام لعضوية فرقته التبليغية لا يشترط فيها سوى الإقرار بكلمتي الشهادة ، ولذلك اشترك فى عضويتها كل من يدعى الإسلام ولو كان من فرق القديانية أو البهائية أو القدرية أو الإسماعيلية ، أو كان من فرق الخوارج كالسلفية والتيمية والوهابية والمودودية ، فاللامذهبية خطر يهدد كيان الإسلام ، فإذا قام المسلم بد ں أحوال القائمين على هذه الفتنة ، وجدهم لايألفون المألوف ، ولا يعرفون المعرو ٘ـ كابن

تيمية وابن عبد الوهاب وذيولهما من أمثال المودودى والمولوى ، الذين أعمت شهوة الظهور بصائرهم حتى تراهم يصادقون المتألبين على الإسلام ، ففتنتهم هذه ما هى إلا فكر إلحادى عن أهل الفساد ، وليست هذه الفتنة سوى قنطرة اللادينية .

الفرقة التبليغية إرسالية سياحية لتوهيب المسلمين :

يقول زميل محمد إلياس المدعو محمد منظور النعمانى نقلا عنه : (الرؤيا جزء من ستة وأربعين من النبوة ، ويحصل الترقى للبعض عن طريق الرؤيا ما لا يحصل بالرياضات والمجاهدات ، لأن هذه العلوم الملقاة عليهم فى الرؤيا جزء من النبوة فكيف لا يحصل بها الترقى ؟ والعلم يزيد بالمعرفة ، والمعرفة تزيد بالقرب ، قال تعالى : ﴿ **وقل رب زدنى علما** ﴾[(١)] فلهذا اجتهدوا لزيادة النوم لأميركم هذا ، وإذا قل النوم بسبب الحرارة أشاور الطبيب ، وأستعمل الزيت حسب الإرشاد فى رأسى فيزيد نومى) .

ثم يستطرد فى أكاذيبه فيقول :

« وقد انكشفت لى طريقة هذه الفرقة التبليغية فى الرؤيا ، وألقى إلىَّ تفسير هذه الآية الكريمة أيضا فى الرؤيا وهى قوله تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾[(٢)] فقوله تعالى : ﴿ **أخرجت للناس** ﴾ إشارة إلى أنه لا يتم التبليغ بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذا كنت مقيما وملازما لمكان واحد ، بل يتعين عليك الخروج من بلد إلى بلد فى آفاق الشرق والغرب » وهذا هو مأخذه للسياحة .

يخرج للسياحة أربعة أشهر فى العمر كله ، أى : يخرج الفرد منهم أربعة أشهر متصلة بعيدا عن أهله ، ليدعو لدين الله سائحا فى القرى والبلدان ، وأربعين يوما كل سنة ليدعو من لايعرفهم من المسلمين فى خلال هذه المدة إلى دين الله ، وثلاثة أيام كل شهر بخلاف المدد السابقة بعيدا يدعو إلى الله . « راجع ملفوظات إلياس المولوى ص ٥٠ » .

تفكروا فى هفوات ابن المولوى حيث يفسر القرآن الكريم برؤياه ، ويدعى بأنه يحصِّل العلوم الصحيحة بالرؤيا بحيث لا يحصل ذلك بالمجاهدات والرياضات ، ويفصح

---

(١) سورة طه آية ١١٤ .

(٢) سورة آل عمران آية ١١٠ .

عن معنى « أخرجت للناس » بما لم يشر إليه من المفسرين ، ويوصى المتبعين له بالجهد فى ازدياد نومه ، إلى غير ذلك مما تشير إليه عباراته ، أليس ذلك من التفسير بالرأى ، وقد أنذرنا الرسول ﷺ بقوله : « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » رواه الترمذى .

فكيف يفسر بالرؤيا ويرأس فرقته ويبعثهم إلى آفاق الأرض حسب رؤياه ؟ ! .

أليس فى هديه وطريقته من تلبيس إبليس لمن له أدنى مسكة من العلوم الشرعية ؟ ! .

وسائل الفرقة التبليغية لتوهيب المسلمين :

يقول ابن المولوى : إن ما عليه الأمة الإسلامية الآن ليس على نهج الأنبياء لا جماعة أو أفراداً ، وبذلك ابتليت الأمة بأن عباداتها كلها رسوم فقط لاروح فيها ، حتى أن المعاهد الدينية قصرت فى رسالتها وهى إصلاح المفاسد ، وصارت هى الأخرى رسوماً لا غير . « راجع ملفوظات ابن إلياس التى نقلها عنه محمد منظور نعمانى ص ١٢ » .

ويقول متبعه ومبلغه محمد حسن خان فى مقدمة كتابه : « مفتاح التبليغ » : « فى هذا الزمان الذى انحط فيه المسلمون وصاروا إلى الكفر والإلحاد أقرب منه إلى الإيمان ، أرسل الله تعالى بفضله وكرمه محمد إلياس المولوى على سبيل المعجزة وخوارق العادات ، فانتهض لإحياء الدين وتجديده حينما وجد الأمة الإسلامية ضلت ، وابتليت جميعها بالشرك والإلحاد وما بقيت منها إلا رسوم باسم العبادة » .

فمن أين وجد الإسلام الصحيح ابن إلياس المولوى ؟ ! وكيف وجده إذا كانت الأمة الإسلامية على حد زعمه فى ضلالة ؟ ! .

هنا يفصح أن الفرقة التبليغية تسير على نهج الوهابية التى ادعت من قبل أن الأمة الإسلامية قد ضلت وحادت عن طريق الهدى ، حتى جاءها المنقذ من الضلال ابن عبد الوهاب ، وبذلك فإن المولوى وابن عبد الوهاب قد حكما على الأمة الإسلامية بالضلالة قبل نشأة دعواهما ، وخالفا ما قرره الرسول ﷺ بشأن أمته « سألت ربى ألا تجتمع أمتى على ضلالة فأعطانيها » أخرجه الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، ورواه أحمد والطبرانى فى الكبير . وخالف ابن عبد الوهاب وابن المولوى قول الرسول ﷺ : « إن الله أجاركم من ثلاث خلال : أن لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا جميعا ، وأن لا يظهر أهل الباطل على أهل الحق ، وأن لا يجتمعوا على ضلالة » رواه أبو نعيم والحاكم .

وخالف ابن عبد الوهاب وابن المولوى قول الرسول ﷺ : « إن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة أبدا وإن يد الله مع الجماعة ، فاتبعوا السواد الأعظم ، فإن من شذَّ شذَّ إلى النار » رواه ابن عمر رضى الله عنهما . وهذا مما لا يمترى فيه عاقل فضلا عن فاضل .

مدى جرم الفرقة التبليغية فى حق رسول الله ﷺ :

يقول الرشيد أحمد الجنجوهى مرشد بانى الفرقة التبليغية فى كتابه : (فتاوى رشيدية . ص ٩٣) الذى تعتبره هذه الفرقة مصدر عقيدتها ومنهاجها :

لم يكن الرسول ﷺ يعلم الغيب ، وقد ثبت فى كلام الله تعالى وكثير من الأحاديث أنه لا يعلم الغيب ، فمن اعتقد أنه ﷺ يعلم الغيب فقد أشرك ، ويقول أيضا : علم الغيب خاص بالله تعالى فإطلاقه على غيره بأى تأويل لا يخلو عن إيهام الشرك .

النداء بيارسول الله معتقدا بأنه يسمع ﷺ من بعيد كفر صريح ، وإن لم يعتقد ذلك فهو مشابه للكفر ، وكذلك نداء الأولياء بطلب المدد أو النظرة يعد فى نظره شركا ، ومن خرج لزيارة مقابر الأنبياء أو الأولياء فهو مشرك ، والمشتغل بإيقاد السراج فى المقابر وسقاية الزوار كافر .

انعقاد مجالس المولد النبوى الشريف ــ إن لم يكن فيه أمر غير مشروع ــ غير جائز لأنه بدعة . وهذا ماقاله الرشيد بن أحمد الجنجوهى فى كتابه : (فتاوى رشيدية) .

أما ما قاله محمد إسماعيل الدهلوى داعية الوهابية فى شمال الهند فى كتابه : « تقوية الإيمان » والذى قال عنه تلميذه الرشيد أحمد الجنجوهى إن كتاب تقوية الإيمان هو عين الإسلام والكتاب والسنة فإنه يقول :

« الندا بيا محمد معتقدا بأنه يعلم ويراه شرك ، فمن نادى نبيا أو وليا من بعيد فقد أشرك ، ومن طلب الحاجات منهم فهو أيضا مشرك ، ومن خرج لزيارة مقابر الأنبياء والأولياء فهو مشرك ، والمشتغل بإيقاد السراج والتطهير فى المقابر وسقاية الزوار كافر » راجع ص ٨ من كتاب : (تقوية الإيمان) .

ويقول محمد إسماعيل الدهلوى أيضا ــ فى كتابه : الصراط المستقيم ــ : « ومن تصور فى الصلاة أنه يزنى أو يباشر مع زوجته فلا حرج ، ولكن تصور المشايخ

وتذكرهم حتى الرسول ﷺ غير جائز وذلك أضر من تصور الحمار والبقر » راجع ص ٩١ من كتابه : (الصراط المستقيم) .

فإذا قلت : السلام عليك أيها النبى فى التشهد هل يعد هذا شركا ؟ ! وهل تصوره ومراقبته ﷺ فى ذهنك يعد شركا ؟ ! هل هذا إلا تضليل الأمة الإسلامية ؟! والإمام الغزالى يقول : « واستحضر فى قلبك شخص الرسول ﷺ وقل : سلام عليك أيها النبى » راجع كتاب الإحياء ص ١٦٩ .

ويقول الخليل أحمد السهارنفورى ــ الذى لازمه ابن إلياس المولوى بعد انتقال شيخه الجنجوهى على ما نقل عنه أبو الحسن الندوى ــ : « لقد ثبت العلم الواسع لإبليس ولملك الموت بالنصوص القاطعة ، ولكن لا دليل على سعة علمه ﷺ قاطعا بحيث يقابل النصوص ، وإنما ذلك إثبات شرك يرد به النصوص » راجع البراهين القاطعة ص ٥١ للخليل أحمد السهارنفوى ــ يفكر فى إثبات سعة العلم لإبليس وعزرائيل دون أشرف الكائنات ﷺ ، وجزم بأن مخالفته رد النصوص وإثبات الشرك .

يبين لنا من بيانات البدعى الهندى إلياس المولوى مؤسس الفرقة التبليغية ، وأساتذته الجنجوهى والتهانوى والسهارنفورى والدهلوى ، أنهم جيمعا يحذون حذو النعل بالنعل بالبدعى النجدى ابن عبد الوهاب فى عقائده ، ويرغبون المسلمين فى عقائده ، ويردون على من أنكر فكر البدعى النجدى ابن عبد الوهاب بأنه مثير للفتنة ، لأغراض تافهة ومطامع سياسية .

هل ترى والد ابن عبد الوهاب ــ الرجل الصالح الزاهد ــ أيضا من هذه الطائفة الطامعين للسياسة أو لأغراض تافهة ؟ ! .

هل ترى أخاه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ــ حيث رد عليه أيضاً ــ من هذه الطائفة الطامعين للسياسة أو لأغراض تافهة ؟ ! .

هل ترى شيخه وأستاذه الشيخ سليمان الكردى ــ حيث رد عليه ــ من الطامعين للسياسة أو لأغراض تافهة ؟ ! .

« كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا »[1]

(١) سورة الكهف .آية ٥ .

الباب الخامس

إسلام الصوفية هو الحل لا إسلام الخوارج

حجية حديث تفرق الأمة :

يقول ﷺ : « تفرقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة ، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وأمتى تزيد عليهم فرقة ، كلهم فى النار إلا السواد الأعظم » . رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير عن أبى أمامة ـ المعجم الكبير (٣٢١/٨) ، وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢٥٨/٧) .

وروى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين ، والنصارى مثل ذلك ، وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة » راجع الترمذى (٢٥/٥) ٤١ كتاب الإيمان ، ١٨ باب : ماجاء فى افتراق هذه الأمة .

وروى أبو داود عن معاوية بن أبى سفيان قال : قام فينا رسول الله ﷺ فقال : « ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ، ثنتان وسبعون فى النار ، وواحدة فى الجنة وهى الجماعة » رواه أبو داود (١٩٨/٤) كتاب السنة ، باب شرح السنة ، وأحمد فى مسنده (١٠٢/٤) وإسناده صحيح .

وزاد أبو داود فى رواية : « وأنه سيخرج من أمتى أقوام تتجارى بهم الأهواء ، كما يتجارى الكلب بصاحبه ، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله » ومعنى كلمة التجارى : أى : تفاعل من الجرى ، وهو الوقوع فى الأهواء الفاسدة ، والتداعى فيها تشبيها بجرى الفرس ، والكلب داء معروف يعرض للكلب ، إذا عض حيوانا عرض له أعراض رديئة فاسدة قاتلة ، فإذا تجارى بالإنسان وتمادى هلك .

الخوارج هم السواد الأعظم من الفرق الهالكة أخرويا :

لا يهمنا فى هذا الكتاب أن نعرف فرق اليهود والنصارى ، فهذه تلزم المتتبعين ، أما من ناحية الجانب العلمى فى ذلك فقد ذكر القرآن الكريم ما فيه الكفاية عن ضلال من ضل من اليهود والنصارى ، ليتجنب المسلم ما وقع فيه هؤلاء من ضلال ، ولكن المهم بالنسبة للمسلم ، أن يعرف فرق الضلالة من هذه الأمة كى لا يواطىء واحدة منها على ضلالة ، ولذلك فهو مكلف أن يعرف من عقائد أهل السنة والجماعة ، ومن الكتاب والسنة ما يحفظه بإذن الله من أن يقع فى أسر فرقة ضالة .

وموضوع افتراق الأمة الإسلامية إلى فرق ـ فرقة واحدة منها ناجية والباقية هالكة أخرويا ـ هو أهم الموضوعات التى ينبغى أن تكون محل اهتمام ، والكتب فى هذا كله كثيرة منها القديم ومنها الحديث ، ومن أشهر الكتب القديمة فى هذا الموضوع : (مقالات الإسلاميين) لأبى الحسن الأشعرى ، و(الفرق بين الفرق) لعبد القاهر البغدادى ، و(الملل والنحل) للشهرستانى . أما ماكتب حديثا فقد بلغ أكثر من مائة كتاب ، وفى تأملات شاملة لما كتب قديما وحديثا نجد أن هناك إجماع عند الراسخين فى العلم على أن هناك فرقا دخلت فى دائرة الضلال ، وفرقا دخلت فى دائرة الكفر ، ومن أبواب الفرق الهالكة أخرويا ، الغلو فى غير الأنبياء الذين يثبتون لهم العصمة كغلاة الشيعة ، ووجد من يؤله البشر كما فعل النصيرية والدروز والإسماعيليون ، ووجد من يدعى النبوة ويتابع كغلام أحمد القاديانى والبابية والبهائية ، ووجد التأويل الجاهل كما فعل المعتزلة ، ووجد التشبيه كما فعل المشبهة ، ووجدت المواقف الغالية كما فعل الخوارج ، ووجد تعطيل العمل كما فعل المرجئة ، ووجد الإباحيون الذين يستحلون المحرمات كالباطنية ، ووجد المعطلون للشريعة كما يفعل العلمانيون ، ولم تزل الأيام تلد فرقا جديدة .

والملاحظ أن النصوص فى شأن الخوارج كانت أكثر من النصوص التى ذكرت فرقا أخرى وذلك للأسباب الآتية :

أولا : لأنهم أول الفرق ظهورا والناس لازالوا على ذكر بأحاديث الرسول ﷺ .
ثانيا : لأنهم يغرون العامة بسبب تشددهم وغلوهم .
ثالثا : لأنهم يجتذبون أعدادا كبيرة من الناس بسبب استعداد العامة للخروج على

السلطات « راجع كتاب الأساس فى السنة وفقهها . المجلد الأول ـ القسم الثانى فى العقائد الإسلامية للشيخ سعيد حوى ص ٣٧١ » .

المجتمع الإسلامى هم أهل السنة والجماعة :

والنصوص كثيرة فى المنع عن مفارقة الجماعة وفى الحض على لزومها ، وتأتى الجماعة فى اصطلاح الشارع والمراد بها ماكان عليه رسول الله ﷺ وأهل بيته وأصحابه ، ومن هنا وجد اصطلاح : « أهل السنة والجماعة » . ولأهل السنة والجماعة عقائدهم ومذاهبهم الأصولية والفقهية ، ويجمعهم إيمان بالكتاب والسنة وما ينبثق عنهما ، وضوابط فى فهم الكتاب والسنة ، وما لم يكن الإنسان هذا شأنه فى الاعتقاد فليس من أهل السنة والجماعة ، فالفرقة الناجية من الثلاث وسبعين فرقة التى كلها فى النار هم « أهل السنة والجماعة » راجع كتاب : « الفرق بين الفِرق » للشيخ عبد القاهر البغدادى .

والفرقة الناجية هى التى تنفى خبثها من أهل الملل الخارجة عن الإسلام ، ومن أهل الأهواء الضالة مع انتسابها إلى الإسلام ، كالخوارج وفرقها التى أنكرت حد الرجم وأنكر بعضها حد الخمر ، وأنكر بعضها المسح على الخفين ، وكفَّر بعضها من توسل بالأنبياء والأولياء أو قال بالشفاعة لهم .

والفرقة الناجية هى التى تنفى خبث الخوارج الذين أباحوا قتل كل عاصٍ لله تعالى ، وأباح بعضها كالميمونية نكاح بنات البنين وبنات البنات ، والأباضية التى تقول بجواز الوصية لوارث وجواز الجمع بين المرأة وعمتها ، وبأن المحرم من الرضاع هو الأم والأخت ، وبتخليد العصاة فى النار ، وهذا ما يخالف ما عليه أهل السنة والجماعة ، فإن حكم هؤلاء كحكم المرتدين عن الدين .

الفرقة الناجية لا يكفر بعضها بعضا ، وليس بينهم خلاف يوجب التبرؤ والتكفير ، فهم إذن أهل الجماعة القائمون بالحق ، والله تعالى يحفظ الحق وأهله ، فلا يقعون فى تنابذ وتناقض ، وليس فريق من الخوارج إلا وفيهم تكفير بعضهم البعض ، وتبرؤ بعضهم من بعض (راجع كتاب الأساس فى السنة للشيخ سعيد حوى ص ٤١٣ ، حيث اعتبر أن الخارجية نشأت فى بيئات إسلامية وليست من أهل السنة والجماعة) .

الخارجية ليست قضية تاريخية بل ظاهرة متجددة عبر العصور والدهور :

الخارجية اعتقاد وخلق وسلوك ، والخارجية أخطر ما يفرزه المجتمع الإسلامى بشكل مستمر ، وأقوالها وأفعالها تلتبس ، لأنها فى ظاهرها التطبيق الأرقى للإسلام بسبب تشددها فى المواقف وغلوها فى العمل ، لذلك كان من أهم واجبات دعاة الإسلام أن ينبهوا على خطر الخارجية .

والسلوك الخارجى يقوم على المسارعة فى التكفير ، والخلق الخارجى يتمثل بكثرة العبادة دون أن يصل أثرها إلى القلوب ، ويتمثل بسفاهة العقول وتصرفات حديثى السن ولو كبر أهله « راجع الأساس فى السنة وفقهها المجلد الأول ـ القسم الثانى ـ العقائد الإسلامية ص ٤٥٠ للشيخ سعيد حوى » .

والعقيدة الخارجية استقرت على مبادىء مثل تكفير سيدنا عثمان رضى الله عنه والإمام على عليه السلام ، والحكمين وأصحاب الجمل وكل من رضى بالتحكيم ، ومن مثل اعتقاد الخروج على الولاة الذين يخالفونهم فى وجهات النظر ، ومن مثل تكفير مرتكب الذنب سواء كان صغيرة أو كبيرة ، ومن مثل استحلال دماء وأموال وأعراض من خالفهم .

والعقيدة الخارجية لها امتداد تاريخى عبر العصور والدهور ـ ولو لبست أثوابا متعددة ـ فالسلفية ثوب رياء مقنع لفكر الخوارج ظهر فى القرن الرابع الهجرى من بعض شواذ الحنابلة ، وقد كشف أمرهم فضلاء الحنابلة وقالوا : « إنهم شانوا المذهب » والتيمية ثوب خارجى نجم فى القرن السابع الهجرى نادى بها البدعى الحرانى ابن تيمية ، والوهابية فكر خارجى ظهر فى القرن الثانى عشر الهجرى ابتدعه البدعى النجدى ابن عبد الوهاب ، والجماعات الإسلامية امتداد تاريخى لفكر الخوارج فى القرن الرابع عشر الهجرى ابتدعها البدعى الباكستانى المودودى ، والجماعة التبليغية إرسالية سياحية لتوهيب المسلمين ابتدعها البدعى الهندى إلياس المولوى .

وعلى العلماء والمربين من أهل الفرقة الناجية أن يحرروا المسلم من كل ظاهرة متجددة لفكر الخوارج عبر العصور والدهور ، ولو لبست أقنعة متعددة لتخفى وجهها الخارجى ، وصدق من قال :

إذا السنىّ تابع خارجيا ... لمذهبه فما هو من أبيه
فإن الكلب خير منه طبعا ... لأن الكلب طبع أبيه فيه

أوجه الشبه بين خارجية الأمس وخارجية اليوم :

١ – خارجية الأمس شعارها « لا حكم إلا لله » وهى كلمة حق يراد بها باطل كما قال الإمام على رضى الله عنه ، أما خارجية اليوم شعارها « لا دعاء إلا لله ، ولا شفاعة إلا لله ، ولا توسل إلا بالله » ونحو ذلك من كلمات حق يراد بها باطل .

٢ – خارجية الأمس متصلبة فى الدين ، متمثلة بالمواظبة على الصلوات حتى اسودت جباههم ، تقرأ القرآن تحسبه أنه لها وهو عليها . وخارجية اليوم متصلبة فى الدين تؤدى الصلاة لأوقاتها دون أن يصل أثرها إلى القلوب .

٣ – خارجية الأمس تكفّر من عداها من المسلمين وتستحل دماءهم وأموالهم وسبى ذراريهم . وخارجية اليوم حكمت بشرك من خالف معتقداتها من المسلمين ، واستحلوا مالهم ودماءهم وسبى ذراريهم .

٤ – خارجية الأمس استحلت قتال حكام الإسلام والخروج عليهم لأنهم باعتقادها أئمة ضلال . وخارجية اليوم استحلت قتال حكام المسلمين لأنهم فى اعتقادها أئمة ضلال ناصرون للشرك والبدعة .

٥ – خارجية الأمس لا تبالى بالموت وتقدم على الحرب لأنها رائحة بزعمها إلى الجنة وخارجية اليوم تظهر بسالة وإقداما فى حرب المسلمين لا تبالى بالموت ، لأنها تزعم أنها رائحة إلى الجنة فى حروبها مع المسلمين .

٦ – خارجية الأمس على جانب من الجمود والغباوة تتورع من أكل تمرة ملقاة على الطريق ، وترى قتل خنزير شارد فى البر فسادا فى الأرض ، بينما تقتل الصحابى عبد الله بن خباب وزوجته وهو صائم وفى عنقه القرآن . وخارجية اليوم على جانب من الجمود فبينما هى تكفر المسلمين وتشركهم وتستحل دماءهم وأموالهم لطلبهم الشفاعة ممن جعل الله له الشفاعة ، وتوسلهم بمن له عند الله الوسيلة ، بينما يتوقفون على الهاتف والتليفزيون والتلغراف ودوران الأرض لعدم وقوفها على نص فى هذه الأشياء .

٧ – خارجية الأمس جعلت بلاد الحجاز دار حرب ودارهم دار إيمان تجب الهجرة إليها . وخارجية اليوم ترى أن بلاد العالم الإسلامى دار حرب وأن نجداً دار إيمان تجب الهجرة إليها .

٨ – خارجية الأمس هدمت قبور أم المؤمنين خديجة بالمعلى بمكة المكرمة ، وهدمت قبور

أهل البيت وقبور الصحابة بالبقيع بالمدينة المنورة . وخارجية اليوم هدمت أضرحة الأولياء وسرقت الكسوة التى عليها .

٩ – خارجية الأمس جعلت زيارة الرسول ﷺ شركا ، والسفر إلى المدينة المنورة لزيارته ﷺ سفر معصية لا تقصر فيه الصلاة . وخارجية اليوم تنادى بذلك وتعتبر زيارة الإمام الحسين والبدوى والدسوقى زيارة شركية ، كما لا تجوز الصلاة بمساجدهم .

١٠ – خارجية الأمس عمدت إلى الآيات الواردة فى الكفار والمشركين فجعلوها فى المسلمين والمؤمنين . وخارجية اليوم جعلوا الآيات النازلة فى المشركين منطبقة على المسلمين .

١١ – خارجية الأمس يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية سيماهم التحليق . وخارجية اليوم يأمرون من اتبعهم أن يحلق رأسه ، ولم يقع من الفرق التى مضت أن يلتزموا بمثل ذلك .

١٢ – خارجية الأمس قتلت أهل الإسلام ودعت أهل الأوثان . وخارجية اليوم حاربت بلاد الإسلام المجاورة لها كالعراق والحجاز واليمن وشرق الأردن ومصر ، ولم تغز أى بلد من بلاد الأوثان .

١٣ – خارجية الأمس كلما قطع منهم قرن نجم قرن كما أخبر عنهم الإمام على رضى الله عنه . كذلك خارجية اليوم كلما قطع منهم قرن نجم قرن ، فالخارجية متجددة الظهور فى الأمة الإسلامية ، ففى القرن الرابع الهجرى نجم قرن السلفية ، وفى القرن السابع الهجرى نجم قرن التيمية ، وفى القرن الثانى عشر نجم قرن الوهابية ، وفى القرن الرابع عشر نجم قرن المودودية .

المظاهر المشتركة بين خارجية الأمس وخارجية اليوم :

إحسان القول وإساءة الفعل ، عدم التأثر القلبى بالقرآن ، الخروج السريع من الدين وذلك كأن يدخل فيه ثم لا يأخذ حظه من العلم والحكمة والتزكية ، فيفتى بجهل ، ويعمل بهوى ، ويتصرف بسوء خلق ، ويعتبر ذلك ديناً ، وما هو من الدين .

يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه فى شىء ، وذلك أنهم من حيث المبدأ يؤمنون بكتاب الله ويدعون إليه ، ولكن حظهم من التلاوة والفهم والتدبر والتأثر والحفظ شبه معدوم .

سيمتهم الورع الجاهل ، والتشدد المنبعث من قوة نفس ، لا عن قوة إيمان .

سوء الأدب مع من يجب لهم التوقير والاحترام ، كما فعل ذو الخويصرة التميمى مع رسول الله ﷺ ، إذ يأمر الرسول ﷺ بالعدل ، ولقد نشأ فيهم سوء الأدب ، وهذا مما ينبغى أن يفطن له المربون ، ولا يعالج هذا الأمر إلا بأن يكون الكبير جديرا بالاحترام ، وتصرفاته حكيمة وأقواله مستقيمة ، وأن يربى الصغير على توقير الكبير ، (راجع الأساس فى السنة وفقهها . للشيخ سعيد حوى ص ٤٦١ - ٤٦٨) ولقد تخوَّف الرسول ﷺ على الأمة الإسلامية من أئمة خوارج الأمس واليوم فقال صلوات الله وسلامه عليه : « إنما أخاف على أمتى الأئمة المضلين » رواه أحمد (٥/٢٧٨) والترمذى (٤/٥٠٤) كتاب الفتن ـ ٥١ - باب ماجاء فى الأئمة المضلين .

إسلام الصوفية هو الحل لا إسلام الخوارج :

إن الخارجية ظاهرة متجددة فى الأمة الإسلامية ، وإن الرسول ﷺ كشف عنها ، وحذر منها ، وإن جماع فرقها سبل على رأس كل سبيل منها شيطان ، كما روى أحمد عن ابن مسعود قال : خط لنا رسول الله ﷺ يوما خطا ، ثم قال : « هذا سبيل الله » ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ثم قال : « هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه » ثم تلا : « **وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**»[1] مجمع الزوائد (٧/٢٢) المستدرك (٢/٣١٨) .

والخارجية أزاح الرسول ﷺ الستار عن حقيقتها فقال : « سيخرج قوم فى آخر الزمان حدثاء الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من قول خير البرية ، يقرأون القرآن لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن فى قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة » رواه مسلم (٢/٧٤٠) كتاب الزكاة ٤٧ - باب ذكر الخوارج وصفاتهم ، وأبو داود (٤/٢١٧) كتاب السنة ١٣ - باب ما يدل على ترك الكلام فى الفتنة .

لهذا كله كان إسلام الخوارج ليس هو الحل لأنهم تسربلوا بالإسلام فى الظاهر ، وكادوا للمسلمين وابتغوا غوائلهم .

---

(١) سورة الأنعام آية ١٥٣

أما إسلام الصوفية فهو الحل ، لأنهم أهل السنة والجماعة الذين أبصروا فأقصروا ، واختبروا فاعتبروا ، ورضوا بالمقدر ، وقنعوا بالميسور ، وعلموا أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك مسئول عن الخير والشر ، ومحاسب على مثاقيل الذر ، فأعدوا خير الزاد ليوم المعاد ، وجرى كلامهم فى طريقى العبارة والإشارة على سمت أهل الحديث ، دون من يشترى لهو الحديث ، لا يعملون الخير رياءً ، ولا يتركونه حياءً ، دينهم التوحيد ونفى التشبيه ، ومذهبهم التفويض إلى الله تعالى والتوكل عليه ، والتسليم لأمره ، والقناعة بما رزقوا ، والإعراض عن الاعتراض عليه : (**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم**)[١] .

(انتهى بعون الله وحسن توفيقه)

(١) سورة الجمعة آية ٤ .

محتويات الكتاب

الموضـــوع	الصفحـــة

الموضـــوع	الصفحـــة

الموضـــوع | الصفحـــة

الموضـــوع	الصفحـــة

الموضـــوع — الصفحـــة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الموضـــوع | الصفحـــة

الموضـــوع	الصفحـــة







إسلام الصوفية هو الحل لا إسلام الخوارج

هذا الكتاب « إسلام الصوفية هو الحل لا إسلام الخوارج » يرد على شعار خوارج عصرنا بأن « الإسلام هو الحل » الذى سبق أن رفعه خوارج الصدر الأول من الإسلام أمام سيدنا علىّ رضى الله عنه مرددين شعار « إن الحكم إلا لله » وهى كلمة حق أراد بها حاملوها باطل . وحذا خوارج عصرنا حذو خوارج الصدر الأول فتنا وإرهابا وقتلا وسرقة للأموال وهدما وتخريبا كله تحت شعار « الإسلام هو الحل » .

لذلك كان هذا الكتاب لبيان أن إسلام الصوفية ومناهجهم هو الحل لا إسلام الخوارج . فالصوفية هداة ودعاة وهم أهل السنة والجماعة ، وأن التصوف هو خلق الإسلام . وأن الجهاد الصوفى يبدأ أولا بالجهاد الأكبر وهو جهاد النفس ثم يتبعه الجهاد الأصغر .

وقد كشفتُ حقيقة الخوارج من الكتاب والسنة وأنهم بغاة وقضاة على رقاب الناس لا دعاة ولا هداة . وأوضحت تاريخ خوارج عهد سيدنا رسول الله ﷺ وخوارج عهد سيدنا أبى بكر وخوارج عهد سيدنا عمر وخوارج عهد سيدنا عثمان وخوارج عهد سيدنا علىّ رضى الله عنهم .

كما بينتُ أن الخوارج على مر العصور والدهور هم المفسدون فى الأرض ، فالسلفية هم ثوب خوارج القرن الثانى الهجرى والظاهرية هم قميص خوارج القرن الثالث الهجرى والتيمية هم لافتة خوارج القرن السادس الهجرى والوهابية هم مدرسة خوارج القرن الث[illegible] الهجرى والمودودية هم شعار خوارج القرن الرابع عشر الهجر[illegible] التبليغية هى إرسالية سياحية لتوهيب المسلمين .

عسى الله أن يرفع بهذا الكتاب المظلمة عن ساداتنا ا[illegible] ويكشف الرعوية الإبليسية لفكر الخوارج ، ويكفى أمة الإ[illegible] الإحن والفتن ، ويلم الشتات ويرتق الفتق ، ويداوى الجرح [illegible] الشيطان وحزبه ، فيكون الصوفية هم الفائزون .

دار الكتاب الصوفى
١١٤ شارع مجلس الشعب

قرش جنيه
٧,٥٠